بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر و تأملات

في

شرح أسماء الله الحسنى

لفضيلة الشيخ/ الدكتور

محمد راتب النابلسي

الأستاذ المُحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق

وخطيب مسجد " عبد الغني النابلسي" بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر و تأملات

في

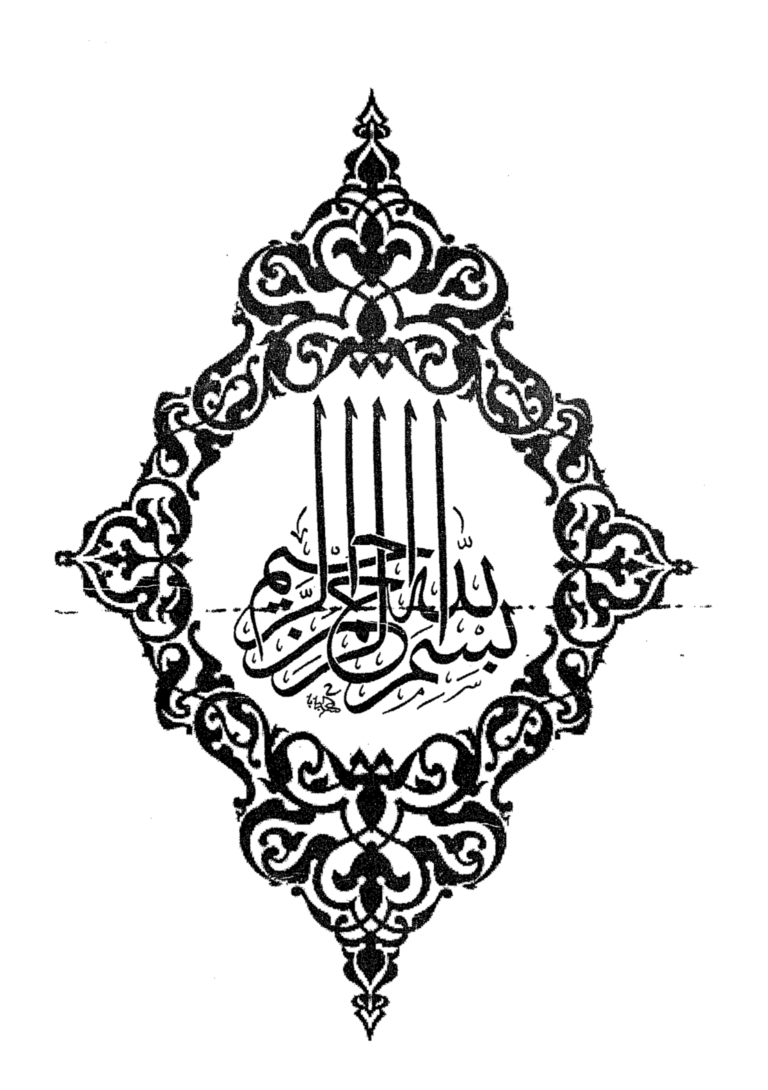
شرح أسماء الله الحسنى

لفضيلة الشيخ/ الدكتور

محمد راتب النابلسي

الأستاذ المُحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق

وخطيب مسجد " عبد الغني النابلسي" بدمشق


بسم الله الرحمن الرحيم

حول فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي

وُلد الشيخ الجليل في دمشق عام ١٩٣٨من أسرة علم ، فقــد كــان والده عالماً من علماء دمشق،وقد ترك له مكتبة كبيرة تضم بعض المخطوطات .

إلــتحق شــيخنا الجلــيل بمــدارس دمشــق الابتدائية و الإعداديـــة والثانوية ، ثم بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعـــة دمشـــق ، وتخـــرج عام ١٩٦٤ ، ثم التحق بكلية التـــربية بجامعـــة دمشق ليكمل الدراسات العليا فحصل على الماجســـتير ، ثم التحق بجامعة " ترنتي " ببريطانيا للحصول على الدكتوراه في " تربية الأولد في الإسلام ".

بعــد ذلــك عمــل فــي مجال التدريس بالتعليم الثانوي الرسمي ، ثم الجامعي ، حيثُ عُيِّن أستاذاً مُحاضراً في كلية التربية – جامعة دمشق من عام ١٩٩٦ ، حتى ١٩٩٩.

و قــد طلــب شــيخنا العلــم الديني الشرعي في وقت مبكـــر مـــن حـــياته ، حـــيث تـــتلمذ على أيدي عدة علماء مـــن دمشـــق ، فـــدرس التفســـير ، و الحديث ، و الفقه ، و الســـيرة ، و الفـــرائض .. حتـــى نـــال إجـــازة إسلامية مـــن أســـتاذه بكلـــية الآداب ، هو الدكتور الشيخ " صبحي

الصالح " أستاذ علوم القرآن وعلوم الحديث وفقه اللغة بجامعة دمشق .

و في عام ١٩٨٤ عُيّن شيخنا الجليل خطيباً بجامع الشيخ عبد الغني النابلسي ، و مدرساً دينياً بعدة مساجد بدمشق ... و لا يزال - بفضل الله تعالى - حتى الآن يخطب و يدرس .

كما عُيّن شيخنا مديراً لمعهد تحفيظ القرآن بجامع النابلسي ، وعضواً مُشرفاً على مجلة " نهج الإسلام " التي تُصدرها وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية السورية .

و لشيخنا الجليل عدة دروس مسموعة ومكتوبة ، متاحة على أقراص ليزر ، تبيعها عدة شركات ، منها : شركة " المِشكاة " للبرامج و الحاسبات ، الكائنة بعمارات خلف العبور- أمام دار الهيئة الهندسية - مصر الجديدة - القاهرة .

تليفون : ٤٠٢١٠٢٨ - ٠١٠١٥٤٤٣٣٢

وهي متاحة أيضاً على موقعه بالإنترنت :

http://www.nabulsi.com

* * * * *



المقدمة

الحمــد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنــك أنــت العليم الحكيم ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، و أرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه و أرنا الــباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الأخوة المؤمنون! اسم الله الأعظم هو الله وحول هــذا الموضوع مباحث كثيرة .. وبحوث كثيرة . فهذا الاسم كما قال علماء التوحيد علَمٌ على الذات ، أو علَمٌ على واجب الوجــود وأن أعظــم الأســماء هــي قولنا الله و قد احتج القائلون بأن كلمة الله هي اسم الله الأعظم لأسباب عديدة .

الأول : أن هذا الاسم ما أطلق على غير الله فإن العرب كانوا يســمون الأوثان آلهة إلا هذا الاسم فإنهم ما كانوا يُطلقونه على غير الله سبحانه وتعالى والدليل قوله تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

(سورة العنكبوت)

فكلمــــة الله تعني عندهم خالق السماوات والأرض وما سُـمي أحـدٌ علـى وجه الأرض بهذا الاسم حتى ولا الآلهة التـي زُعمت من دون الله لم تُسَمَّ بهذا الاسم أبداً ... وقال تعالى :

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾

(سورة مريم)

يعنـي هـل هناك من يُسمَّى بهذا الاسم ؟ ولما كان هذا الاسـم في الاختصاص بالله تعالى على هذا الوجه وجب أن يكون أشرف الأسماء كلها .. فاسم الله هو اسم الله الأعظم ، الجامـع لكـل الأسماء الحُسنى والصفات العظمى .. الجامع للكمـالات كلهـا ... المنزّه عن النقائص كلها ... علَمٌ على الذات واجب الوجود .

الحُجَّة الثانية : أنّ هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله سـبحانه وتعالى بينما سائر الأسماء: "الرحمن .. الرحيم .. الملـك .. القـدوس .. السـلام .. المـؤمن .. المهيمن .. العزيـز .. الجـبار " وجمـيع الأسماء مُضافة إليه .. قال تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(سورة الأعراف)

" وَلِلَّــــهِ الأَسْــمَاءُ الْحُسنى "... أي أن الأسماء الحسنى أضـــيفت إلى الله سبحانه وتعالى . أضاف سائر الأسماء ولا محالـــة في أن الموصوف أشرف من الصفة .. لأنه يقال : (الرحمن الرحيم ، الملك القدوس) كلها أسماء لله تعالى ولا يُقال : الله اسم الرحمن الرحيم بل الرحمن الرحيم اسم الله . فدلّ هذا على أن اسم الله هو الأصل .

شيء آخر .. قال تعالى :

قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾

الآن .. لـــو أنّ الكافـــر قال .. " لا إله إلا هو" لم يصح إســـلامه .... فلا يصح إسلامه إلا إذا قال " لا إله إلا الله" .. لأنـــه إذا قال الأولى . قد يُضمر معبوده الوثني ، فيجب أن يقـــول " لا إله إلا الله " إذن .. الله اسم الذات الأعظم . والله سبحانه وتعالى قال :

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

(سورة محمد)

لـــم يقل لا إله إلا هو ، " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ " وقال عليه الصلاة والسلام :

" عَـــنْ أبِـــي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "

الحجة الثالثة : التي تدل على أن كلمة اللههي اسم الله الأعظم قوله تعالى :

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

(سورة الأنعام)

فــإن الله أمــر عــبده بالإعراض عن كل ما سوى الله والإقبال بالكلية على عبادته بأن ذكر هذا الاسم فدلّ على أن هذا الاسم أشرف الأسماء كلها .

أحـــياناً .. يشتد النقاش حول الدنيا . وحول موضوعات كثيــرة .. نقاشـــات ومحـــاورات ومشـــاحنات .. وحظـــوظ وأهـــواء .. ومصالح واتجاهات وانقسامات .. فالله سبحانه وتعالـــى يقـــول " قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ " .. أي .. فـــي الكـــون شـــيئان :، الله وهو الحق ، و ما سوى الله .. وهو لـهوٌ باطل ... والله سبحانه وتعالى يقول :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

(سورة النمل)

مـــن خصائص هذا الاسم . اسم الذات الأعظم .. أن كل اسم إذا دخل عليه النداء أسقطت عنه الألف واللام .

تقــول " يــا رحمـــن يارحـــيم " لا تقول " يا الرحمن يا الـــرحيم " .. مـــا قالهـــا أحد ..... إلا اسم الله الأعظم تقول " يـــاالله " فالألف واللام في هذا الاسم صار كالجزء الذاتي مـــنه ، فـــلا جـــرم أنـــه لا يسقط حالة النداء . وفيه إشارة لطـــيفة ، وذلك أن الألف واللام للتعريف فعدم سقوطهما عن هذا الاسم يدل على أن هذا التعريف لا يزول عنه أبداً .

قـــيل : " يا إمام .. متى كان الله ؟" .. أجابه " ومتى لم يكن ؟!! " ، قال الألف واللام " ألف التعريف ولام التعريف " لا تُقطعـــانِ عـــن هذا الاسم إطلاقاً لأنه إذا ظهر في الوجود ظهر في كل شيء وما خلا منه شيء .

و الحجـــة الرابعة : أن الأصح عند أكثر العلماء أن كُنه هذا الاسم لا سبيل للعقل إلى معرفة كيفية اشتقاقه وثبت أن كنه الحق سبحانه وتعالى لا سبيل للعقل إلى معرفته. أي .. كمـــا أن ذات الله لا يســـتطيع أحد أن يعرفها .. وأن يعرف كنهها .. والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

" تفكَّروا في خلق الله و لا تفكَّروا في ذاته فتهلكوا "

كذلك .. لا أحد من العلماء يعلم من أي فعل مشتق هذا الاسم! إذن هذا هو الاسم الأعظم الذي يأخذ خصائص الذات الإلهية .

الحجـــة الخامســـة : أن أول آية في القرآن الكريم هي قوله تعالى :
بسم الله الرحمن الرحيم على قول بعض العلماء ، وعلى قــول الباقــين هي قوله تعالى .. الحمد لله رب العالمين .. وهــذا الاســم الأعظم مذكور في هاتين الآيتين اللتين تُعدَّان أول آيتين في كتاب الله .
الحجــة السادســة : كما أن أول الأسماء المذكورة في القرآن الكريم هذا الاسم فذلك هو آخر الأسماء المذكورة في القرآن الكريم :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ ﴾

(سورة الناس)

آخر اسم ورد في كتاب الله " إِلَٰهِ النَّاسِ ".
الحجة السابعة : أن لفظ الإله على قول كثير من العلماء مشـــتق مـــن العبادة على ما سيأتي بيانه ، و إذا كان الأمر كـــذلك وجـــب أن يكون هذا الاسم أعظم الأسماء لأن العبادة غاية التواضع والخضوع وذلك لا يحسُن إلا إذا كان المعبود في غاية الجلالة والعظمة ، وجّه بعض العلماء على أنَّ هذا الاســـم مشـــتق مـــن العـــبادة والذي يستحق العبادة وتمام الخضـــوع لاشك أنه في غاية الكمالات كلها ، إذن كأن اسم

الله جل و علا جمع كل المحامد و جمع كل الأسماء الحسنى و الصفات العظمى .

هــذا من قبيل الحديث على أن الله سبحانه وتعالى اسم الله الأعظــم ، لكن بعض العلماء يقول " الله سبحانه وتعالى كــلّ لا يتجــزأ .. و لا يتبعض " فالاسم الذي يدل عليه يدل عليه كله إذن اسم الله الأعظم ليس في الكلمات بل في حالة الداعــي .. أي إذا شعرت أنه لا إله إلا الله بأي اسم ناديته فهذا الاسم هو اسم الله الأعظم ...

ولو أن المرء يعتمد على زيد من الناس وعلى عبيد من الناس وثقته بماله وقوته وله علاقات مع بعض الأشخاص ، وواثــق مــن مكانــته ، فــإذا دعــا الله عز وجل .. باسم الله الأعظــم وقــال يا الله .. يا رحمن يا رحيم .. برحمتك أســتغيث .. هو لم ينادِ ربه باسمه الأعظم . إلا إذا كان الله عند المنادِي هو أعظم كل شيء ... هذا المعنى .. أعمق .. فالقضية ليست في الكلمات ، القضية أنه إذا كان مُشركاً بالله عــز وجل وله اتكال على غير الله وله اعتماد على ما سِواه فإنه لن يستطيع أن يناديه باسمه الأعظم مادام مشركاً به .

أما إذا أخلص لله العبادة وأخلص له بالتوكل وأقبل عليه فــبأي اســم يــناديه ، فهذا الاسم هو اسم الله الأعظم لأنه رأى فــي قلبه أن الله أعظم من كل شيء . هذا التوجيه جيد جــداً ! فالإنســان حيــنما تكــون حالــته مع الله عز وجل حالة الإخلاص ، وحالة التعظيم ، وحالة الإكبار ، وقال (الله

أكبر) من كل قلبه ، فهو بهذه الحالة قد نادى ربه باسمه الأعظم . وسوف نتابع في دروس قادمة إن شاء الله تعالى أسماء الله الحسنى واحداً واحداً ولكن مع الأمثلة ...

هذا الاسم .. لأنه علَمٌ على الذات .. والحديث عن الذات.. مستحيل ..أي يستحيل علينا أن نتعرف إلى ذات الله .. فنحن نتعرف إلى أسمائه الحسنى وإلى صفاته العظمى .. من خلال خلقه .. فالنبي عليه الصلاة و السلام نهانا عن أن نفكر في ذات الله ، لا أحد يستطيع أن يعرف كنهه الله عز وجل لأنه :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(سورة البقرة)

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء)

وهــنا مثل بسيط جداً .. إذا ألقيت ورقة رقيقة جداً من هذا الورق الذي تُلف به اللفائف .. الدخان .. إذا ألقيت هذه الــورقة فــي فــرن لصهر الحديد .. بعد أن ألقيتها بساعة أو بأكثر .. قلت ماذا حلّ بها !!؟.

مــا هذا السؤال ! ماذا حل بها !!؟ " .. هي من الوهج العلــوي تلاشــت! فالانسان .. إذا أراد أن يفكر في ذات الله يهلك وهذا منهي عنه . إذا جاءته مثل هذه الخواطر .. " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " .

لكن باب التفكر في مخلوقات الله .. لا حدود له .. كلما وجدت آية فكِّر بها ، وتأمّل دقة الصنع ، حكمة الله ، و لطفه وقدرتــه ، وغِناه ، ورحمته ، وسعته ، الله الواسع قال أحد العارفين: " والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سُمِّيت الواسع " .

فالإنســان في أيام الخريف .. يمشي في البستان تسقط ورقــة هــل هــناك جهة في الكون تستطيع إحصاء الساعة الأولى من يوم الخميس " ١٤ يوليو عام ٤٧ مثلاً " كم ورقة ســقطت من الأشجار بالأرض كلها .؟. و غابات الأمازون ، ربنا عز وجل قال :

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

(سورة الأنعام)

كـــلام ربنا عز وجل " وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا " لاحـــظ نفسك .. قد يأتيك خاطر من الخواطر .. لايُرضي الله عــز وجـــل .. لـــو أنك تابعته و كنت عند الله (أثيراً : أي مُفضَّـــلاً) .. تأتـيـك العقوبة مباشرة . أحياناً مثلاً .. يكون الإنسان ماشياً في الطريق .. وقد يصطدم بشيء .. " ما من عثــرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر ".

وهـــنا سؤال دقيق : ماذا تتوهم أو تظن .. أن الله عز وجل معك دائماً .. فهل تنسى أنه مع غيرك أيضاً .؟. مع أي إنســـان في الأرض .. فإنسان ساكن في آلاسكا .. وثانٍ في الأرجنتين .. وثالث في أستراليا.. ورابع في الغابات .. وهل هـــو مع الإنسان فقط ؟! . بل مع الحيوانات كلها ؛ فلا تُقتل البهائم إلا بغفلة... صياد في غابة .. يطلق بندقيته .. يموت هـــذا العصـــفور بالذات . هذا العصفور بالذات موته بقضاء وقـــدر . وكـــذلك النبات !؟ نمو النبات .. وحركات الأحياء الدقيقة في باطن التربة .. تحت التراب كم حيوان ؟

مرة اطلعت على صورة .. مكعب من التراب كم حيوان فيه .. ديدان الأرض .. البكتريات .. الجرذ .. الفئران .. الأفاعي .. هذه كلها تعيش داخل التربة لوظائف مهمة جداً ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

(سورة فاطر)

فإذا تفكَّر الإنسان كيف أن الله سبحانه وتعالى مع كل مخلوق .. سميع لقوله ، عليم بحاله ، ناظر لنفسه ، مُطَّلع على قلبه ، يعلم سره وما يخفى عنه ، ذلكم الله رب العالمين :

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

(سورة الشورى)

هذا هو الذي يستحق العبادة وحده .. لا معبود سواه ، لا معبود إلا الله ، ليس في الكون جهة تستحق أن تعبدها وأن تُفني عمرك من أجلها وأن تمضي شبابك كله في طاعته إلا الله سبحانه وتعالى ، لذلك ! أندم الناس من باع آخرته

بدنـــيا غيره ..، مَن باعها بدنياه خاسر ... أما بدنيا غيره فأشد خسارة !

"عَــنْ أَبِـــي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّـــهُ عَلَـــيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "

ونحن الآن .. إن شاء الله .. في الدرس القادم .. وفيما بعـــد مقـــبلون علـــى تعلم أسماء الله الحسنى . فهل نذكرها فقـــط ؟ لـــيس هذا هو المقصود ، فأمر الله سبحانه وتعالى أســـمَى مـــن ذلك أسمَى من أن يكون أمراً لفظياً .. أو ذكراً أجـــوف لا معنـــى لـــه ولكن المقصود أن تعرف حقيقة هذه الأسماء ، وعلامَ تدل وما معنى قولك الله رحيم ؟ وما معنى قـــولك الله رحمـــن ؟ والفـــرق بين أن يكون الله رحماناً أو رحيماً ؟

و مـــا معنى .. المانع ، والجامع ، والضار ، والنافع ، والخافض والرافع والمعز ، والمذل ، والمعطي ، هذه كلها أســـماء لله سبحانه وتعالى حُسنى في خمس آيات في كتاب الله ورد أن أســـماء الله تعالى كلها حسنى . فأسماؤه حسنى وصفاته فضلى .

و الحمد لله رب العالمين

******



لا إله إلا الله

أيها الإخوة الأكارم ؛ الاسم اليوم هو قول الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

(سورة محمد)

" فاعلم أنه لا إلهَ إلا الله " ، هذه الكلمة التي هي كلمة التوحيد، كأن الإسلام كله وكأن الإيمان كله وكأن الإحسان كله جُمع في هذه الكلمة ، والمسلمون يرددون هذه الكلمة ترددا كثيرا في كل وقت وفي كل مناسبة إلى درجة أنهم لا يلتفتون إلى معناها ، مع أن هذه الكلمة شعار الإسلام ، و معناها أن الدين كله ضُبِط بهذه الكلمات ، ألم يقل المولى عز و جل :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة الأنبياء)

فهـــي خلاصة رسالات الأنبياء جميعا ، فالشيء الدقيق هو أن تضغط ديناً بكامله ، أن تجمع الأديان السماوية ، أن تجمـــع رســـالات الأنبياء جميعا في كلمات فهذه الكلمة كلمة التوحـــيد لا إلـــه إلا الله نرددها كل يوم عشرات المرات بل مئات المرات ولو عرفنا حقيقتها لكنّا في حال آخر غير هذا الحال النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضلُ الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له"

" لا إله إلا الله حصن الله من دخلها أمن من عذابه " لا إلـــه إلا الله كلمـــة التوحيد ، ينبغي أن نقف عند هذه الكلمة دروســـا كثيـــرةً لكن بادئ ذي بدء نقف عند المعنى اللغوي لهـــذه الكلمة ، يقول علماء التوحيد : " الله علم على الذات الكاملـــة علـــم الواجب الوجود وهو الله ، وفي الكون ممكن الوجـــود وهو ما سوى الله وفي الكون مستحيل الوجود " ، فالله علم على الذات الكاملة على واجب الوجوب ، علم على الخالـــق ،علـــم على البارئ المصور المسيِّر العزيز الجبار المتكبـــر ، أسماء الله الحسنى كلها جُمعت في لا إله إلا الله، بعضـــهم قال : الله اسم الله الأعظم ، و بعضهم قال الرحمن الـــرحيم ، و بعضـــهم قـــال أي اسم تهتز له و تتفاعل معه فهـــو اســـم الله الأعظم ، لكن إذا أردت أن تشير إلى الذات الكاملـــة ، إلـــى الـــواجب الوجود المتصف بصفات الوجود

وصفات الكمال وصفات الوحدانية فهو الله :علَم على الذات جُمعت أسماء الله الحسنى كلها في كلمة ((الله)) . و في هذه الكلمة لا إله إلا الله ، الله علَم على الذات الواجب الوجود .
طيب ما معنى إله ؟

في المعجم جاء : ألَه يَألَه إلَهة وألوهة وألوهية يعني : عبد عبادة فألَه بمعنى: عبَد الإله المعبود ، لكن ألِه ألهاً أي تحيَّر ، و ألَه إليه أي لَجأ إليه ، واحتمى به.. هذه هي المعاني المستفادة من معنى ألَه يألَه إلَهَة و ألوهة وألوهية أي عبد ، فعبد ليس معنى عبد أي أطاع ، أطاع مضاف إليها معنى آخر: و هو : أطاع وأحب ؛ فأطاع و لم يحب فليس هذا عبادة ؛ وأحب ولم يطع فهذا مستحيل ، فغاية الحب مع غاية الطاعة .

فأحب وأطاع بمعنى عبد ، من المعبود ؟ هو الله ، بعض ما يقوله العلماء حول هذه الكلمة : " لا معبود بحق إلا الله " ، من الذي يستحق العبادة ؟ هو الخالق ، إذن لا خالق إلا الله ، من الذي يستحق العبادة ؟ هو الرازق ، هو المُعطي ، هو المانع هو الرافع هو الخافض هو المعز هو المذل هو الفعَّال لما يريد هو العزيز هو الجبار هو القهار ، فإذا قلت لا إله : لا معبود ؛ من هو المعبود ؟ هو الجبار ، من هو المعبود ؟ هو القوي من هو المعبود ؟ هو المسير من هو المعبود ؟ هو الخالق هو البارىء المصور الرازق المانع هو المعطي الرافع والخافض ، فالذي يستحق العبادة

هو الرازق ، إذن لا إله : أي لا معبود لا رازق إلا الله ، فإذا قلت لا إله إلا الله أي لا مُعطي ولا مانع ولا رافع ولا خافض ولا معــز ولا مذل ولا رازق ولا وهاب ولا مغني ولا مبدي ولا معيد إلا الله .

كــل الأســماء الحســنى إذا جمعــت هي الله ؛ أي هو المعبود .

إذن : ألِــه يألَه إلهة وألوهة أي عبد يعبد والعبادة هي غايــة الخضوع مع غاية الحب ولن تحب ولن تطيع إلا إذا عــرفت الله عــز وجــل ، فالعبادة ثلاثة مراحل : معرفة،ثم طاعة ، مع حب وسعادة .

المعنــى الثاني : أله ، الأولى أله ، الثاني أله ، أله يأله ألــه أي تحيــر ، الإنسان يتحير بمن ؟ بالصغير أم بالكبير؟ بالجلــيل أم بالحقير؟ بالغني أم بالفقير ؟ فالتحيُّر من معاني العظمـــة ، تحار به الألباب تحار به العقول تحار به النفوس تحار به الأفئدة ، إذن من جهة هو معبود لماذا هو معبود ؟ لأنه خالق لماذا هو معبود ؟ لأنه رازق ، لماذا هو معبود ؟ لأنه فعال ، لماذا هو معبود ؟ لأنه قوي ، لماذا هو معبود ؟ لأنه محيي مميت معز مذل ...إلخ هذا المعنى الأول .

المعنــى الثانــي : لماذا هو معبود؟ عظمته تحار منها العقول ألِهَ يأله ألَهاً أي تحيَّر

والمعنى الثالث : أله إليه أي لجأ إليه يعني لا ملجأ لك أيها الإنسان إلا الله ، فمعنى لا إله إلا الله لا معبود ولا عظيم ولا ملجـــأ إلا الله ، طـــبعا الإله هو الله لكن هذه اللام نافية للجـــنس ، مـــا الفرق بين اللام النافية للجنس واللام النافية نفيا عاديا ؟

قـــد تقول مثلا : لا طالب في الصف بل طالبة ، فجنس الذكـــور لـــيس موجـــوداً أما إذا قلت لا طالب في الصف بل طالـــبان ، في الحالة الثانية نفيت أنت ماذا ؟ نفيت المفرد ، فاللام التي تنفي المفرد تسمى اللام الحجازية ، أما اللام التي تنفي الجنس تسمى اللام النافية للجنس ، فإذا قال لك أحدهم هل عندك خبز ؟ فقلت : لا خبز عندي ، المقصود لا خبز ولا قمح ولا طحين ولا أي شيء من أنواع القمح لا خبز عندي بـــل لحـــم أمـــا لاً خبز عندي نفيت المفرد قد يكون عندك أجناس القمح أما الخبز نفيته وحده .

إذن لا إلـــه تنفـــي أن يكون في الكون إله غير الله عز و جل .

بعض العلماء قال : المعنى الأول قاله ابن عباس رضي الله عنه لا إله إلا الله أي لا نافع وضار ولا معز ولا مُذل ولا معطـــي ومانـــع إلا الله ،أما بعض العلماء ، فقال : " لا إله يُرجى فضله ولا إله يُخاف عدله ولا إله يُؤمَن جَوْره ولا إله يـــؤكل رزقـــه ولا إلـــه يُســـأل مغفرته إلا الله الذي هو رب

المؤمنين وغفار ذنوب المؤمنين وملجأ المؤمينن وستَّار المخطئين غاية رجاء الراجين ومنتهى مقصد العارفين ".

أنا أتمنى من الإخوة الأكارم أن يتحققوا ويتوقفوا مليّاً عند هذه الكلمة هذه كلمة الإسلام الأولى ، هذه كلمة التوحيد الدين كله مجموع في هذه الكلمة قال بعضهم : لا إله إلا الله إشارة المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتسديد إلى الملِك الحميد ، إشارة المعرفة والتوحيد .

تعلمون أن نهاية العلم التوحيد ونهاية العمل التقوى ، أنت إذا وحَّدت واتقيت والحقيقة أنك متى توحد أو تستقيم تشعر أن هناك جهات أخرى تملك أمرك فأنت موزّع بينها جميعا ... و لكن متى توحد وجهتك إلى الله عز وجل ؟ ومتى تعبده وحده ؟ متى تطيعه وحده ؟ متى تُقبل عليه وحده ؟ متى ترجوه وحده ؟ متى تخافه وحده ؟ متى تطمع بعطائه وحده ؟ إذا أيقنت أنه لا إله غيره .

قضية دقيقة جدا ما دام هناك شعور بوجود جهة في الأرض بإمكانها أن تنفعك وأن جهة أخرى بالأرض بإمكانها أن تضرك فأنت في هذه الحالة لن تستطيع أن تعبد الله وحده ، لذلك الله عز وجل لم يأمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله عائد إليه فلا إله إلا الله لك أن تفهمها على النحو التالي : الإله هو المعبود ، ومن الذي يعبد الخالق :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾

(سورة البقرة)

ولا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله مَن الذي ينبغي أن يعبد ؟ هو الرازق من الذي ينبغي أن يعبد ؟ هو المعطي و المانع و الرافع و الخافض و المعز و المذل و القوي و القهار و الجبار ، فكل الأسماء الحسنى بمجموعها تدل على أن صاحب الأسماء الحسنى الذي يستحق العبادة فهو المعبود هذا هو المعنى الأول .

أله يأله ألها تحير، عظيم : الله عز وجل لا نهاية لقوته مهما عرفت عنه فهو أعظم ، لا نهاية لجبروته لقوته لجماله لرحمته لعدالته لحبه لعباده أي منتهى النهايات هو الله سبحانه وتعالى .

والمعنى الثالث : لا ملجأ لك إلا الله أله إليه أي لجأ إليه وقال بعضهم : لا إله للرغبة إذا رغبت فالله وحده الذي ينبغي أن ترغب فيه ولا إله للرهبة إلا الله وإذا خفت فينبغي أن لا تخاف إلا الله ، فإذا حدثتك نفسك أن تخاف ليس في الكون كله جهة ينبغي أن تخاف منها إلا الله ، وإذا حدّثتْكَ نفسك أن تحب هناك في الكون أشياء جميلة هناك أشخاص

هناك نساء هناك أماكن هناك بيوت هناك مركبات إذا حدثتك نفسك أن تحب شيئا ينبغي أن لا تحب إلا الله .

هـذا المعنـى الـرابع أي لا إله للرغبة إلا الله ولا إله للـرهبة إلا الله الذي هو كاشف الكُربة هذا الدليل قاله النبي عليه الصلاة والسلام :

" لا يَخافَنَّ العبدُ إلا ذنبَه ولا يَرجُوَنَّ إلا ربه "

فحالة التوحيد مع المؤمن حالة مريحة،و حالة التوحيد هي الصحة النفسية وخلاف التوحيد يمرض الإنسان ، حينما يشعر أن إنسانا من بني جنسه أمرُه بيده وهو لا يُحبه ، أو وهو يتمنى تحطيمه هذا الشعور وحده شعور مرَضي شعور يسحق شعور مدمِّر ، أنت إذا أيقنت أن أمرك بغير يد الله عز وجـل هـذا اليقين وحده يكفي لسحق الإنسان ، فينبغي إذا أردت أن تحب أن لا تحب إلا الله وإذا أردت أن تخاف أن لا تخـاف إلا من الله وإذا أردت أن تعتمد على جهة فلا ينبغي أن تعتمد إلا على الله وإذا أردت أن تثق بجهة فلا ينبغي أن تثق إلا بالله .

علمـاء السلف الصالح ضغطوا كل هذه المعاني بكلمة معـبود ، الـذي يستحق العبادة ، هل يستحق العبادة إنسان فـان ؟ إنسـان سيموت ؛ إنسان كان في العدم ثم حدث ثم سينتهي إلى عدم ؟؟!!! لا هذا لا يستحق العبادة .

أنـــت لا تحـــتاج أنت إلى آلهة الأرض ، هذا هو سبب الصحة النفسية أن الإنسان أمره كله بيد جهة واحدة يسعى إليها يرضيها يخافها يرجوها يطيع أمرها.

عــن عمران بن حصين قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبــي يا حُصين كم تعبد اليوم إلها قال أبي :"سبعة، ستة في الأرض وواحــدا فــي الســماء قـــال : " فأيهم تُعِدُّ لرغبتك ورهبتك قال : " الذي في السماء " قال : " يا حصين أما إنك لــو أســلمت علمتك كلمتين تنفعانك "قال فلما أسلم حصين قـــال : " يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني" فقال قــل : " اللهم ألهمني رُشدي وأعذني من شرِّ نَفسي " رواه الترمذي

هذه بعض معاني كلمة لا إله إلا الله .

هــناك موضوع لطيف حول هذه الكلمة كلمة التوحيد ، فلو أننا جمعنا الأحاديث التي تتحدث عن فضل لا إله إلا الله هــناك أحاديــث كثيرة جدا و هناك آثار عند السلف الصالح كثيــرة جدا ، طبعا كما قلت في بداية الدرس لا إله إلا الله لا يسبقها عمل و لا تترك ذنبا ، كيف ؟ ننظر بالشرك فقبل أن تحقق من أنه لا إله إلا الله أنت في حياتك آلهة كثيرة دعك ممـــا ينبغــي أن يقال في العالم الإسلامي ، كن مع الحقيقة هــناك شخص توحيده ضعيف في حياته ، أشخاص كثيرون لهـــم تأثير عليه فإذا توجه إليهم وسعى إلى إرضائهم وخاف من غضبهم وعلق عليهم الآمال فهذا هو الشرك ، فإذا كنت

تـــرجو زيدا وتخشى عبيدا وتطمع بما عند فلان وتخاف من علاّن فالعمل الصالح الخالص لله عز وجل لن يكون .

فكلمة التوحيد لا يسبقها عمل لأن عملك يشوبه الشِرك قـــبل أنٍ تؤمن بلا إله إلا الله ترجو غير الله وتخاف غير الله وتعلّق الأمر على غير الله ، وإذا تحققت منها لا تترك ذنبا ، لمـــاذا تعصي الله من أجل أن يرضى عنك زيد ؟ ، فزيد بيد الله .

كلكـــم يذكر القصة التي كنت أرويها لكم سابقا ؛ أن أحد خلفـــاء بنـــي أميَّة وهو الخليفة يزيد أصدر توجيها إلى أحد الـــولاة وهو والي البصرة ، وكان عند والي البصرة الحسن البصــــري من كبار التابعين فجاء التوجيه مخالفا لما ينبغي أن يكـــون ، مخالفـــا للحـــق فوقع في حيرة من أمره ! هذا الوالـــي عنده الحسن البصري ، قال ماذا أفعل ؟ أجابه كلمة توحيدية قال له :

" إعلم أن الله يمنعك من يزيد و لكن يزيداً لا يمنعك من الله " !!!

إذن الله هـــو المعبود فأنت حينما ترى إنسانا يعصي الله ليُرضــــي فلانا أو يقصرِّ في أعماله الصالحة ليُرضي زيدا ، ويقتبــــرف الآثام ليرضي عبيدا هذا توحيده ضعيف جدا ، إذن فـــي الحـــياة اليومـــية أشخاص يراهم الإنسان آلهة يراهم يســـتحقون العبادة ويستحقون الطاعة و يستحقون الخضوع

ويستحقون الحب ، فما هو التوحيد ؟ أن تتخلص مما سوى الله عــز وجل مطلقا ، لا حُبًّا ولا كراهية ولا خوفا ولا طمعا ولا أملا ولا إرضاء .

أفضـــل الذكر لا إله إلا الله ، فلما كان من أفضله فالعدو لمـــا جاءته المحنة فزع إلى هذا الذكر ، من هو هذا العدو ؟ فـــرعون ، حيـــنما أدركه الغرق فزع إلى كلمة التوحيد قال " آمـــنتُ أنَّهُ لا إله إلا الذي آمَنَت به بنو إسرائيل " ، أحيانا الكافـــر باعتـــباره أوراق رابحة كثيرة وهو أن ماله يُنْفذه ، مركـــز قوي يُنْفِذه ، أتباعه يعينونه ، فهؤلاء كلهم في نظره آلهـــة ، فحينما يقدر الله له شيئا كريها وكل هذه الآلهة التي تـــوهَّمها لا تستطيع أن تفعل شيئا عندئذ يُسقط في يده ،يندم ويقول : لا إله إلا الله .

قد يظن الإنسان أن المال كل شيء في مقتبل حياته كلما امـــتد به العمر يرى أن حجم المال يصغر إلى أن يعدُّه شيئا ولكن ليس كل شيء فإذا جاء الموت لا يرى إلا الله وأن هذا المال عارية مستردَّة وأن الله ملَّكه إياه ليتقرب إليه ... أريد أن أوسِّع معنى الألوهية قال تعالى :

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

(سورة الفرقان)

" أرأيت من اتخذ إلهه هواه " إذا أحببت شيئا وعصيت الله من أجله فقد عبدته " ، والعوام يقولون تزوّج فتاة يعبدها ، ما معنى يعبدها ؟ يحبها ويثق بها ويمنحها كل إخلاصه وكل طاعته ولو أمرَتْهُ بمعصية !!! فالعبادة كما قلت لكم غاية الحب مع غاية الطاعة فإذا منحت تلك الطاعة وذاك الحب لغير الله عز وجل فذاك هو الجهل لذلك حينما قالوا : نهاية العلم التوحيد ، حينما ترى أن كل الخلق دُمَى يحرّكها الله عز وجل :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

هذا العدو - عدو الله - عز وجل حينما أدركه الغرق ، لجأ إلى الله قال :

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾

(سورة يونس)

أمــــا وليُّ الله سيدنا يونس حينما أدخل في بطن الحوت ودخل في ظلمات ثلاث : فقال:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾

(سورة الأنبياء)

لمــــاذا قُــبلت هذه الكلمة من سيدنا يونس ولم تقبل من فــرعون ؟ كلاهمــــا في المحنة قال : لا إله إلا الله ، العلماء قالوا : " ١- فرعون ما عرف الله قبل المحنة لذلك ما نفعته عند المحنة ، سيدنا يونس عرف الله قبل المحنة فلما جاءت المحنة نفعته هذه الكلمة هذا أول فرق "،

٢- فرعون ماذا قال:

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

(سورة النازعات)

أما يونس فنادى وهو مكظوم :

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

(سورة الصافات)

لاحظ أنت جميع الناس حينما يقع في مأزق ، في مرض عُضال ، في مشكلة كبيرة ، أمامه شبح مصيبة ، ينسى كل الشركاء ، ليته عرف هذه الحقيقة وهو في الرخاء ! أما حينما تأتيه المصيبة حينما تُحدِّق به الأمور حينما يُسقط في يده لا يرى إلا الله .

حدثني أخ صديق أن طائرة تُقِل خبراء من بلاد مُلحدة ترفع شعار : " لا إله و لا يوجد الله " ؛ هذه الطائرة مرت بسحابة مكهربة وفي أجواء هوائية كثيرة جدا وفي طقس قاس فصار بعضهم يقول : " يا الله " ، والقرآن ذكر ذلك ،فالإنسان إذا ركب البحر و هاج البحر وماج وأصبحت السفينة العظيمة كأنها ريشة في مهب الرياح عندئذ لا يُرى

إلا الله ، إذن الشـــيء الواقعي أن المؤمن يرى أن الله وحده بيده كل شيء هذا يؤكده قوله تعالى والآية دقيقة جدا :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(سورة الشورى)

طيب بيد من كانت ؟ كانت بيد الله ولا تزال بيد الله وهي دائما بيد الله ولكن أهل الدنيا المعرضون يرون الأمر بغير يد الله ، أما المؤمن وهو في الدنيا يرى الأمر بيد الله ، لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

٣-هناك شيء آخر : وهو أن سيدنا يونس قال " لا إله إلا أنـــت يا رب " كلمة أنت يخاطبه وجها لوجه أما فرعون مـــاذا قـــال: " لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل "، سيدنا يـــونس قال لا إله إلا أنت وكأنه يرى الله معه ، أما فرعون ســـمع أنـــه يوجد إله لموسى بيده كل شيء فلما شرع في الغـــرق شـــعر أن إلـــه موسى هو الذي أغرقه فقال " آمنتُ بالذي آمنَت به بنو إسرائيل " ، فذِكر ضمير الغائب دليل على أنـــه غيـــر متحقّق ، أي غير متأكد ، لذلك قال الله تعالى :" إعرفني في الرخاء أعْرِفْك في الشدة" ،

٤- قُبلت لا إله إلا الله من سيدنا يونس لأنه كان من المسبِّحين ولم تقبل من فرعون لأنه لم يكن من المسبحين .

حينما تقع في محنة مهما كان مستوى إيمانك مهما كانت نوع عقيدتك مهما كان مستوى توحيدك تقول يا الله ، لكن إذا كان إيمانك قبل المحنة عظيما تقول يا الله لا إله إلا أنت ، فلك عنده رصيد ، لك عنده سابقة عمل صالح ، لك عنده معرفة برحمته ، لك عنده معرفة بعفوه بقدرته بحبه ،

٥- فرعون حينما ذكر هذه الكلمة لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ما قالها تعبُّدا بل قالها من أجل خلاصه ، شتَّان بين من يضطر إلى الإيمان بالله وبين من يؤمن بالله طواعية .

الآن كلكم يعلم أن العالم كان مقسوم إلى شِرق وغرب إلى أمم تقدِّس الفرد وإلى أمم تقدس المجموع كِلا الفريقين تطرَّفا وعادا إلى الوسط ، والإسلام وسطي والفريقين لم يعودا إلى الإسلام إيماناً به ولا اعتقادا بأنه منهج الله عز وجل... ولكن طبيعة الظروف التي وافقت هذا التطرف ألجأتهم إلى الوسطية ، فالذين آمنوا بالفرد إيمانا مطلقا على حساب المجموع اضطروا أن يعودوا إلى حقوق المجموع ، والذين آمنوا بالمجموع على حساب الفرد اضطروا إلى أن يرعوا حقوق الفرد ، إذن عادوا إلى الوسط هذا معنى قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ
ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن
يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ



(سورة البقرة)

ففــرعون حينما قال : لا إله إلا الله قبل أن يغرق قالها ليــتخلص من الغرق ، هذا يفسر لنا أن بني إسرائيل حينما خرجوا من البحر رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ؟ ألم تروا أن البحر أصبح طريقا يبسا ؟ قالوا إنهم آمنوا بموسى ليتخلصوا من فرعون ، إيمانهم مشوب بمصلحة لذلك أرقى أنواع الإيمان أن تؤمن بأن الله عز وجل هو الخالق ويستحق العبادة ، هذا ما قالته رابعــة العدوية : " إلهي ما عبدتُك خوفا من نارك ولا طمعا في جنَّتك ولكنني رأيتك أهلا للعبادة "

وما يعبدونه من أجل جنات عدن ولا الحور الحسان ولا الخيام
سوى نظر الحبيب فذا مُناهم وهذا مطلب القوم الكــرام

قـــال بعضهم أن كل الطاعات يرفعها ملك إلى رب العزة إلا كلمة لا إله إلا الله فتصعد وحدها وهذا معنى قوله تعالى :

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

(سورة فاطر)

هـــناك نقطة دقيقة جدا مرت معي في حديث شريف - قلـــته لكم سابقا - " من ازداد علما ولم يزدد هدى " - كأنه يـــوجد خــط العلــم وخـــط الهدى - خط العلم أن تقرأ كتابا وتفهمـــه وتستوعبه وتحفظه ، أن تستمع إلى محاضرة وأن تقف عند دقائقها وخطوطها الرئيسة والأدلة التي قيلت حول أفكارهـــا هذا هو العلم أن تقتبس معلومات ، حقائق ، أفكار ، تصورات ، قناعات ، فما هو الهدى إذن ؟ الهدى أن تعرف أن الله ســـبحانه وتعالـــى لا إلـــه إلا الله لا إله إلا هو ، أن تـــوحّده وتعبده ، يمكن أن أقول لكم الدين كله أن توحّد الله وأن تعـــبده . فـــي القـــرآن ورد قصص أنبياء كثيرين " أن اعبدوا اللهَ ما لكم من إلهٍ غيرُه " :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(سورة هود)

هـــذه الآية وردت مكررة عشر مرات أو بأقل : " اعبدوا الله مـــا لكم من إله غيره " ، فصار ديننا هو أن تؤمن أنه لا إلـــه إلا الله وأن تعـــبده ، فـــنهاية العلم هي التوحيد ونهاية العمل هي طاعة الله عز وجل .

رُوي في الأثر أن العبد إذا قال : لا إله إلا الله أعطاه الله مـــن الثواب بعدد كل كافر وكافرة ، والسبب أنه عندما قال هـــذه الكلمة فكأنه قد رد على كل كافر وكافرة فلا عَجَب أن يستحق الثواب !!! و بماذا أمرنا الله عز وجل بالقرآن ؟

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

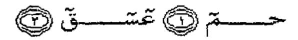
(سورة محمد)

ـــ ـ و العلــم يقتضي البحث و الدرس و اليقين و التدقيق و التمحيص و استحضار الأدلة و الانتهاء بقناعة ثابتة ، أما الذي يبقى في تردد و في شك فهذا لم يتعلم

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾

(سورة الحجرات)

بعضهم قال في تفسير:



(سورة الشورى)

قـــال : الحـــاء حلمُـــه وحُكمُـــه وحُجَّتُه ، والميم مُلْكه ومَجــده ، والعــين عَظَمته وعُلوُّه وعِزَّته وعِلمه وعَدله ، والســين سَــناؤه وسِرُّه ، والقاف قهره وقُدرته ،وكأن الله تــبارك وتعالــى يقــول: بحِلمي و حِكمتي وحجتي ومجدي وملكــي وعظمتــي وعدلي وعلمي وعزتي وعلوي وسري وثنائــي وقُدرتي وقهري لا أعذب في النار من قال لا إله إلا الله ، لمـــاذا لا يعذَّب ؟ لأنه عرف أن الأمر كله بيد الله عز وجــل فاســتقام على أمره ، هذا الدين عرَّف أن الأمر كله راجع إليه .

بالمناسبة هناك في القرآن آيات توحيد رائعة جدا . قوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

وقوله تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

" إنـــك على كل شيء قدير " هذه الآية دليل على فكرة دقـــيقة جـــدا أنه لا يوجد في الكون شر مُطلق ومعنى الشر المطلق الشر المراد لذاته . أيضا :

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

(سورة الزمر)

وقوله تعالى:

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

وقوله تعالى:

أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

(سورة الأعراف)

الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل أيُّ شيء خَلَقه أمْرُه عائدٌ إليه . وقوله تعالى :

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

(سورة الإخلاص)

وقوله تعالى :

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾

(سورة العنكبوت)

وقوله تعالى :

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

(سورة الكهف)

وقوله تعالى:

۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾

(سورة لقمان)

وقوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

(سورة الرعد)

وقوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

وقوله تعالى :

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(سورة فاطر)

وقوله تعالى :

أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(سورة النمل)

وقوله تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

(سورة الزخرف)

من الأحاديث :

عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلتُ أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له" موطأ مالك

عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : " يا غُلام إني أعلّمُك كلمات : إحفظ اللهَ يحفظك احفظ اللهَ تجِدْهُ تِجاهك إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنْتَ فاستعِن بالله واعلم أن الأمّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لك ولو

اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوكَ إلا بشيء قد كتبه الله عليك ... رُفِعت الأقلامُ وجَفَّت الصحف " رواه الترمذي .

فإذا الإنسان جمع الآيات التي تعني التوحيد وحفظها فهذا جميل جدا ، وتبعث فيه الاطمئنان ، لأن أسباب الخوف دائما أن تشعر أن هناك جهة في الأرض يمكن أن تؤذيك أما إذا شعرت أن الله وحده بيده كل شيء و هو رحيم و غني و ودود و قدير و عليم فإن هذا الشعور مُسعد و مطمئِن .

من فوائد هذه الكلمة أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " : ليس على أهل لا إله إلا الله وَحشة عند الموت وكأنِّي أنظر إلى أهل لا إله إلا الله عند الصَّيْحة ينفضون شعورهم من التراب يقولون : " الحمد الله الذي أذهب عنا الحَزَن " .

إذن فالشيء المخيف في القبر تحت التراب هو الوحشة ألم يقل المولى عز وجل :

ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

(سورة غافر)

ـ مـن سـتة آلاف سَنة :يُعرضـون علـى النار غُدُوًّا وعَشِيـيًّا !!! أمـا أهل لا إله إلا الله فلا يشعرون بوحشة في قـبورهم والقبـر المخيف يغدو روضة من رياض الجنة ، لمـاذا ؟ لأنهـم عـرفوا الله فاستقاموا على أمره ، وحَّدوه فاستقاموا على أمره .

كـنت أضـرب مثلا دخلت إلى دائرة حكومية فيها مئة موظف ومعك معاملة ، لن يستطيع أحد أن يكتب لك موافق وتأخذ ثمار هذه المعاملة إلا المدير العام فهل يمكن أن تتجه لمـا سـواه ؟ أن تـرجو عاملاً، أن ترجو موظَّفا ؟ مادام صـلاحية التوقيع للمدير فقط فلابد من أن تتجه إليه وحده ، قلت لكم سابقا أن الله قال :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(سورة النساء)

ممكـن أن يكـون لك مبلغ كبير في مدينة ، وأن تركب القطار الذي يوصلك للمدينة يمكن أن ترتكب ألف غلطة في القطار ، لكن القطار في طريقه إلى المدينة وسوف يصل في الـوقت المحـدد وسـوف تقبض هذا المبلغ ، قد تركب في الدرجـة السادسة وتكون دفعت بطاقة من الدرجة الأولى قد تخـتار عربة فيها شباب أخلاقهم شرسة قد تركب في جهة

مخالفة لجهة القطار هذا ممكن ! قد تحس بالجوع الشديد ولا تدري أنه في بعض القاطرات مطعم ، هذه كلها غلطات ولكن القطار في طريقه للمدينة وسوف يصل في الوقت المناسب وسوف تقبض هذا المبلغ .

إذن!! إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفِر ما دون ذلك لمن يشاء ومَن يُشرك باللهِ فقد افترى إثماً عظيما " لكن هناك غلطة لا تُغتفر وهي أن تتجه إلى قطار لا يوصلك إلى هذه المدينة ، كأن يكون سيسير باتجاه معاكس ؛ أو قطار آخر متوقف لا علاقة له بالحركة إطلاقا ، هنا تكمن المشكلة ، فالشرك بالله لماذا هو خطير؟ لأنك تتَّجه لما سوى الله عز وجل وما سوى الله لا شيء ... و لماذا يُعدُّ الإيمان عظيماً ؟ لأنك تتَّجِه لمَن بيده كل شيء .

إذن الخُلاصة هي : " لا معبود بحق إلَا الله " ، لا يستحق أحد أن تعبده إلا الله ، ولا إله إلا الله ، هي نهاية العلم وطاعته نهاية العمل :

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " مَن قال حين يصبح أو يمسي اللهم إنِّي أصبحتُ أشهدُك و أشْهد حَمَلة عرشِك و ملائكتَك و جميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت و أن محمدا عبدك و رسولك " أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه و من قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه فإن قالها أربعا أعتقه الله من النار رواه أبو داود ، و ما من عبد يقول أربع

مــرات : " اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيدا و أشهد حملة عرشــك و ملائكتك و جميع خلقك و إني أشهد أنك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك "إلا كتب الله له بها عتقا من النار

فــي الحقيقة إذا قارنّا الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ؛ و الشــهادات العلمــية المخــتلفة التــي يسعى الناس لنــيلها ، لــوجدنا أنه بالعصور الأخيرة صار هناك شهادات علمــية مــزوَّرة أما شهادة لا إله إلا الله ، فأنت ترى أثرها وعندئذ تطبِّق أمر الله عز و جل ، ثم أنه إذا كان آخر الزمان لم يكن لشيء من طاعة الناس فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صــلاتهم وصيامهم يشوبها أنواع من الرياء والسمعة ولا إخــلاص فــي شيء منها ، أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذِكرُ الله !!! والمــؤمن لا يذكرها إلا عن تصميم قلب ... هذه من فوائد لا إله إلا الله .

كما أن الإنسان كي يحصل على شهادة علمية فلابد أن يــبذل جهــداً و وقتاً ومالاً..هذه الشهادة نفعها وقتي ، أما شــهادة لا إلــه إلا الله فعلــيها يتــرتب مستقبله في الدنيا والآخــرة ، لذلك وجب عليه أن يبذل جهداً أكبر و بإخلاص أكثر ، و يبذل من وقته الثمين ، و يتابع الدروس ، و يتأمل و يحلّل حتى يصل إلى الإيمان بهذه الكلمة ... وإن لم يؤمن بهــا فعملــه مشــوب بالشرك والعياذ بالله . يقول الله عز وجل :

" قُل إن كان آباؤكُم وأبناؤكُم و إخوانُكُم ، و أزواجُكم ، وعشـيرتُكم وأمـوالٌ اِقتَـرَفتُموها وتِجارةٌ تَخشَونَ كَسادَها ومسـاكِنُ تَرضَـونَها أحبَّ إليكُم من اللهِ ورسولِه وجِهادٍ في سبيلِه ، فتَرَبَّصوا حتى يَأتي اللهُ بأمره ، واللهُ لا يَهدي القومَ الفاسقين (سورة التوبة – ٢٤)

فالإنسان متى يعصي الله عز وجل ؟ حين يرى أن رضى أي شيء سوى الله أثمَن من رضاه سبحانه!!!

كـنت أقـول هـذه الكلمة من يقول الله أكبر و يعصي ربـه ، فهـو لا يشعر بها و لا يحقِّقُها بقلبه ... فإذا أطاع زوجـتَه وعصـى ربـه فرؤيته القلبية أن رضاها أثمن من رضـى الله عز وجل ، حينما تُؤثِر شيئا مما سوى الله على طاعة الله أنت ترى هذا الشيء أكبر من الله لأنك بذلك جعلت إرضـاء الله درجـة ثانية ، أما إرضاء هذا الشخص درجة أولى فكلما تحقق الإنسان من كلمة لا إله إلا الله انضبط وما رأى مع الله أحدا .

هـذه كلمة التوحيد ، هذا شعار الإسلام هذه الكلمة التي يقـولها الإنسـان إذا أسلم لا إله إلا الله محمد رسول الله : التوحيد و الإيمان بالرسالة ثم الطاعة ... الإيمان بأنه لا إله إلا الله ... والإيمـان برسـالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثـم عـبادة الله مـن خلال طاعة الله و رسوله ... هذا هو الدين .

بقـيت نقطـة ، كيف يستزيد الإنسان من الإيمان بهذه الكلمة ؟ بأن يُدخلها في أسماء الله الحسنى ... لأن الله من أسـمائه أنـه إله ؛ ولا إله إلا الله ولا معبود بحق إلا الله : فإذن مَن الذي يستحق العبادة ؟ هو الخالق إذن لا خالق إلا الله ، مـن الذي يستحق العبادة ؟ هو الرازق ، إذن لا رازق إلا الله ؛ هو القوي ، إذن لا قوي إلا الله ، هو الكريم إذن لا كـريم إلا الله ، الجميل ، العليم ، المعز ، المذل ، المحيي ، المميت ، الحسيب ، الرقيب ، الشهيد ، فأسماء الله الحسنى كلهـا يجب أن تتحقق منها ، عندئذ تعلم أنه لا يُعبد إلا الله عز وجل ، والسؤال مرة أخرى : " كيف نستزيد من الإيمان بهذه الكلمة ؟ " بمعرفة الله ، فالكون خَلقُه و الحوادث أفعاله والقـرآن كلامُـه أنت ممكن أن تستقصي من القرآن الكريم الآيـات التـي تدل على التوحيد ، فإذا كان إيمانك بأن هذا القرآن كلام الله والله يقول :

ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ

(سورة البقرة آية ٢٥٥)

يقـول " لـه الخلق والأمر " ، يقول " إليه يُرجع الأمر " يقول "ما يفتح اللهُ مِن . رحمةٍ فلا مُمسِك لها . "...

هـذا الدلـيل النقلي ، أما العقلي فحينما ترى في هذا الكون انسـجام تعرف أن هناك إله واحد هناك نظام دقيق ، فالتفكر

في الكون قد يوصلك إلى لا إله إلا الله وإذا تأملت في أفعال العباد في الأفعال الإلهية .

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(سورة هود)

إذا رأيت المستقيم أكرمه الله ورأيت المُرابي محقهُ الله ، و رأيت المنحرف المعتدِي دمَّره الله إذا رأيت أن هناك أفعال مؤداها العدالة هذا شيء يمكن أن يرسِّخ إيمانك بلا إله إلا الله مع ملاحظة أن الله سبحانه و تعالى جعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء فإذا جازى المُسيء في الدنيا فهذا جزاء ردعي لبقية المسيئين و إذا أكرم المُحسن فهذا إكرام تشجيعي لبقية المُحسنين أما الحساب الكامل ، فيقول عنه سبحانه :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ



(سورة آل عمران)

فإيمانـــنا يزداد بهذه الكلمة عن طريق التفكر في الكون أولا وعـــن طريق تدبر آيات الله ثانيا وعن طريق النظر في أفعال الله ثالثا .

و الحمد لله رب العالمين

*****




السلام

السلام

أيهـا الأخوة المؤمنون : مع الدرس الثالث من دروس أسـماء الله الحسـنى والاسم الجليل من أسماء الله الحسنى السـلام ، يـا أيهـا الأخوة الأكارم ورد هذا الاسم في نص القرآن الكريم في قوله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[الحشر : ٢٣]

و ورد أيضا في قوله تعالى :

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

[يونس : ٢٥]

دعوة الله كلها ملخَّصة بدار السلام و ورد في قوله تعالى :

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾

[الواقعة : ٩٠-٩١]

وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾

[سورة مريم : ١٥]

هـذه الآيـات التي وردت في كتاب الله عز وجل وورد فيها اسم السلام ، ما معنى هذا الاسم ؟ يقول العلماء : هذا الاسم معناه أنه جل جلاله ذو السلامة ، ذو السلام أي ذو السلامة كأن تقول الرَضَاع من الرَضَاعة ، هذا الاسم أساسه الُلغوي السلامة و معنى السلامة أي أن ذاته جل جلاله سلمت من كل عيب وسلمت صفاته من كل نقص و سلمت أفعاله عن الشر ، ولكن لابد من وقفة دقيقة عند العبارات سلمت ذاته من كل نقص ، و سلمت صفاته من كل عيب ، و سلمت أفعاله من الشر ، أليس في الأرض شرور ؟ فكيف يقول العلماء في شرح هذا الاسم العظيم من أسماء الله تعالى : سلمت أفعاله من الشر ؟ .

في الإجابة على هذا السؤال ، وأنا أعلق أهمية كبرى على هذه النقطة ، لأنك إذا فهمتها فهما صحيحا أحسنت الظن بالله عز وجل وحسن الظن بالله ثمن الجنة ، هل سلمت أفعاله عن الشر المطلق ؟ ما هو الشرالمطلق الذي نفعله لذاته ؟ أي إذا كان في الإنسان التهاب حاد في الزائدة الدودية ألا يمسك الطبيب الجراح المشرط الذي نرجوه أن

يجـري لنا هذه العملية ؟ !! ألا يمسك هذا الطبيب المشرط ويشـق اللحم وينفر الدم ويخدر هذا الإنسان فبعد أن ينتهي مفعـول التخدير ألا يتألم هذا الإنسان ، هل أردنا أن نجرحه حـبا بجـراحته ؟ هـل أردنا أن نقطع هذا اللحم حبا بإيقاع الأذى ؟ أم أن هـذا الطبـيب الرحيم البارع أمسك المشرط وفـتح البطن ليستأصل هذه الزائدة الملتهبة وفي استئصالها يكـون الشفاء والراحة، فإذا جاء إنسان ليطعن إنسانا آخر بالسكين بلا سبب وبلا ذنب نقول : هذا فعل الشر المطلق أي أوقـع فـيه الأذى لذات الأذى ، أما حينما يفتح جدار البطن ليستأصـل هذه الزائدة الملتهبة فهذا ليس شرا مطلقا ؛ هذا هـو الشر الذي من أجل الخير، هذا هو الألم الذي من أجل الراحة ، هذا هو فتح الجلد الذي هو من أجل راحة النفس ، فلذلك حينما نقول : من معنى اسم الله السلام أنه ذو السلام والسلام من السلامة كما أن تقول الرَضاع من الرَّضاعة .

إذن ذات الله منـزهة عـن كل عيب ، و صفاته منزهة عـن كل نقص ، و أفعاله منزهة عن الشر المطلق ، حينما تُوقِـع الشـر لِـذات الشر فهذا شر مطلق . يا أيها الأخوة الأكـارم ، يجـب أن تعتقدوا ويجب أن تؤمنوا أنه ليس في الكـون كلـه شـر مطلق ،فهذه الشرور لا بد منها من أجل إحداث النتائج الطيبة ، فقد خُلِق الإنسان ليسعد إلى الأبد فإذا إنحـرف عـن هدفـه فلا بد من تصحيح مساره ، لا بد من معالجـته ، لا بد من دفعه ، لا بد من ردعه ، لا بد من فعل

شيء يدفعه إلى هدفه النبيل ، فالذي يؤمن بأن هناك شرور إنما تقع لذاتها فهذا لا يعرف الله أبدا ، لقول الله عز وجل :

" قُلِ اللَّهمَّ مالكَ المُلك ،تؤتي المُلك مَن تشاء وتنزعُ المُلك مِمّن تشاء،وتُعِزُّ مَن تشاء ،وتُذِلُّ مَن تشاء بيَدِكَ الخير،إنَّك على كل شيء قدير "

[آل عمران : ٢٦]

مثلا : هل في الأرض كلها أب إن رأى ابنه مارس انحرافا أو اقترف ذنبا خطيرا ، أو أخذ شيئا ليس له ، أو كذب كذبة كبيرة ، أو اعتدى على أخيه ، هل في الأرض كلها أب يقف مكتوف اليدين ؟ ألا يعالجه ، ألا يوبخه ، ألا يضربه ، ألا يحذره ، ألا يقرعه ، و هل في الأرض كلها أب يأتي إلى ابنه الحبيب الذي لم يفعل شيئا إطلاقا ويوقع به الأذى حبا بالأذى ، هذا الأب منزَّه عن ذلك،هذا الأب العادي الذي لا يملك من الرحمة والحكمة شيئا منزه عن هذه الصفة ، فما بالك بالله الذي خلق هذا الأب؟

إذن الشر المطلق لا وجود له في الكون ، وما أصابَ مِن مُصيبة فبما كسَبَتْ أيديكم" . و كلما كان الانحراف أشد كان العلاج أقصى . شيء آخر . هذا أول تعريف جل جلاله من أسمائه السلام ، سلِمت ذاته من العيوب وسلمت صفاته من النقص و سلمت أفعاله من الشر المطلق إن كل شر تراه أعينكم هو شر موظف لمصلحة الإنسان البعيدة لا القريبة ،

مثال للمصلحة القريبة : قد يفقد الإنسان ماله كله وقد أصيب بمرض عضال ، فذهب المال في العلاج فهذا الفقد للمال وهذا المرض العضال في نظر صاحبه شر خطير . ولكن حينما يُخلق الإنسان لسعادة أبدية ويكون هذا العلاج في خدمة عودته إلى الله عز وجل و أنفق المال لهذه الغاية النبيلة فهذا هو الخير البعيد . المعنى الثاني من أسماء الله أنه سلام أي ذو السلامة لعباده ليس في الوجود كله سلامة إلا منسوبة إليه . الآن أدخل معكم في موضوع ؛ والله الذي لا إله إلا هو أتمنى من كل قلبي أن نسلك معا في فهم أسماء الله الحسنى فهما بمنهج واضح جدا ، دعنا من التعاريف النظرية ؛ دعنا مما قاله العلماء ، وما أجل ما قالوه عن اسم الله السلام ، أنت كإنسان هل تستطيع أن تكتشف في هذا الكون حوادث آيات ، أدلة ، تؤكد أن الله سلام ؟ أنا سعيت ببعض الشواهد المختارة من حياتنا من أجسامنا مما حولنا لأؤكد لكم أن هذا الكون كله ماهو إلا تجسيد لأسماء الله الحسنى ، وما هو إلا مظهر لصفاته الفضلى . مثلا : الإنسان إذا كسرت عظامه كيف تلتئم ؟ لا أحد يعرف إلا أن الخلية العظمية حينما تصاب بالعطب ، والعظام حينما تنموّ في بدايتها تنمو إلى أن تصل إلى حد رسَمَه الله لها لأن الله عز و جل باسط و قابض . و من رحمة الله بنا أن الإنسان ينمو فإذا بلغ في نموه الحد المعتدل المقبول يقف النمو ، وهناك مرض خطير جدا هو أن الإنسان ينمو دون توقف ، و هو

مرض العملقة ، فرحمة الله عز وجل توقف نمو العظام عند هذا الحد . وقال العلماء : هذه الخلية العظمية تهجع وتنام ، قد يمضي على نومها أربعون عاما فإذا كسرت عظمة إنسان استيقظت هذه الخلايا وأعادت بناء ذاتها والتأمت مع أخواتها ونحن لا ندري ، لو أن العظم لا يلتئم ماذا نفعل ؟ لو أن عظم الإنسان إذا انكسر لا يلتئم ماذا نفعل ؟ فالتئام العظم يجسّد اسم الله السلام ، الله عز وجل خلقك في أحسن تقويم وخلق في طبيعة الجسم إمكانية الترميم و الإلتئام و الشفاء .
أنت إذا سرت على قدميك اللطيفتين ما الذي يضمن لك أن لا تقع ؟ إنه جهاز للتوازن أودعه الله في أذنك الداخلية ثلاث قنوات فيها سائل ، و أهداب ، فإذا مِلت على أحد محوريك ارتفع السائل في مكان دون الآخر وهذه الأشعار الدقيقة أحست بالميل فأعطت أمرا إلى الدماغ كي تعود إلى ما كنت عليه ، لولا هذا الجهاز الذي أودعه الله في الأذن الداخلية لاحتاج الإنسان إلى قدم قطرها سبعون سنتمتر ، و إلى مركز استناد واسع ، إذن من أجل سلامتك جعل الله لك هذا الجهاز جهاز التوازن في الأذن ، ومن أجل سلامتك أنت أيها الإنسان جعل الله عزّ وجَل في عظامك ، من الداخل أعصابا حسية بالغة الحساسية لماذا ؟جتى إذا كُسر العظم يبقى على حالته لأن إبقاؤه على حالته هو ثلاثة أرباع العلاج ، فجعل الله في نِقي العظام ذلك العصب الحسي البالغ الحساسية من أجل سلامتك لأن اسمه السلام .

وأعصــاب الحــس فــي الأسنان من أجل أن تبادر إلى طبــيب الأســنان فتعالج أسنانك قبل أن تفقدها كلها ، فهذا العصب الحسي البالغ الحساسية في أسنان الإنسان من أجل سلامة الأسنان و هو تجسيد لاسم الله السلام .

جهاز المناعة - وهو حديث العالم اليوم - جيش عظيم أودعــه الله في الدم : الكريات البيضاء بعض هذه الكريات تســتطلع أحــوال العدو وبعض هذه الكريات تصنع المصل المضــاد بــناء على استطلاع الكريات المستطلعة وبعضها تأخذ هذا السلاح المضاد الحيوي وتقاتل به الجرثوم وأنت لا تدري . من أجل سلامتك أودع الله فيك جهاز المناعة ، هذه الكــريات البيضــاء التي يقوم بعضها باستطلاع بنية العدو ومراكــز ضعفه وبعضها لتصنيع المصول وبعضها لمحاربة الجــرثوم إذا دخــل معتديا على جسم الإنسان ، وما مرض الإيــدز الــذي هــو شغل العالم الشاغل إلا ضعف في جهاز المــناعة ، فمــن أجــل مــاذا خلــق الله جهاز المناعة في الإنســان ؟ مــن أجــل ســلامتك . إذن هذا يجسّد اسم الله السلام .

القلــب : جعل الله عز وجل فيه مركز تنبيه كهربائي خاص به ، ما من عضلة في جسم الإنسان إلا وتأتمر بعصب حســي وعصب محرك، الإنسان عصب حسي ينقل إحساس المحــيط إلى الدماغ وعنده عصب محرك ينقل أوامر الدماغ إلــى العضــلات وهذه من بديهيات التشريح ، كل عضلات

الجسم تتحرك بأمر الدماغ لذلك الشلل من أين ؟ من الدماغ ، إذا تضيق شريان في الدماغ في منطقة الحركة يصاب الإنسان بالشلل ، إلا عضلة القلب إلا هذه العضلة فقد زودها الله جل جلاله بمركز توليد كهربائي خاص بالقلب ؛ لأن القلب خطر جدا ، المشكلة أن مركز التوليد هذا إذا تعطَّل فهناك مركز آخر يعمل بعده مباشرة والدول المتقدمة جدا عندها أجهزة توليد كهرباء احتياطي فلو أن مراكز التوليد الأساسية أصابها خلل أو عطب تعمل المراكز الإحتياطية ، في القلب ثلاثة مراكز توليد كهرباء خاصة بالقلب إذا تعطل الأول يعمل الثاني وإذا تعطل الثاني يعمل الثالث ، لماذا خلق الله هذه الإحتياطات ؟ من أجل سلامتك .

قال لي طبيب متخصص في الكليتين : لو أننا جئنا بمبضع الجراح واستأصلنا الكلية الأولى وجئنا إلى الكلية الثانية واستأصلنا تسعة أعشارها بالمبضع ، فإن عُشر الكلية الثانية يكفي لتصفية دم الإنسان ، إذن الله عز وجل – من أجل سلامتك – أعطى كليتيك عشرين ضعفا عن حاجتك، فإذا قرأت اسم الله " السلام " تذكَّر أنه زوَّدك بوسائل السلامة هذا من معاني إسم الله العظيم جل جلاله .

الأوعية مقسمة في جسدك إلى :أوردة وشرايين لحكمة أرادها الله عز وجل . جعل الشرايين في داخل الأعضاء والأوردة في الظاهر ، لإن الشريان موصول بالقلب مباشرة

فإذا أصابه جرح فقد الإنسان دمه كله لأنه مثل المضخة ، لو أن إنسانا فتح شريانه هل تدري ما يكون ؟ قال لي طبيب جراح أوعية : في أثناء بعض العمليات حينما يفتح الشريان وإلى أن نغلقه بملقط فإن الدم يصل أحيانا إلى سقف الغرفة لشدة الضغط، فهذا الشريان الذي أودعه الله في الإنسان حفاظا عليه وضمانا لسلامة صانعه (الله عز وجل) جعله في الداخل وجعل الأوردة في الخارج ، فعندما تأخذ أبرة في العرق كما يقولون هذه ليست في الشريان ولكن في الوريد ، فمَن صمَّم الشرايين في الداخل والأوردة في الخارج ؟؟؟!!!! إذن إسم الله السلام جاء ضمانا لسلامتك .

عندما يجوع الإنسان لدرجة يكاد يموت جوعا ، أنت كإنسان عندك مواد غذائية ؛ عندك مثلا بقول حبوب وعندك ...ون . فأنت مهما أوتيت من علم عظيم ... تحول هذا القمح إلى مواد دهنية إلى لحم ؟ هذا شيء فوق طاقة الإنسان ولكن الجسم مزود بآلية عجيبة جدا ، بإمكانه أن يحول المواد النشوية إلى مواد دهنية عند الحاجة ، فهذه المرونة في تحويل المواد من أجل سلامتك ... والإنسان عندما يجوع يستهلك شحمه وحينما يجوع بعد ذلك يستهلك عضلاته ، في بعض حالات المجاعات العضلات تُستهلك العضلة ،حتى لا يبقى في يد الإنسان إلا جهازه العظمي وعليه الجلد ، أما العضلات المخططة هذه فتُستهلك، تؤكل ، ماذا قال هذا الفتى الشاب لعبد الملك ابن مروان حينما دخل

عليه فقال عبد الملك ابن مروان : حينما رأى الصغار في مجلسه غضب وقال لحاجبه : ما شاء أحد أن يدخل علي حتى هؤلاء الصبيان ، فقال له : "أيها الأمير إن دخولي عليك لن ينقص قدرك ولكنه شرفني ، لقد أصابتنا سنة أكلت الشحم – أذابت الشحم – وأصابتنا سنة أكلت اللحم وأصابتنا سنة دقت العظم ، إذن أول شيء في الإنسان يُستهلك شحمه وبعد ذلك تستهلك عضلاته إلا عضلة القلب ، من صمم هذا التصميم ؟

• إذا أردت أن تميت الإنسان جوعا فإنه يستهلك كل عضلاته إلا عضلة القلب ضمانا لسلامته ، أي أنه لن يموت بسبب الجوع !!!!

بل إن في مخزون الإنسان الغذائي مخزون لا يُستهلك إلا عند المجاعات ، الإنسان يجوع ، ما معنى أنك جائع ؟ يعني مخزونك في الكبد نقص ، المخزون الغذائي في الكبد لا في الشرايين لو فحصت دم إنسان جائع لوجدت النسب كلها نظامية في دمه ، ولكن المخزون في الكبد هو الذي نقص ، هذا كله من أجل سلامة الإنسان هذا معنى " ذو السلامة " .

شيء آخر : الإنسان أحيانا ينام ، وزن جسمه الذي فوق عظمه يضغط على العضلات التي تحت العظم هذا الضغط يسبب ضيق في التروية أودع الله في الإنسان مراكز تنبيه للإحساس بالضغط فإذا تنبهت هذه المراكز لضغط

الجسم عليها ولضيق الأوردة والشرايين وضعف التروية ، الدماغ يأمر الجسم وأنت نائم بالتقليب من شق إلى شق وهذا معنى قوله تعالى :

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

[الكهف : ١٨]

والتقليب ذات اليمين وذات الشمال ، مرة إلى اليمين ومرة إلى الشمال لئلا تقع من على السرير ، هذا من أجل سلامتك .

وأنت نائم هذا الريق هذا اللعاب في الفم إذا ازداد أعطى تنبيها إلى الدماغ والدماغ أمر البلعوم فتجعل هذا اللعاب في المعدة وأنت نائم ، هذا من اسم الله السلام . أتمنى عليكم الآن أن نحاول أن نفهم أسماء الله الحسنى لا من خلال التعريفات النظرية التي أوردها بعض العلماء ولكن من خلال التفكُّرات اليومية لعل الله سبحانه وتعالى يفتح عليكم بهذا المجال .

الله عز و جل جعل أخطر عضو عندك هو " الدماغ " أين وضعه ؟ في الجمجمة ، ماذا جعل فيه ؟ أغشية بعضها فوق بعض ، وماذا جعل بين الدماغ وبين الجمجمة ؟ سائل ،

مــا وظــيفة هذا السائل ؟ هذا يمتص الصدمات ، إذا تلقى إنسان ضربة على رأسه أو وقع على جمجمته ، وإذا فسرنا الضــربة بارتجاج في السائل ، هذه الضربة أو هذا الضغط يــوزع على سطح السائل كله ، فإذا هو عُشر الميليمتر فلا يتأثر ، فالله جعل الدماغ في صندوق محكم وجعل الصندوق لـــه مفاصــل ثابــته ، هــذه المفاصل الثابته تمتص بعض الصــدمات، لــولا هــذه المفاصل لكان الإنسان لأقل ضربة تنكســر جمجمته ، أما هذه المفاصل فإنها تتمفصل تمفصلا متكــيفا مع شدة الضربة ، فكلما تعرضت الجمجمة لصدمة تــتداخل العظام مع بعضها ثم تعود لمكانها ، هذا من أجل سلامتك.

أين جعل النخاع الشوكي ؟ في العمود الفقري أخطر شيء في الإنسان .

أيــن جعــل القلــب ؟ في القفص الصدري . أين جعل الرحم ؟ في الحوض :

ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾

[المؤمنون : ١٣]

الــرحم يقع في الوسط الهندسي تماما من جسم المرأة أين جعل معامل كريات الدم الحمراء و هي أخطر معامل في جسم الإنسان ؟ في نِقي العظام ، أترون كيف هي السلامة .

أينَ وضع العين ؟ في المِحْجَر ، العين جعل لها محجرًا يقيها الصدمات ولو تلقى الإنسان ضربة على وجهه فالضربة لا تصل إلى العين ، لأنها في حصن في كوة المحجر ، فالعين في المحجر والدماغ في الجمجمة والنخاع الشوكي في العمود الفقري والقلب في القفص الصدري ومعامل كريات الدم الحمراء في نِقّي العظام والرحم في الحوض ، ما هذا الإحكام البديع ؟!!لماذا جعل الله عز وجل أنف الصغير الرضيع قاسيا ؟ لئلا ينطبق على بعضه فينغلق اثناء الوضع ، فيختنق الطفل ، ثم كلما كبر الطفل أصبح هذا الغضروف لينا ، هذا من حكمة الله عز وجل ، هذا الرحم إذا تقلص من أجل سلامة المرأة ماذا يحصل؟ يتقلص تقلصا لطيفا . هذا هو الطلق ، فإذا خرج الطفل إلى خارج الرحم تقلص الرحم تقلصا حادًا قاسيا لماذا ؟ قال : لأن الطفل حينما خرج من الرحم تقطعت عشرات ألوف الأوعية الشعرية فلو تقلص تقلصًا لينا لماتت الأم من النزيف، يمسك الطبيب أو القابلة يجس الرحم فإذا كان صخريا تعد الولادة سليمة ، لو أن هذين التقلصين عُكِسا لماتت الأم ولمات وليدها ، لو جاء التقلص عنيفا لاختنق الوليد ولو جاء رخوا لماتت الأم ، فمن أجل سلامة الأم وسلامة وليدها كان التقلص الأول لينا متزامنا متسارعا والتقلص الثاني عنيفا حادا قاسيا من أجل سلامة المرأة و وليدها .

والله أيهـــا الأخوة الأكارم لو بقينا ساعات طويلة أياما عديـــدة وأشهرا مديدة وسنوات لا تنتهي ما انتهينا من إسم الله " السلام " إذا أردنا أن نأخذه من خلق الإنسان ومن خلق الحيوان .

هذه الحوينات ، أحد إخواننا الأطباء جزاه الله خيرا ذكر لـــي قبل أيام أن هذا الحوين الذي خلقه الله في الخصيتين ، هـــذا يتم خلقه خلال ثمانية عشر يوما هذا الحوين و يخزن في الخصيتين ويعطل فاعليته ، فإذا خرج ليستقر في الرحم حيـــنما يبدأ بالإنطلاق من مكان تخزينه تبدأ فاعليته ، ولولا هـــذه الصـــفة لكان كل الرجال عقيمين ، يأتي العقم لأن هذا الحـــيوان لـــه عمـــر وعمـــره عشر ساعات فإذا صنع في الخصـــيتين ولـــم يســـتهلك يموت ، إذن يُصنع ويتم صنعه ويخـــزن وتعطـــل فاعليته فإذا انطلق من تخزينه ليستقر في الرحم بدأت فاعليته وعاش عشر ساعات إلى أن يستقر في البويضة ، هذا تصميم من ؟ تصميم الله عز وجل فأنا أتمنى عليكم وقد دخلنا في دروس أسماء الله الحسنى أتمنى عليكم أن نـــنحو فـــي فهـــم هـــذه الأسماء منحى يوازي التعاريف النظـــرية والشواهد العملية و أن نفكر تفكيرا ذاتيا حُرا في بعـــض مظاهر خلق الإنسان وخلق الحيوان و خلق النبات ، هـــذه الشـــجرة التـــي عمرها خمسين سنة وأنت تأكل منها زيـــتونا كـــل سنة لها تصميم ، تصميمها أنك إذا غبت عنها ولـــيس هـــناك مطر في السماء تستهلك ماء أوراقها ، فإذا

استهلكت ماء أوراقها كأنها تقول لك : يا صاحبي أنا عَطشَى تجد أوراقها ذبلت ، إذا ترك أحدنا شجرة دون سقي أول ماء تســتهلكه ماء أوراقها فتجد الأوراق قد ذبلت ، فإذا لم تُسقَ تستهلك ماء أغصانها فإذا لم تُسقَ تستهلك ماء فروعها فإذا لــم تُســق تســتهلك ماء جذعها فإن لم تسق تستهلك ماء جذورها وهذا آخر ماء تستهلكه.

لــو أن الآيــة عُكست في تلك الشجرة وتركت الشجرة دون ســقي أســبوعين لماتــت ، لأنها ستبدأ باستهلاك ماء الجــذر فيجف الجذر ومن ثم تموت الشجرة ، إذن منأوحى إلــى الشــجرة أن تســتهلك مــاء أوراقها أولا من أجل أن تســقيها ؟ هــذا تصميم الله للشجرة . هذا النسغ الصاعد . هناك أوعية صاعدة وأوعية هابطة في الشجرة، فحينما تنمو هــذه الشــجرة تنمو عرضًا ربمّا نموها العرضي ضيق من أوعيــتها . لــذلك هذه الأوعية ذات الحيوية البالغة للشجرة مدعمة بألياف حلزونية لئلا ينمو القشر ولحاء الشجرة على حســابه ، من صمم هذا ؟ الله سبحانه وتعالى . هذه البذرة التي جعلها الله عز وجل آية تقاوم سنوات وسنوات ، أخذوا قمحا من الأهرامات و زرعوه فنبت ، بذرة القمح كائن حي فــيها رشيم يعيش هذا الرشيم ستة آلاف عام تقريبا زرعت فأنبــتت ، الذي أراه أن أي شيء في الكون من النبات إلى الحيوان والماء ، فالماء : إذا جمد و زادت كثافته لغاص في أعماق البحار ولانتهت الحياة من على سطح الأرض ، لكن

المـــاء العنصر الوحيد في الكون الذي إذا برَّدناه قلت كثافته وزاد حجمه قطعا ، لو أنه عكس ما هو عليه الآن لأصبحت البحار كلها متجمدة ولانْعَدم البَخر وانعدم المطر ومات الزرع ومـــات الحـــيوان وتبعه الإنسان ، جرِّب بنفسك: إئت بالماء بـــرده فينكمش إلى درجة أربعة فوق الصفر مئوية، تنعكس الآية ويزداد حجمه ، هذا من اسم السلام من أجل سلامتنا ، وحينما يزداد حجم الماء،فإنه هو الذي يفتت التربة فالتربة أساســـها صـــخري بهذا الماء أصبحت مفتتة إذا فاقرأ معي قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ ﴾

[الطارق : ١١ــ١٢]

إذن ازدياد حجم الماء عند التبريد هو الذي جعل الصخر ترابا من أجل سلامة الحياة ، فإذا أردنا أن نعرف أسماء الله الحســـنىمن هذا الطريق،فهو طريق رائع جدا وواسع جدا و [illegible] كل منكم ، أي واحد منكم بإمكانه بدءا من كأس المـــاء إلـــى رغـــيف الخبز إلى أعضائه وأجهزته وخلاياه وأنسجته عليه أن يعرف أن إسم الله السلام واضح في خلقه بل في طعامه وشرابه ، ربنا عز وجل قال :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾

[الملك : ٣]

أي أن خلقه كله متقن ، وقال تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾

[طه : ٤٩-٥٠]

وتذكـر أيضاً أن هجرة الطيور من أجل سلامتها ، فهي تقطـع سـبعة عشر ألف كيلومتر، تطير بعض أنواعها ستا وثمانـين سـاعة دون توقف ، هل في الأرض كلها طائرة بإمكانهـا أن تطيـر سـتا وثمانـين ساعة من دون تزود بالوقود ؟ غير ممكن " لأنه "أعطى كل شيء خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ".

و السمكة زوَّدها الله بجهاز تعرف به أين هي من سطح المـاء ، إذا أمسـكت سمكة تجد في ثلثها الأعلى خط تحت الحراشـف هـذا خط مفرَّغ من الهواء . وهي في أعماق

البحر كلما هبطت نحو الأسفل إزداد الضغط على هذا الخط ، وهذا جهاز الضغط في كل الغواصات ، كل سمكة جهزها الله بجهـــاز ضـــغط ، تعرف أين هي من سطح الماء كلما نزلت تعرف عمق ما وصلت إليه من أجل سلامتها . أنظر إلى كل الحـــيوانات الأهلـــية التـــي هي من حولنا ترى أن سلامتها عجيـــبة هذا كله من إسم السلام . إذن معناه: إما أنه سلِمت ذاته من العيب وسلمت صفاته من النقص وسلمت أفعاله من الشر أو أنه ذو سلامة لخلقه ، فليس في الوجود كله سلامة إلا وهي منسوبة إليه أو سلم المؤمنون من عذابه أو هو ذو سلامة على أوليائه .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

[النمل : ٥٩]

أي:سلمت ذاته وسلم خلقه من كل أذى ومن كل ضرر .

من معاني هذا الاسم أن ذكر الله عز وجل يورث الأمن والطمأنينة والسلامة والدليل قوله تعالى :

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

[الرعد : ٢٨]

فـــي القلب وحشة ، في القلب خوف ، في القلب قلق لا يســـكن هذا القلق ولا تسكن هذه الوحشة ولا يأنس إلا بذكر

الله ، وأنـــا أقــول لكم هذه الكلمة : ابحثوا عن كل شيء ، لـــيس فـــي الأرض كلها شيء يمنحكم سعادة إلا أن تذكروا الله .

إن القلــوب لتصـــدأ صدأ الحديد ، قيل : وما جلاؤها ؟ قال : ذِكْر الله وتلاوة القرآن .

إذن مـــن أســـماء الله الســـلام إنـــك إذا ذكرته شعرت بالسلام ، وأنك إذا ذكرته زال عنك الخوف ، وأنك إذا ذكرته زالت عنك الوحشة ، وأنك إذا ذكرته أنست به، واطمأننت . بينما البعيدون عن الله عز وجل يأكل قلوبهم الخوف ، يختل تـــوازنـهم ينسحقون لأنـهم أشركوا بالله ما لم ينزِّل به عليهم سلطانا فألقى الله في قلوبهم الرعب ، أما علامة المؤمن فهو مطمئن .

إذن من أسماء الله السلام إذا ذكرته يمنحك السلام ، إذا ذكـــرته يمنحك الاطمئنان ، إذا ذكرته تشعر بالقرب منه إذا ذكـــرته تشـــعر أنه يدافع عنك وأنك في رعايته وفي حفظه وفي تأييده وفي توفيقه وفي رعايته يدافع عنك .

مـــن معانـــي اسم السلام أنك إذا اتصلت بالله عز وجل طهَّرتَ نفسك من العيوب وهنا ندخل في معان دقيقة ، وأول معنى أن ذاته جل جلاله تنزهت عن كل عيب وصفاته تنزهت عـــن كـــل نقص وأفعاله تنزهت عن كل شر ، أي شر ؟ هذا

الشـــر المطلق أما الشر الهادف ؟ فهذا علاج والعلاج دائما مُر .

من المعاني الأخرى : أنه ذو سلامة أي يمنح السلامة لعــباده إما في خلقهم كما تحدثنا قبل قليل وإما في نفوسهم فذكر الله يورث الأمن والطمأنينة والسلامة.

والآن فالاتصـــال بـــالله ينقّـــي النفس من عيوبها : من الـــبخل ، و الشـــح ، و الحقـــد ، و الضـــغينة ، و الحسد ، والكِبْر ... هذه الصفات الذميمة التي يشقى بها الإنسان إذا اتصلت بالله عز وجل تتنزه أنت عنها ، إذن هو ذو سلام في جســـمك أعطاك أعضاء و أجهزة و أعطاك خلايا و أنسجة و دقـــة بالغـــة فـــي جهازك العظمي و العصبي و العضلي و الدوران و الشرايين و الأوردة و إذا كنت خائفا و ذكَرته بـــث فـــي قلبك السلام فإذا اتصلت به طهَّرك من كل العيوب و النقائص جعلك طاهر النفس لأن من أسمائه السلام .

شـــيء آخـــر : الله ســـبحانه وتعالى يهدي عباده سُبُلَ السلام ، كل إنسان له بيت وأسرة فممكن أن يكون في بيته خصام ، أو شحناء ، أو بغضاء ، أو طلاق ، أو أحيانا ضرب لـــزوجته ، هذا البيت فيه شقاق ، أو ضغينة ، أو حقد ، أو مشـــاجرة ، أو نفـــور ، فإذا اتبعت توجيهات القرآن الكريم ومـــنهج النبـــي يهديك الله سبل السلام في بيتك فترى البيت وديعا فيه طمأنينة فيه راحة نفسية فيه مودة فيه مؤاثرة فيه محبة لأنك اتبعت ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا

دخلـــت إلى بيتك فسلّم على أهلك بقولك : " السلام عليكم " فيذهب الشيطان ، إن الشيطان كما قلت لكم سابقا يدخل بيتا فـــإذا دخـــل صـــاحب البيت ولم يسلم قال لإخوانه : أدركنا المبـــيت ، فيكون طوال هذه الليلة مشاكل ، فإذا جلسوا إلى الطعـــام ولـــم يســـمّوا الله قال : أدركنا العشاء ، فإذا دخل صـــاحب البيت فلم يسلّم وجلس إلى الطعام ولم يسمِّ الله قال الشـــيطان لإخوانه : أدركنا المبيت والعشاء في هذا البيت ، ومـــن معانـــي اسم الله السلام وانه يهديهم سبل السلام أنه أمـــرك أن تختار المرأة الصالحة فلما اخترتها لأنها صالحة ســـعدت بها وأسعدتها فإذا آثرتَ الجمال على الصلاح شقيت بـــك وشـــقيت بها ، هذا إن آثرت الجمال وحده ، فالجمال مطلـــوب ولكنك إنَ آثرته وحده على صلاحها أو على دينها شقِيتَ بجمالها .

ومن مظاهر الهداية إلى سُبل السلام في عملك : إذا أنت تعاملـــت بالـــربا وتـــراكمت علـــيك ديـــون ضخمة وظهرت المشكلات وتوقف البيع فجأة وعليك سندات فأفلست ، لو أنك اتبعت السنة النبوية وأمْر الله عز وجل لما وقعت في مشكلة في دخلك

إذن فـــي تجارتك يهديك سبل السلام في زواجك يهديك ســـبل الســـلام في علاقاتك بجيرانك يهديك سبل السلام هذا معنى السلام ، فأنت إذا طبقت القرآن الكريم أوصلك في كل موضـــوع وفـــي كـــل جانب إلى السلام والله يدعو إلى دار

السـلام وهـي الجـنة ، فالسلام مريح جدا فإنك تعيش في طمأنيـنة وتعيش براحة وتحس أن الله خالق الكون معك لا يتخلى عنك ولا يُسلِمك إلى عدوك ،بل يدافع عنك ويحفظك ويؤيدك وينصرك لأنك دفعت الثمن قال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

[المائدة : ١٢]

إذن مـن معانـي السـلام أن ذكـر الله يـورث الأمن ... والسلامة من معاني السلام ، أي أن الاتصال بالله عـز وجـل يُكسب السلامة من العيوب والنقائص والأدران والحماقـات والحقـد والحسد والضغينة والعلو في الأرض والكبـر . هذه الصفات الذميمة المهلكة إذا اتصلت بالله عز وجـل نقّـاك منها . من معاني السلام أنك إذا طبقت شرعه يهديك سبل السلام كقوله تعالى :

إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

[الإسراء: ٩]

أي إذا طبقت الشرع يعطيك السلامة في الدنيا ، وإذا أقبلت على الله يعطيك سلامة النفس ، وإذا أطعته في كل مناحي حياتك يعطيك سلامة الآخرة ، قال الله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ

[الحشر : ٢٣]

تصاحب أحيانا شخصا شريرا أو تشاركه في بعض أعمالك فيدمر لك حياتك ، وقد يتزوج إنسان إمرأة شريرة وفي هذا السياق حدثني شخص قال لي : إنه رآها في الملهى فأعجبته فتزوجها ، بعد أن تزوجها نشب خلاف بينه وبينها لأنها ليست منضبطة ، أنت من أين أخذتها ؟ من أين تزوجتها ؟ فذهب إلى بيت أهلها ، واسترضاها فلما استرضاها أبت إلا أن تسجل عليه مبلغ مائة ألف ليرة لترجع إليه ، رجعت إليه شكلا وأقامت عليه دعوى واتفقت مع المبلّغ ، وأخذت التبليغ من مبلّغ المحكمة ولم تبلغه لزوجها ومضت مدة الدعوى وأصبح الحكم قطعيا ، ثم سيق الزوج إلى السجن بتهمة التخلف عن دفع المهر المقدم . هكذا مجريات القضاء ، فلما علم ذلك حاول قتلها وقتل أمها وأختها في ليلة واحدة وقتل نفسه ، ولكن إصابتهم لم تكن قاتلة فأخذوا للمستشفى ونجون الثلاث من الموت الأم وابنتها وأختها وهو أصبح تحت الثرى ، ليس للإنسان سلام

إذا تـــزوج إمرأة أعجبته من مكان ساقط فدمرته .هذه قصة وقعـــت هـــنا في دمشق قبل ستة أشهر . أما إذا التزم أحدنا شـــرع الله عز وجل فإنه سبحانه يبارك له في زواجه وفي عمله وفي رزقه وفي صحته وفي أولاده يهديهم سبل السلام

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

[الإسراء: ٩]

" فَمَن اتَّبع هُداي فلا يَضِلُّ و لا يَشْقَى "

[طه : ١٢٣]

يجب أن تعرف أن السلامة كلها أن تكون مع الله . السلامة كلهـــا أن تكون وفق أمر الله . السلامة كلها في معرفة الله وفـــي عبادته ، و في فهم كتابه ، وفي تنفيذ شرعه ، و في الالتزام بما أمر .

الآن وردت كلمـــة الســـلام فـــي القرآن بمعنى آخر قال الله تعالى :

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ

[يونس : ٢٥]

ما هي دار السلام ؟ الجنة ليس فيها نغص ولا حسد ولا فيها مرض ولا فيها قلق ولا فيها خوف ولا فيها منازعة ولا فيها حروب ولا فيها شيء من هذا كله .

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ

[يونس : ٢٥ــ٢٦]

هذه دار السلام ، هذا معنى آخر . السلام ورد في آية أخرى قال :

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ

[الواقعة : ٩٠ــ٩١]

الله سبحانه و تعالى يخبرك عن سلامة هؤلاء ، يقولون : نحن في صحة جيدة وفي سعادة كبرى ، إن أصحاب اليمين يكونون في سلام في الجنة . ورد أيضا في قوله تعالى :

وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

[مريم : ١٥]

قال بعض العلماء واسمه سفيان ابن عُيَيْنَة : أوحش ما يكون العبد في ثلاثة مواطن ، يوم وُلِد . كان في الرحم

مسرورا ومرتاحا من المتاعب والمشاكل وخرج إلى الدنيا ، طبعا هو انتقل من مكان ضيق إلى مكان واسع ولكي يألف الدنيا يبكي فورا ، ثم يوم يموت يدع كل شيء زوجته و أولاده وبيته وغرفة نومه ومكتبته ومركبته ومحله التجاري وعنده يوم في الأسبوع يجتمع فيه مع أصحابه ، له رغباته وميوله ، فلما توقف قلبه يأخذونه إلى القبر ، خرج بلا عودة وترك كل ما ذكرناه آنفا .

هو الذي زيَّن البيت ورتبه وعنده مكتبته الخاصة وغرفته الخاصة يضع فيها حاجاته الشخصية بعض الهدايا المهداة إليه يتمنى أهله أن يفتحوا درجه فلا يسمح لهم في حياته وعندما يسلم الأمانة يفتحون الدرج ويأخذون السيارة ويفتحون المحل ويرتبون ويبيعون و يشترون هكذا تجري الوقائع فلذلك ويوم يموت ويوم يبعث حيا

قالت : يا رسول الله أيعرف بعضنا بعضا يوم القيامة ؟

قال : نعم يا أم المؤمنين إلا في ثلاثة مواطن ، عند الصراط وعند الحشر وإذا الصحف نُشِرَت .

فتقع عين الأم على ابنها تقول له : يا ولدي ألم أجعل لك بطني وعاء وصدري سقاء وحجري وطاء هل من حسنة يعود علي خيرها ، يقول : آه يا أماه إنني أشكو مما أنت منه تشكين لا أستطيع ، قال ربنا عن سيدنا يحيى : وسلام

عليه يوم ولد ، أصعب يوم لديه ومثل ذلك ويوم يموت ويوم يبعث حيا . فأمنه الله إذ قال : " و سلام عليه "

فإن الإنتقال من بيت لبيت صعب فقد ألِف جيرانه وألِف إخوانه وأحبابه والإنتقال إلى بيت آخر،فلذلك

وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

[مريم : ١٥]

الآن ورد كلمة سلام في القرآن بمعنى آخر قال :

" وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما "

[ألفرقان : ٦٣]

شاهد شخص سيدنا عليا في المنام فقال له : سلاما سلاما ، استيقظ الشخص وهو سعيد جدا ، وروى ما رأى على أحدهم فقال له : تفسير منامك أنك جاهل لقوله تعالى : " ما معنى سلاما " ؟ هناك أشخاص أصلحهم الله صالحون إذا خاطبهم شخص يقولون له سلام ، ما سلام هذه ؟ العلماء قالوا معنى سلام : تكلموا كلاما لا عيب فيه لا خطأ فيه لا جهل فيه لا قسوة فيه لا تطاول فيه لا إهانة فيه لطيف رقيق . إن كلمة " سلام " وحدها لا تفيد ذلك الشخص الذي لعله أساء وأخطأ بل على الصالحين أن يعظوه وينصحوه .

" ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك "
[آل عمران : ١٥٩]

لا غلط فيه ولا جهل ولا مبالغة ولا كذب ولا تدليس ولا إحتيال ولا غش ولا معاني مبطّنة .

" وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " [الفرقان : ٦٣]
ليس معنى ذلك : قل له سلام ، قالوا : كلاما سليما من كل عيب من كل خطأ من كل جهل من كل قسوة من كل تطاول من كل عدوان من كل إهانة هذا معنى " سلاما " . أيها الأخوة : وبعد ، فما واجب المؤمن بالنسبة لهذا الإسم ؟ المؤمن الحق من سلم من المخالفات الشرعية سرا وعلنا ، وبرئ من العيوب ظاهرا وباطنا ، قال الله عز وجل :

وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ

[الأنعام : ١٢٠]

أي أن يكون سليما من الذنوب بريئاً من العيوب ولتكن على هذا النحو علاقتنا باسم السلام ، ليتحقق لنا معنى الآية الكريمة :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)

[الشعراء : ٨٨ـ٨٩]

القلب السليم ، هو القلب البريء من الشك والشرك ،

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟

[الحجرات : ١٥]

فالسليم من برئ قلبه من الشك والشرك ومن النفاق والشقاق والرياء والمداهنة ومن سلمت نفسه من الشهوات وسلم عقله من الشبهات ، لا شبهات في عقله ولا شهوات في نفسه وألقى الشك والشرك والنفاق والشقاق والرياء والمداهنة جانبا بل تحت قدميه . الآن هذا واجب المؤمن من حيث اسم السلام أما ما حقه على الله هذه أهم نقطة في الدرس :

أنت آمنت وفكرت في الكون وتعرفت إليه واستقمت على أمر الله وحضرت مجالس علم وضبطت شهواتك وضبطت جوارحك وغضضت من بصرك عن محارم الله نزهت أذنك عن سماع الغناء لم تختلط مع النساء الأجنبيات وكنت ملتزما ولم تخالف الشرع فما لك عند الله بعد ذلك ؟؟؟ اسمعوا ما قال العلماء في هذا الموضوع قالوا : " أي عبد طبق أمر الله عز وجل و أقبل عليه فحق المؤمن على الله أن يسلّمه . من ماذا ؟ قال : أن يسلّمه في الدنيا من المؤذيات وأن ينيله ما فيها من الخيرات لك عند الله حق ، هناك مصائب خطيرة جدا و أنت مؤمن والمؤمن حساس وربنا عز

وجـــل بعـــلاج لطيف بينك وبينه ينبهك ، ويكف عنك العذاب المهين العذاب الأليم العذاب العظيم كما يدفع فقرا يكاد يكون كفـــرا أو شـــقاقا أو خـــيانة زوجـــية أو قـــتلا ، فالمـــؤمن حيـــنما يستقيم على أمر الله يسلمه من المؤذيات وينيله من الخيـــرات ، الدنيا كلها متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة زوجـــته صالحة ، أولاده أبرار ، رزقه في بلده سمعته طيبة نظـــيفة وأخلاقـــه عالية محمود السيرة و محبوب هذه من ثمـــرات الاســـتقامة ، الله عز وجل اسمه السلام يسلمك من المـــؤذيات و يمنحك الخيرات هذه سلامة الدنيا . فما سلامة الدين ؟ اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، قال : ســـلامة الـــدين في ثلاثة مقامات ، في مقام الشريعة ومقام الطريقة ومقام الحقيقة .

فـــي مقـــام الشـــريعة يسلم عقلك من البدع والشبهات ويســـلم قلبك من الهوى والشهوات ، لا يوجد في عقلك بدع ولا أغلاط كبيرة لا عقيدة زائغة ولا عقيدة فاسدة يسلم عقلك مـــن الـــبدع والشـــبهات ويســـلم نفسك من الشهوات ومن الهوى .

وأمـــا في مقام الطريقة فعقله أمير على شهوته وعلى غضبه وليس أسيراً لهما . عقله هو الأمير ينقاد هواه لعقله ولا ينقاد عقله لهواه هذا سلامة في مقام الطريقة .

وأما سلامتك في مقام الحقيقة فلا تلتفت إلا إلى الله .

لذلك المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويده

قـال بعض العلماء : كيف يسلم الناس من لسانه ويده وهو لم يسلم من نفسه فهو أسير نفسه وأسير شهواته .

و الحمد لله رب العالمين

******


المؤمن



المؤمن

أيها الأخوة المؤمنون : إن الإيمان بوجود الله عز وجل ، دون أن تتعرف إليه يعني أنك لم تفعل شيئا ، لأن الشيطان نفسه ماذا قال حينما خاطب الله عز وجل ؟ قال : " ربّ فَبِعِزَّتِك " فعبارة الشيطان تدل على إيمانه بالله ، ورغم ذلك فهو رأس الكفر كله . فأن تؤمن بوجود الله فقط من دون أن تتعرف إلى أسمائه ، و ربوبيته ، و ألوهيته ، و أسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، و مناحي عظمته ليس كافيا ، أن تؤمن بالله خالقا و كفى الأمر ليس كافيا أيضا ، فإنّ ربنا سبحانه وتعالى قال :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

[العنكبوت : ٦١]

إذن من لوازم الإيمان بالله ومما يجب على المؤمن ، أن يتعرف إلى أسماء الله الحسنى ، أي أحيانا تعرف أن فلانا جار لك غير كاف لكن تحب أن تعرف عنه تفصيلات ، تعرف عنه شيئا من علمه ، وشيئا من أخلاقه ، من أعماله ، من تفوقه ، هذا فيما بين الناس ، فلا تكون المعرفة صحيحة إلا

إذا عرفت الصفات و الأسماء ، فلذلك من لوازم الإيمان بالله عز وجل أن تتعرف إلى أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى

والحقيقة أن الكون كله تجسيد وإظهار لأسماء الله الحسنى ، فكل أسماء الله تبدو لك من خلال الكون ، و لكننا لا نستطيع أن ندرك ذات الله عز وجل لقول الله سبحانه :

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣)

[الأنعام : ١٠٣]

أن ترى ذات الله مستحيل ، لكنك تستطيع أن تتعرف إلى ذاته من خلال خلقه ، فالكون يدل على المُكوِّن ، و النظام يدل على المُنظِّم ، والتسيير يدل على المسيِّر ، والماء يدل على الغدير ، والأقدام تدل على المَسير ، والبعر يدل على البعير ، أسَمَاء ذات أبراج ، وأرض ذات فِجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

فيا أيها الأخوة الأكارم لماذا يجب أن نعرف الله ؟ كي نعبده ، ولماذا نعبده ؟ كي نسعد بقربه في الدنيا و الآخرة لأن الله سبحانه وتعالى في الأصل خلقنا ليسعدنا، ولا نسعد إلا به ، ولا نسعد إلا إذا كان عملنا طيبا ، ولن يكون عملنا طيبا إلا إذا تعرفنا إلى عظمته ، لذلك قال ربنا عز وجل في وصف بعض أهل النار : " إنه كان لا يؤمنُ بالله العظيم "

(الحاقة : ٣٣) أي يجب أن تعرف عظمة الله ، فإن لم تعرف عظمة الله فلابد من أن تخترق حدوده ولابد من أن تتجاوز أوامره ، أما إذا عرفت عظمة الله عز وجل تعاملتَ معه بما يليق بجلاله وكماله. وكنت أضرب لكم أمثلة كثيرة منها : جاءك أمر مكتوب والتوقيع للضابط فلان بنجمة واحدة ، إن احترامك لهذا الأمر على قدر هذه النجمة وإذا كان نجمتين قد يكون الاحترام أكثر ، وإذا كان نسراً أو نسرين .. إلخ .... كلما علت الرتبة يصبح الاهتمام أكبر ، فكيف إذا كان قائد الفرقة أعطاك أمراً مثلا . فالقصة كلها يجب أن تعرف من هو الله ، كي تطيعه وتقبل عليه وترجو ما عنده ، وتخاف وعيده ، لن تخاف وعيده ولن ترجو ما عنده ولن تقبل عليه ولن تسعى إليه ولن تستسلم لقضائه ولن ترضى بحكمه إلا إذا عرفته ، إذا عرفته رضيت بقضائه ورأيت حكمة ما بعدها حكمة ، ورأيت عِلما ورأيت رحمة ورأيت لطفا ورأيت عطفا ورأيت عدلا ، فكلما عرفته كلما استسلمت له وأقبلت عليه وخضعت له وائتمرت بأمره وانتهيت عن ما نهى عنه ، أقبلت على عبادته وخدمت عباده ، فنحن يجب أن نعرف الله ، أما أن تقولوا : الله خالق الكون ، هذه معرفة بسيطة لا تقدم ولا تؤخر ، وهذه المعرفة لا تحجزك عن محارم الله ، هذه المعرفة في مجموعها لا تحملك على طاعة الله ، تقول الله خالق الكون ولك مخالفات كثيرة ، تقول الله خالق الكون

ولــك انحرافات كثيرة ، تقول الله خالق الكون ولك طموحات دنــيوية كثيــرة ، أمــا إذا عــرفت مــن هو الله وهذا هو الهــدف مــن هــذا الــدرس وأن تــزداد معرفتنا بالله لأنه كلمــا ازدادت هــذه المعــرفة كلما ازداد الخشوع و الطاعة و الخــوف و الإقــبال و الاستســلام و الرضا و الانصياع و الفــداء و التضــحية و الإخــلاص ، أي إن حجــم عملك بحجم معرفتك و حجم سعادتك بحجم عملك أي إن الدين كله يمكــن أن يُلخَّــص بــثلاث كلمــات : معــرفة ، و طاعة ، و ســعادة ، علــى قدر معرفتك تطيع الله عز و جل و على قدر طاعتك تسعد به .

إذن هــذه الأسماء الحسنى لا ينبغي أن نعرف تعريفاتها الدقــيقة فقــط بل يجب أن نملك عشرات بل مئات بل ألوف الأدلة النابعة من الكون على هذه الأسماء ، لذلك منّ علامة معــرفتك بــالله عــز وجل أن ينطلق لسانك في الحديث عن أسمائه ساعات طويلة ، حدثنا عن اسم اللطيف أو عن اسم الــرحيم أو عن اسم الملك أو عن اسم القدوس أو عن اسم الســلام ، فالذي أرجوه وأتمناه على الله عز وجل أن يملك أحدكم بحثا ذاتيا وأن يكون له جولات في هذا الكون ليكتشف مــن هذا الكون الأدلة الناصعة على أسماء الله والأولى أن نبقــى نجول في كل فترة أو في كل حين مع اسم من أسماء الله الحسنى ، فيا أيها الأخ الكريم : إن وجود الدماغ في هذا الصــندوق العظمي هذا من اسم السلام ، و النخاع الشوكي

في العمود الفقري من اسم السلام ، ومعامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام من اسم السلام ، والقلب داخل القفص الصدري من اسم السلام والعين في محجر العين من اسم السلام و الرحم في حوض المرأة من اسم السلام والجلد من اسم السلام والشريان في داخل العضلات والوريد في خارجها من اسم السلام وأول مولد كهربائي في القلب والثاني والثالث فإن تعطل الأول يعمل الثاني وإن تعطل الثاني يعمل الثالث هذا من اسم السلام وكلما سد شريان فتح شريان آخر هذا من اسم السلام و التئام العظام بعد طول نوم من اسم السلام و التئام الجروح من اسم السلام هذه أدلة كثيرة في خلق الإنسان ، ومثال آخر من عالم النبات : الشجرة إذا انقطع الماء عنها تستهلك ماء الأوراق أولا ثم ماء الفروع ثم ماء الأغصان ثم ماء الجذع ثم ماء الجذر من اسم السلام ولكل حيوان مايقيه الحر والقر صوف الخروف من اسم السلام ، أي أتمنى عليكم أن يجول هذا الفكر في الكون حتى تنتهوا من هذه الجولات إلى معرفة عميقة أو إلى مزيد من معرفة أسماء الله الحسنى .

ولو تكلم آخر على اسم السلام ، فقال هناك قصة سيدنا موسى أيضا من أفعال الله عز وجل عن اسم السلام لقوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

{القصص }

لكان هذا المتخنم مصيبا ومنبها لغيره ومعلما .

وهـــذه آية قرآنية تؤكد أيضا اسم السلام الموجه لسيدنا إبراهيم قوله تعالى:

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

{الرعد : ١١ }

والآن نعود إلى اسم الله :وهو المؤمن.

يا أيها الأخوة الأكارم :

لا يرضـــى ملك من الملوك أن يُسمَّى أحد أفراد رعيته باسمه وهو (الملك) من بني البشر يأكل كما نأكل ويشرب كمـــا نشـــرب ويـــنام كمـــا ننام وله جسم ويعطش ويجوع و يغضـــب ويـــثور و يمرض ويموت أي لا فرق بين الملك

وبــين أحــد الرعايا عنده من حيث التكوين الجسمي : ومع ذلــك تأبــى عزته و تأبى كبرياؤه أن يسمَّي أحد من أفراد رعيته اسمه باسمه ، ولكن الله سبحانه وتعالى سمانا بعد أن عــرفناه وطبقنا أمره سمانا مؤمنين والمؤمنون جمع مؤمن وسمى نفسه المؤمن وذلك بقوله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[الحشر: ٢٣]

لكن هذا الاسم يحتاج إلى وقفة ، الله عز وجل مؤمن ، ولكــن مــؤمن بماذا ؟ نحن مؤمنون بالله ، ونحن مؤمنون برســول الله ، مؤمــنون باليوم الآخر ، الله عز وجل مؤمن بمــاذا ؟ قالــوا : المؤمن اسم فاعل من فعل أمن يأمن أمْنا وأمانا ، فعل أمن له معنيان : المعنى الأول التصديق فعندما يقرأ الإمام سورة الفاتحة وعند انتهائه يقول المصلين جميعا آمــين أي يــارب نحــن نصــدق مــا قال هذا الإمام ونحن معــه ، فإمــا مــن التصديق وإما من الأمن ، فعل أمِن ... فمعنــى التصــديق تشــرحه آية قرآنية،و تؤكد على ذلك ، وهي :

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

[يوسف : ١٧]

هــذا من التصديق ، وأما المعنى الآخر فمن الأمن قال تعالى :

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾

[قريش : ٤]

فاسـم الله تعالـى المؤمن مأخوذ من التصديق أو من الأمن ؟ وكيف نفهم هذا الاسم بالمعنى الأول ؟

الحقيقة الإنسان قد يعرف ذاته وقد لا يعرف ذاته ، فإذا لم يعرف ذاته وخاض في شيء ولم يكن من مستواه يخسر خســارة كبيرة ، نقول : آه لو عرفت ما عندك لما دخلت في هذه الورطة ، فهذا الذي يقدم على شئ ليس في مستواه لا يعــرف حقــيقة مـــا عنده لا يعرف حقيقة إمكاناته ، هذا لا يعــرف ذاتــه أمــا هناك من يعرف ذاته حق المعرفة فتأتي الأفعــال كلهــا وفق ما عنده ، هذا مثل ضربته لكم لتوضيح الحقائــق فمــن أول معانــي المؤمن أن الله سبحانه وتعالى

يعـرف ذاته ويعرف أسماءه ويعرف كل ما عنده هذا معنى أول .

المعنى الثاني : أن الله سبحانه وتعالى يصدق رسله ، بعـث النبي محمدا رسولا ، صدقه أي جعل الناس يصدقونه بالمعجـزة ، بعـث موسـى نبيا وصدقه ، أي جعل الناس يصـدقونه بالمعجـزة ، أرسل سيدنا عيسى رسولا فأعطاه معجـزة كي يصدقه الناس بها ، إذن المعنى الثاني صدق . أي كـل شـيء وعـد الله بـه المؤمنين يأتي فعله مصداقا لـوعده ، وعدك بالحياة الطيبة فإذا عشت الحياة الطيبة فقد صدقك بمعنى أن فعله جاء مصداقا لوعده ، أن يأتي فعل الله عـز وجل مصداقا لوعده يصدق أنبياءه أي يعطيهم الدلائل يجعل الناس يصدقونهم يعطي المؤمن دلائل ، أنت أيها الأخ الكـريم تقـرأ القـرآن ما لذي يجعلك تتشبث به وتتعلق به وتتمسـك به ؟ لأن الأحداث التي تعيشها تأتي كلها مصدقة لهذا القرآن ، إذا استقمت في البيع والشراء شعرت براحة و وفر الله لك دخلا طيبا وساق الناس إليك وإذا كنت أمينا رفع الله اسمك بين الناس ، فأي وعد وعدك الله به إذا أنت طبقت مـا أنت مأمور به تأتي الحوادث كلها لتصدق لك هذا الوعد أو لترى أن هذا الوعد صادقا ، فمن معاني المؤمن أنه يجعل أنبـياءه مصـدَّقين يدعمهم بالمعجزات يجعل قرآنه مصدقا بمعنـى أنـك إذا آمنت به وعملت عملا صالحا أذاقك الحياة الطيـبة ، ما الذي جعلك تصدق بكلامه هذه الحياة الطيبة ،

ـ المعيشة الضنك تجعلك تصدق بهذه الآية ، إذا اهتديت بهدى الله عز وجل في كل مناحي حياتك ترى أن الحوادث كلها تصدق ما جاء به القرآن الكريم ، إذن الله عز وجل مؤمن أي يجعل عباده مصدّقين ، لأن أفعال الله عز وجل كلها تأتي مصداقا لوعده ولوعيده ، قال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

[الحج : ٣٨]

لابد من أن تشعر بأن هناك حالات كثيرة تواجهك فيقيض الله لك إنسانا لا تعرفه يدافع عنك بإلهام من الله عز وجل ، وحينما يقول الله عز وجل :

قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾

[طه : ١٢٣]

تشعر أنك مهتد وأن لك رؤية صحيحة وأن لك بصيرة نافذة وأن تفسيرك للحوادث صحيح لأنك اتبعت أمر الله عز وجل فجاءت الحوادث مصداقا لما قاله الله عز وجل .

هـذا معنـى من معاني المؤمن ، الحقيقة كما قلت قبل قليـل أروع ما في الدين أنه يعطيك تفسيرا للكون و الحياة و الإنسـان ، و مهما عشت و مهما تبدلت الظروف و مهما ظهـرت معطـيات جديدة و مهما ظهرت أحداث جديدة كلها ضمن تأويل الله عز و جل لهذا الكون و الحياة و الإنسان ، فأنـت حيـنما تقـرأ القـرآن لن تفاجأ بحادث لم يرد معك بالقـرآن ، لـو مثلا أعطيت تفسيرا لظاهرة من الظواهر قد تفاجـأ بعـد حين أن هناك حدثا أبطل نظريتك ، وما أكثر ما جـاء العلـم بنظريات ثم جاءت الحوادث فأبطلتها ، أما إذا قرأت القرآن وهو من عند الله عز وجل لن يأتي حادث يكذب مـا قرأت في القرآن، هذه نقطة دقيقة جدا فالقرآن جاء قبل أربعة عشر قرنا والعلم تطور تطورا كبيرا جدا ، و معطيات القـرآن صحيحة وثابتة منذ أن خلقت البشرية و إلى ما قبل خمسـين عامـا في كفة ومنذ خمسين عاما إلى الآن حدث تطـور علمي رهيب جدا تجده في الكفة الأخرى ، و مع كل هـذا التطور فليس في العلم حقيقة تخالف هذا القرآن معنى ذلـك أنـك إذا قرأت القرآن تطمئن ، الأمور وحوادث الكون و المجرات و الأنواء و النبات و الحيوان والإنسان كل هذه الحـركات تأتي مصدّقة لكلام الله عز وجل ، فالله مؤمن أي كلامه يجعلك تصدقه لأن أفعاله تصدق كلامه ، هذا معنى من معاني المؤمن .

و إليك معنى آخر : هو أن الله سبحانه وتعالى يهب الأمن للإنسان ، كيف ؟ هنا المعنى الدقيق ، فلو أن الحديد تارة يكون قاسيا وتارة يكون لينا تنشئ البناء وأنت خائف ، لعل هذا الحديد بعد حين يصبح لينا فيتداعى البناء ، لقد جعل الله للحديد خصائص ثابتة دائما فإذا وضعت هذا الحديد مع الأسمنت وأشدت البناء وأنت في الطابق التاسع تنام مطمئن ، ما الذي جعلك تطمئن ؟ ثبات صفات الحديد.. فلو أن صفات الحديد تبدلت لانهار البناء .

فيمكن أن نقول : ثبات خصائص المواد هو الذي يهب الأمن للناس ، ثبات حركة الأرض ، هذا الجامع شيد منذ سنوات عديدة فلو أن هناك اهتزاز أثناء الدوران كل هذه الأبنية سوف تنقض وتقع ، فالأرض تتحرك بسرعة ٣٠ كيلو متر بالثانية و هناك سكون رهيب ومن أجل أن تعرف قيمة السكون الحركي تأتي الزلازل أحيانا على مدينة بأكملها ويصبح عاليها سافلها بثوان قليلة ، إذن حركة الأرض مع سكونها واستقرارها مصداقا لقوله تعالى :

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

[النمل : ٦١]

أعطاك الأمان ، اشتريت بيتا في الطابق العاشر ، تعرف أنـــه بـــيت مستقر ، أما لو كان هناك اهتزاز ينتهي الأمان كلـــه . ولا تســـتقيم الحياة لو لم يكن هناك ثبات ، فلو انك اشتريت بذورا تُنبت نوعا من النبات ، وقمت بزراعة البطيخ مـــثلا وكان الإنتاج بدورة لاختلطت الأمور وفسدت الحياة ، فثبات البذور حيث كل بذر له خصائصه نعمة ومنة وأمان ، هناك شيء آخر غير الثبات ، هناك آلاف الأنواع لكل نبات: هـــذا الـــنوع إنتاجه مديد ، وهذا النوع إنتاجه مبكر ، وهذا الـــنوع إنـــتاجه صناعي ، هذا للنقل ، هذا للاستهلاك ، هذا للمائدة ، هذا يقاوم أمراض معينة .... فحتى البذر نفسه له خصـــائص و الخصـــائص ثابتة ، ما لذي يهبك الأمن وأنت تـــزرع ؟ ثـــبات الخصـــائص . إذن يمكن أن نقول إن ثبات خصـــائص المـــواد هو الذي يهب الإنسان الأمن ، الشمس تشرق دائما من الشرق لا يوجد مفاجآت ، كما أننا لا نحتج إلـــى دعاء لكي تُشرق الشمس : ، يا رب الشمس لم تظهر الـــيوم أظهرها لنا! فقد طمأنك ربك ، الشمس دائما تشرق ودائما تغيب و الأرض دائما تدور و يكفي أن تأخذ ورقة من الـــتقويم (النتـــيجة) و أن تقـــرأ : الفجر الساعة الخامسة وثمانـــي عشرة دقيقة و الشمس الساعة السادسة و ثلاثين دقـــيقة ، هذه منذ متى ؟ منذ خمس أو ستين عاما و لمائة سنة قادمة ولألف سنة قادمة و لمائة ألف سنة قادمة إلى أن تنتهـــي الدنـــيا ، دِقـــة ما بعدها دِقة على مستوى الدقائق

والثوانـــي . أرض بأكملها تدور حول الشمس وهناك نجوم تضـــبط علـــيها الساعات هذه الساعات الشهيرة في العالم . يقـــول القائـــل ضـــبطتها علـــى " بيج بن " ، هذه الساعات الشهيرة كيف تُضبط ؟ إذا كانت هذه الساعات التي في أيدينا تضبطها على هذه الساعة الشهيرة ، وهذه الساعة الشهيرة كيف تضبطها ؟ تضبط على حركة نجم من النجوم .

إذن ثبات الدوران ، ثبات السرعة ، ثبات الحركة، ثبات الزاوية ، هذا يعطي الإنسان النظام الثابت يجعل فيه الأمن ، إذن مـــن الممكن أن نقول : صفات المواد الحديدية ثابتة ، شـــخص اشترى إسورة ذهبية ودفع ثمنه عشرين ألفا ، بعد فتـــرة تـــبدل نـــوع المعدن أصبح تنكا . والله هذه مشكلة ، الـــذهب ذهـــب والتـــنك تـــنك والحديد حديد والفضة فضة والقصدير قصدير والألمنيوم ألمنيوم ، ثبات صفات المعادن هـــذه تهـــب الأمـــن للإنسان هذه نعمة لا نعرفها نحن لأنها مألوفة ، يقولون : شدة القرب حجاب لأن هذه النعمة مألوفة جدا كأنها لم تكن مع أنها نعمة عظيمة .

إذن من أسماء الله عز وجل أنه مؤمن فهو مؤمن إذا قرأت كتابه جاءت الحوادث كلها مصداقا لكلامه ومؤمن يهب الأمن للإنسان عن طريق ثبات صفات المواد .

ثـــبات الأنظمـــة ، قانـــون الحركة ثابت ، التمدد ثابت، قوانـــين الجسم كذلك تجد طبيبا في آخر الدنيا يصنع دواء يستعمل في طرف آخر من أطراف الدنيا هذا الدواء يؤثر في

بذا الجسد ما معنى ذلك ؟ أي أن كل أجساد بني آدم من بنية واحــدة ، فهــناك أمن وأمان . مثلا القلب ؛ تجد طبيبا ذهب إلـــى أمريكا درس عن القلب ، لو ذهب إلى إفريقيا إلى آسيا إلى أو فيانوسيا إلى أوروبا إلى أي مكان في العالم وفتح قلبا وجد شرايينه وأعصابه ومراكزه الكهربائية كلها بدقة تامة . فلكي تُعلّم الطب يكفي أن تشرح إنسانا واحدا فكل إنسان إذا عالجته تكون بنيته وأعصابه وأوردته وشرايينه و عضلاته وفق هذا النموذج ، ومع ثبات الأنظمة أيضاً ثبات خصائص المـــواد ، أحيانا الله عز وجل يعطي للمواد مضادات ، النار محرقة والماء يطفئ النار ، أي أنه أعطاك لكل شيء خطر ما يقضي على هذا الخطر، كل شيء ، الأدوية ! وباء نباتي هــناك أدوية بإمكانها أن تقضي على هذا العنكبوت أوَ على هذا الفطر أو على هذه الحشرة ، فالله عز وجل من أسمائه المؤمن أنه يهب الأمن للإنسان .

لقــد ســمى العلماء الألم : جهاز إنذار مبكر ، فالإنسان يــتلف سِــنّهُ جــزئيا فيــتألم ألما شديدا فيذهب إلى الطبيب فيصون هذا السن ، لو لم يكن هناك عصب يُشعِرك بالألم،لما كــان هــناك وقاية لهذا السن ، إذن الألم من أجهزة الإنذار المبكر. فكل خطر من أخطار الدنيا جعل الله له وقاية .

الإنســان إذا اســتعان بــالله عــز وجل يقيه من زلات المعاصي لقوله تعالى :

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

[الفاتحة : ٥]

لذلك قال الأمام الشافعي : "والله لو أن السماء من نحاس والأرض من رصاص والخلق كلهم عيالي لما خشيت فقرا " ، والحقيقة لو أردت أن ترى الفرق الجوهري بين حياة المؤمن وحياة غير المؤمن ، لوجدت أن الصفة الأساسية هي الأمن قال تعالى:

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

[الأنعام : ٨١]

تجد قلوب أهل الدنيا فارغة ، عُرضة للمخاوف ، عرضة للمقلقات ، عرضة للذعر ، للخوف ، لتوقع المصيبة ، لكن ربنا عز وجل إذا آمنت به ملأ قلبك إطمئنانا ، ملأ قلبك استقرارا ، ملأ قلبك رضى بقضائه ، ملأ قلبك معرفة بكماله ، هذا كله من أسماء المؤمن . وهناك أمر آخر : كيف تأمن عذاب الله في الآخرة ؟ أعطاك الكون و أعطاك العقل و أعطاك الفطرة و أعطاك الشهوة و أعطاك

الاختيار و أعطاك القوة و هذه كلها مقومات النجاة في الآخرة ، أحيانا تشعر أن الله عز وجل إذا أقبلت عليه تأمن القلق و تأمن المرض و تأمن الضيق و تأمن التعب و تأمن الخوف فالله سبحانه وتعالى مصدر أمن وأمان للبشر ، بعض الجهات تقلقك ولكن اسم الله المؤمن ، أي إذا سرت معه واتبعت أمره فأنت في أمن وسلام هذا المعنى الذي يليق بالله عز وجل فيما يتعلق بالمؤمن ، هو يعرف ذاته يوجد إنسان لا يعرف إمكاناته بالضبط فقد يقدم على شيء ثم يندم يقول لم أكن أعلم ، لكن ربنا عز وجل أسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها فُضلى وهو يعرفها كلها.. هذا المعنى الأول ، مؤمن بذاته . كما أنت مؤمن به هو مؤمن بذاته . "

من الناس من يدري ويدري أنه يدري فهذا عالِم فاتبعوه ، و منهم من يدري ولا يدري أنه يدري ... فهذا غافل فنبِّهوه ، ومنهم من لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري فهذا شيطان فاحذروه ، ومنهم من لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلّموه" . أنا أريد منهم من يدري ويدري أنه يدري ، أن الله عز وجل مؤمن ، والمعنى الثاني من التصديق : أي شيء وعدك الله سبحانه وتعالى به في القرآن فزوال الكون أهون على الله من أن تأتي الأحداث مخالفة لما وعدك به ، وعدك بالنصر والنصر واقع لا محالة ، وعدك أن يدافع عنك ، وعدك أن يحفظك ، وعدك أن يرزقك ، وعدك أن يطمئنك ، وعدك بالأمن وعدك

بالتمكــين وعدك بتمكين دينك وعدك بالاستخلاف وعدك أن يكــون معــك ، قلت لكم في درس سابق أتمنى على الله عز وجــل أن تستنبط من كتاب الله الآيات التي هي ثمار الإيمان فــي الدنيا ، فكلما قرأت آية رأيت الحوادث جاءت لتحققها ، إذن فكلام الله حق ، الأفعال كلها تصدِّق كلام الله عز وجل ، هذا المعنى الثاني .

المعنى الثالث أنه يهب الأمن ، وبشكل بسيط نذكر العين فــإذا قدت مركبتك في النهار تشعر بأنك مطمئن لأن الرؤيا بعــيدة جدا ، أما في الليل فيوجد الانبهار والأضواء فتشعر بقلــق . فالقــيادة فــي اللــيل يرافقها القلق وفيها مفاجآت فالضــوء الموجــود في المركبة لا يكشف كل شيء وأمده محدود فكلما كانت الرؤية أطول كان الأمن أكثر إذن أعطاك العــين كي ترى طريقك ، أعطاك الأذن فإذا وجدت حركة في اللــيل فــالأذن تكشــفها . إذن السمع المرهف أحد وسائل الأمــان ، العين أحد وسائل الأمان ، الشم إذا أصدر الطعام رائحــة كريهة معنى هذا أن الطعام فاسد فجعل الأنف فوق الفــم كــي يحصــل لك الأمن الغذائي ، أعطاك يدا تدفع بها الضــر ، أعطاك رجلا تنتقل بها من مكان إلى آخر هذه كلها لتوفير الأمن لك ، وهذا معنى آخر من معاني المؤمن .

الحقــيقة كــل درس كمــا تلاحظــون نسأل أنفسنا هذا السؤال ، يا رب أنت مؤمن أنا ما علاقتي بهذا الاسم ؟ أنت مــؤمن بأن كل الحوادث وكل الأفعال جاءت مصداقا لقرآنك

شـــيء مريح ..هذا معنى ، والشيء الثاني وهبتني الأمن يا رب ، وهبتـــنا الحـــواس ، وهبتنا الأجهزة ، ثبات خصائص المـــواد وثـــبات الأنظمـــة ، قال لي طبيب قلب منذ يومين : لو كان قلب إنسان نحو اليمين وقلب إنسان آخر نحو اليسار وقلـــب بمكـــان آخر ، درس هذا الطبيب القلب بأمريكا نحو اليســـار وعند إجراء العملية وجد القلب على اليمين هذه لم يدرســـها ! فبنـــية واحـــدة للبشـــر كلهم حتى على مستوى الأعصـــاب الدقـــيقة جدا وهذا يعطينا قدرا كبيرا من الأمن ، وكمـــا قلت قبل قليل الأرض في دورتها حول نفسها دورانها ثابت ، في شروقها وغروبها ثابت ، لكن الأمطار لم يجعلها ثابـــتة جعلهـــا متبدلة هذا من أجل أن لا ننساه من أجل أن نصلي له من أجل أن نتوب من ذنوبنا ، ربنا عز و جل ثبت أشـــياء وحـــرك أشـــياء ، ثـــبت دورة الأرض حول نفسها و دورتهـــا حـــول الشمس و ثبت الشروق و الغروب وثبت القمـــر و ثـــبت الأنظمة و البذور و الخصائص و البنى هذه كلها ثبتها و جعل الرزق بيده، فجعل الرزق وسيلة كي تعود إليه كي تقبل عليه كي تتوب من ذنبك هذا معنى

السؤال الجديد : أن المؤمن ماذا ينبغي له أن يتخلق من أخـــلاق الله ؟ كمـــا قال ورد في الحديث : " تخلقوا بأخلاق الله ".

قالـــوا : أنت كمؤمن أول شيء يجب عليك أن تفعله هو أن تأتـــي أفعالـــك كلها مصداقا لأقوالك ، أنت كمؤمن حينما

يكون هناك ازدواج ، شيء داخلي وشيء خارجي ، شيء تعتقده وشيء تقوله ربنا عز وجل ماذا قال :

وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

[الأنعام : ١٢٠]

ظاهرك : أنت مستقيم : صلاة ، صوم ، حج ، زكاة ، لكن باطنك أحيانا : الحسد ، الغيبة ، الكبر ، النميمة ، الكذب ، الحقد ، الضغينة هذه كلها من بواطن الإثم ، إذن أنت كمؤمن يجب أن يأتي عملك مصداقا لقولك بالضبط ، يجب أن تكون موحّدا ، فلا يوجد ظاهر وباطن ، ولا يوجد سريرة وعلانية ، ولا يوجد موقف غير معلن وموقف معلن ، أنت مؤمن يجب أن تأتي أفعالك كلها مصداقا لأقوالك ، إذا أردت أن تتخلق بأخلاق الله وإذا أردت أن تكون بالمستوى الراقي يجب أنت تكون أفعالك كلها مصداقا لأقوالك.. هذه واحدة ، الشيء الثاني: يجب أن يأمنك الناس ، عن أبي شُريح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل ومن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائِقه " صحيح البخاري...

هـناك أشـخاص مخيفون إذا تكلمت كلمة مثلا لن تنام اللـيل خوفا من عاقبتها ، والمؤمن مصدر أمن لا يمكن أن يأتيك من طرفه ضرر أو أذى أو مكيدة أو غدر أو قنص ... أبـدا ، فهـو مصـدر أمان ، تنام ناعم البال مطمئن النفس مرتاح الضمير حتى ولو زلّت قدمك أمامه ولو تكلمت بكلمة غير لائقة أمامه لا يتخذ منك موقفا ، وفي الحديث القدسي : " يؤذينـي ابن آدم" ، كيف يؤذيه ؟ يؤذيني " إذ يسب الدهر وأنـا الدهر أقلّبه كيف أشاء" ومع ذلك تجد الناس يعصونه جهرا و هو يسترهم . والعبد ينسى وربي لا ينسى، يعصونه جهـرا ويسترهم ويرزقهم ويحفظهم ... أحيانا هذا شأن الله مع عباده، فأنت كمؤمن أول صفة من صفاتك أن يأتي فعلك مصـداقا لقـولك و أن تلغي من حياتك الازدواجية : الظاهر و البـاطن ، العلانـية و السـريرة ، أن تكـون في جلوتك كخلـوتك ، هـذا المعنى الثاني أن يأمن كل الناس جانبك ، مثلا زوجت ابنتك لمؤمن لا تخاف أن يجيع ابنتك ولا تخاف أن يظلمهـا ولا تخاف أن يفضحها ولا تخاف أن يضربها ، المـؤمن مـا يأتـي من جانبه كله خير ، إن شاركت مؤمنا مرتاح ، لا تخاف أن يلعب بالحسابات ، يعمل لنفسه حساب خاص يعقد صفقة من وراء ظهرك لا تخاف ، أصلحت جهازا عند مؤمن لا تخاف أن يبدل هذه القطعة بقطعة أخرى وأنت لا تـدري ، يأخـذ القطعـة الجيدة ويعطيك القطعة السيئة ، يكـذب علـيك ، المـؤمن مأمون الجانب في صنعته ، في

حديـــثه ، في عمله ، في مهنته ، في حرفته ، في زواجه ، في شَراكته ، هكذا المؤمن يُؤمن جانبه، عن أبي هريرة أنه قـــال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم : المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنه الناس على دمائهم وأموالهم * سنن الترمذي

لا تخاف أن ينكر عليك المبلغ ولا يخطر لك هذا أبدا ، لا تخـــاف أن يقـــول لك ليس لك عندي شيء ولو لم يكن معك وصـــل فذمـــته دقيقة جدا ويخاف الله عز و جل ، إذن أنت كمؤمن تؤمن بقوله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[الحشر : ٢٣]

فـــالله مصـــدر أمان للعباد في أفعاله وفيما أعد لهم في الآخرة قال تعالى :

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

[الحجر : ٤٨]

فأنـــت مـــؤمن ، إذا قيل لك هذه جهنم ، تتّقيها بالتفكر بالكون و بطاعة الله عز و جل ، وفي الإقبال عليه في خدمة الخلـــق و بالـــبذل و التضـــحية و بأداء الصلوات و بصيام رمضان ، فجعل لجهنم وسائل ليأمن عذابها ، وكذلك المؤمن مأمـــون الجانـــب ، جارك يطمئن لك ، زبون لك يطمئن لك تنصـــحه لا تكذب عليه لا تغشه ، أتعطيه الحاجة وقد انتهى مفعـــولها وزوّرت الـــتاريخ ؟ لا ، أنـــت مأمـــون ، الأنبياء مأمونـــون علـــى رسالة السماء ، والمؤمن مأمون على ما أتُمـــن علـــيه ، ابنتك أمانة عندك ، زوجتك أمانة ، أولادك أمانـــة ، وهكذا ، لكن الشئ الذي أتمناه عليكم هو أن تدعو الـــناس إلـــى الله عز و جل بحيث يأمَنوا عذابه يوم القيامة حـــيث قـــيل : هذه صنعة الأنبياء و هذا أعظم أمن!!! و لو فرضنا شخصا خائفا أمّنته من الذي يخيفه ، قلت فلان دعه لـــي يعنـــي أنك أجرته ، شخص خائف لا يملك أجور عملية جراحية ، قلت له : سأدفع لك تكلفتها اطمئن . شيء جميل ، فأنـــت ممكـــن أن تمـــنحه الأمن في الدنيا . لكن إن لم يكن مســـتقيما يمـــوت و لجهنم مصيره ، فأعظم عمل تفعله أن تؤمّـــنه مـــن عذاب النار ، أي أن تعرّفه بالله عز وجل فإذا عرف الله واستقام على أمره وعمل الصالحات دخل الجنة ، إذن أعظم عمل تفعله في الدنيا أن تدعو الناس إلى الله عز وجـــل وإلـــى طاعته كي يأمنوا من عذابه يوم القيامة ، إن عـــذاب الدنيا صعب جدا ولكن إذا أفضى بك عذاب الدنيا إلى

جنة عرضها السماوات والأرض مقبول . أما أخطر شئ أن يقـــع الإنســـان في النار لذلك أعظم عمل كما قلت قبل قليل وهـــي صنعة الأنبياء أن تكون سببا لنجاة الناس من النار ، إن الله عز وجل هو المؤمن وسمى عباده الطائعين مؤمنين قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

[آل عمران ١٠٠]

هـــو ملـــك الملوك ومع ذلك سمح لك أن تسمي نفسك مؤمـــنا ، وهـــو مؤمن بذاته أولا ،ثم تأتي أفعاله ثانيا كلها مصـــدّقة لأقواله ، فأنت إذا قرأت القرآن لا تخشى المفاجآت لا تخشى أن تأتي الأحداث خلاف القرآن فتنفضح أمام الناس لا ، لا تخشـــى إذا اعـــتقدت بما قاله الله عز وجل أن تأتي حقيقة علمية في المستقبل تكشف لك زيف هذه الآية . أعوذ بالله هذا شئ مستحيل لأن الله عز وجل مؤمن ؛ أفعاله تأتي مصـــداقا لأقـــواله ، المعنى الثالث يهبك الأمن : سواء في حواســـك ، أو في أجهزتك ، أو في أعضائك ، أو في طعامك شرابك ، أو في الهواء . الشيء الثمين موفور ، سواء في

ثبات خصائص المواد ، أو في ثبات طريقة النبات أو في بنية الأشياء أو في عملها... في كل شيء .

الآن أنت كمؤمن يجب أن تأتي أفعالك مصدِّقة لأقوالك ويجب أن يأمَن الناس جانبك ، أي أنت مأمون لا يوجد مفاجآت من قِبَلك ولا غدر ولا إيقاع ولا فعل شيء من خلف ظهور الناس ، أو تغدر بهم أو تفاجئهم بموقفك لا فالمسلمون على شروطهم .

نسمع كل يوم آلاف القصص عن غدر الناس بعضهم ببعض ، نسمع مئات القصص عن خيانة الشركاء لشركائهم، عن خيانة الأزواج لأزواجهم ، عن أفعال يُنَدَّى لها الجبين ، عن مقالب و غدر و إيقاع الأذى... فليس هذا من أخلاق المؤمن لأن المؤمن جانبه مأمون .

الآن آخر شيء ، كيف نوفق بين اسم المؤمن وأن الله سبحانه وتعالى يقذف الخوف في قلوب العباد ، هو مصدر أمن للخلق وفي الوقت نفسه قد يملأ قلوبهم خوفا :

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

[القصص : ٢١]

هـــنا الســـؤال دقيق جدا فالإنسان إذا أمن اطمأن للدنيا ونســـي الله عز وجل وركن إليها ، أعجبه ماله ، و أعجبته قـــوته ، و أعجبته مكانته ، وأعجبه بيته ، وشعر أن الدنيا مديـــدة وأنه في مركز قوي هذا أمن للدنيا ، ما علاجه ؟ أن يقـــذف الله في قلبه الخوف ، فإذا خاف هذا العبد والتجأ إلى الله عـــز وجل عندئذ يطمئن بالله ، أي أنه يخيفك كي يؤمنك ويفقـــرك كـــي يغنيك ويمنعك كي يعطيك ويضرك كي ينفعك ويذلك كي يعزك .

أمـــا عـــن أســـماء الله عز وجل المزدوجة ، فقد قال العلمـــاء : لا ينبغـــي إلا أن تُذكـــر مثنى مثنى ، مثل المعز المـــذل ، و الضار النافع ، و المحيي المميت ، والخافض الرافع...إلخ .

عـــن أبـــي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وســـلم : إن الله عـــز وجـــل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مَرِضـــتُ فلـــم تعُدني ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمـــين ، قـــال : أمـــا علمـــت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده ، .... صحيح مسلم

فـــإن أخذ بعض صحتك فيعوضك عن هذه الصحة التي أخذها بشيء من رحمته ، تزور المريض فتجد نفسه صافية جـــدا ووجهه متألقا إنه قريب من الله عز وجل ، أخذ صحته قلـــيلا وأعطـــاه الـــرحمة مقابلها ، فهو – سبحانه – يأخذ

ليعطي ويبتلي ليجزي يضر لينفع ويذل ليعز ويخفض ليرفع ويمـــنع ليعطـــي ويخـــيف ليطمئن ، فإذا ابتعد الإنسان عنه وشرد عن شرعه يمتلئ قلبه خوفا و هذا الخوف هو الدافع هـــو الـــذي يدفعه إليه ، تخاف فإذا اقتربت من ظله شعرت بالطمأنيـــنة ، و مـــن فعل الله عز و جل أنه يبعث في قلب عباده الطمأنينة .

و أنـــا أنصـــح لكم أن هذه الأسماء الحسنى كتعاريف : موضـــوع صـــغير جدا . أما كأدلة من الكون فهي موضوع كبير جدا ، موضوع له آفاق واسعة لا تنتهي لأن الكون كله يـــؤكد أسماؤه الحسنى فكلما عوّدتَ هذا الفكر أن يجول في الكـــون ليســـتنبط نمـــت قدِراته و إمكاناته... مثلا لو سألنا الأخـــوان الآن عـــن اســـم اللطيف هل عندك دليل من خلق الإنســـان علـــى اسم اللطيف . فمثلا سقوط السن من الطفل الصغير بمنتهى اللطف . الهواء يحمل طائرة تحمل ثلاثمائة راكـــب ووزنهـــا ثلاثمائـــة وخمسون طن ، الهواء بينما لا يحجـــب رؤيـــة ، و لا يعيق حركة لا تحس بثقله ، فالهواء لطـــيف و مـــع أنه لطيف له وزن كبير جدا و الدليل أنه له وزن كبيـــر ، هـــو أنه يحمل أوزانا كبيرة . طائرة ثلاثمائة وخمســـون طن ترتفع في الهواء فالهواء شيء لطيف وذو قوة . إركب مركبة وأخرج يدك من نافذتها تشعر بقوة كبيرة جـــدا ومـــع ذلك الهواء لطيف فالهواء يؤكد اسم اللطيف ، والمـــاء شـــفاف لا لـــون له ولا طعم له ولا رائحة له نفوذ

يتبخـــر بـــدرجات دنيا يعينك على كل حاجاتك هذا يؤكد اسم اللطـــيف ، فـــيجب أن يكون عندنا لكل أسم أدلة كثيرة جدا ومشاهدات وآيات ووقائع و بينات وعلامات على هذا الاسم ونحـــن كلمـــا مشينا في هذا الطريق توسع الأفق وازدادت عظمة الله في أعيننا وازداد خشوعنا له وازدادت طاعتنا له وإقبالنا عليه وهذا هو سر الإيمان ، الإيمان شيء يستقر في القلب وينطق به اللسان وتؤكده الأعمال ، الإيمان له ثلاث مظاهـــر : قناعة في القلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، تجـــد المـــؤمن أخلاقـــا ، المؤمن عفيفا ، المؤمن صادقا ، المـــؤمن أميـــنا ، المـــؤمن رحيما ، والمؤمن عند وعده ، المـــؤمن نظيف ، المؤمن لا يبتغي رفعة . و صفات المؤمن صـــارخة ، هـــذا من ناحية السلوك ، أما لو شق على قلبه فـــتجد الطمأنينة و الأمن و الراحة النفسية و الإستسلام لله و الرضـــاء بقضاء الله و التوكل على الله عز و جل ، لسانه يـــنطق بذكـــر الله و لســـانه يبعث الأمن بالناس و يطمئنهم و يـــبث فيهم الحقائق و يدلهم على الله عز وجل فلذلك اسم المـــؤمن هـــو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن ، ثلاثة معان .

الخلاصة : يعرف ذاته ، و أفعاله تأتي مصدقة لأقواله ، فأنـــت إذا آمنت بالله و قرأت كتابه لن تفاجأ بحوادث مخالفة لمـــا فـــي كتابه ، الشيء الثابت يهبك الأمن من خلال خلقه ومـــن خـــلال أفعالـــه ، فأنـــت كمؤمن ينبغي أن تكون على

صفتين : أولاً : أن تكون أفعالك مصدقة لأقوالك ، و ثانياً أن يأمن الناس جانبك و إذا رأيت نقيض الأمن و هو الخوف ، فهو من أجل أن يخيفك كي يؤمنك يأخذ منك كي يعطيك يخفضك كي يرفعك يذلك كي يعزك وهكذا ......

و الحمد لله رب العالمين

******



المهيمن



المهيمن

أيها الأخوة المؤمنون : مع الدرس الخامس من دروس اسماء الله الحسنى ، و هو : المهيمن .

يـــا أيها الأخوة الأكارم : من منهج تدريس أسماء الله الحسنى نقاط ثلاثة :

النقطة الأولى : الحديث عن تعريف هذا الاسم .

النقطة الثانية : تطبيقاته العملية .

النقطة الثالثة : علاقة المؤمن به .

فمن معاني المهيمن : الرقيب ، الشهيد الذي يعلم السر و أخفى ، يعلم خائنة الأعين ، يعلم ما تخفي الصدور ، يعلم ما ظهر و ما بطن ، يعلم ما تعلن و ما تسر ، يرى الأشياء و يرى ما خلف الأشياء ، يرى الظاهر و يرى الباطن .

و مـــن لـــوازم اسم المهيمن القدرة التامة على تحقيق مصـــالح ذلك الشيء علما و قدرة ... فمن بني البشر من يعلـــم و لكنه لا يقدر ، و من بني البشر من يقدر و لكنه لا يعلم ، و من لوازم اسم المهيمن صفة ثالثة ، هي المواظبة و الاستمرار ، فقد تعلم و لا تقدر حيث يقول العوام : " العين بصـــيرة و الـــيد قصيرة " ، و قد تقدر و لا تعلم . فالإنسان القـــوي و الـــذي يتمتع بأعلى درجات القوة و لكنه لا يعلم موجـــود ، و قد تعلم وتقدر وهذا النوع في بني البشر نادر

الوجود أن تعلم وأن تقدر ولكن لا تضمن المستقبل. قد تكون على علم بما يجري تحت يديك و على علم بما يجري حولك وأنت واثق بأن يدك تطول كل هذا الذي تحت سلطانك ولكن لا تــدري ماذا يكون في المستقبل، أما إذا قلنا أن المهيمن اســم من أسماء الله الحسنى فمن لوازم المهيمن أنه يعلم ، و لا نهايــة لعلمه ، لأن لاشيء يخفى عليه ، فلو أن طبيبا فحــص مريضــة تشكو له من بعض أعضائها ، و استرق النظر إلى عضو آخر فهذه خيانة وليس في الأرض كلها من يعلــم هــذه الخــيانة إلا الله ، يعلم خائنة الأعين ، أي يعلم الســر ، علم ما كان و ما يكون و ما سيكون وما لم يكن لو كــان كــيف كان يكون ، يعلم السر و ما يخفى عنك ، يعلم الجهــر وما تعلنه ، يعلم السر و ما تخفيه عن الناس ، يعلم مــا هــو أخفــى من السر ما يخفى عنك ، يعلم ما يلج في الأرض و مــا يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو معكم في خواطركم في صراعاتكم في نواياكم في طموحاتكم في حركاتكم في سكناتكم في سركم في جهركم في بواطنكم في علانيتكم يعلم كل شيء ، بالمناسبة لن يستطيع الإنســان أن يهيمن إن لم يعلم بتلك المعلومات و الملابسات المحــيطة بموضــوعه قبل كل شيء ، لا يستطيع إنسان أن يهــيمن على شيء ما مهما كان ضيقا إن لم يعلم بكل ذلك . يقولــون : تقصّــي الحقائق ، يقولون : بثّ العيون ، كيف

تملـــك القرار إن لم تملك الحقيقة ؟ فالمهيمن يجب أن يعلم قبل أن يهيمن .

المهيمن يعلم و قادر على كل شيء لا يعجزه شيء ولا نهاية لتعلقات قدرته ، كل الممكنات أي كل ما سوى الله من ضمن قدرته ، ولكن قد تملك ،قد تعلم وقد تملك ولكن لا تعلم ما سيكون في الغد ، قال تعالى :

{ يُقلّبُ اللهُ الليلَ والنهار إنَّ في ذلك لعبرةً لِأولي الأبصار }

(سورة النور: الآية ٤٤)

وقال تعالى :

{ إن يَمْسَسْكُم قَرحٌ فقد مَسَّ القومَ قرحٌ مثله ، وتلك الأيامُ نُداولُها بين الناس وليعلمَ اللهُ الذين آمنوا و يتَّخذَ مِنكم شُهَداءَ واللهُ لا يُحبُّ الظالمين }

(سورة آل عمران : الآية ١٤٠)

مـــن لوازم المهيمن طبعا أسوق لكم هذه الفكرة لتأكيد المعنى ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا سافر يقول :

" اللهـــم أنـــت الرفيق في السفر و الخليفة في الأهل و المال و الولد " .

هـــل تعتقدون أن هذه الصفة يمكن أن تكون في إنسان مـــا ؟! أن يكون معك في السفر وفي الوقت نفسه أن يكون

خليفـــتك في بيتك و أهلك و أولادك ، مستحيل إما أنـه معك و إمـــا أنـه في بيتك ، لذلك قالوا هاتان الصفتان لا تجتمعان إلا لله عـــز و جـــل ، هو معك بالحفظ و الرعاية و التوفيق و التســديد و النصـــر و التأييد و هو في البيت مع أولادك معـــية علـــم و قـــدرة و رعايـــة في غيبتك يحفظهم من كل مكـــروه يحفظهم من كل حادث ، هو معك و هو خليفتك في البيت .

أقول لكم : من النادر أن يجتمع لإنسان العلم والقدرة ، لـــذلك فـــي المجتمعات البشرية أفراد تفوقوا في العلم ولكن يـــدهم قصـــيرة ، وأفـــراد تفوقـــوا في القدرة ولكن علمهم محـــدود ، لكـــن لو أنـه ، فرضا ، اجتمع لإنسان وهذا شيء نادر جدا كمال العلم مع كمال القدرة ولا بالخمسين مليون قد يـــوجد إنســـان فيه كمال العلم مع كمال القدرة لكن ينقصه رؤيـة المستقبل ، قد يأتي من هو أقوى منه فينتزع ما بيده ، قد يأتي من هو أذكى منه ، قد يأتي من هو أخبث منه فيأخذ ما بين يديه .

إذن قد يجتمع العلم والقدرة ولا تملك المستقبل ولكن إذا قلت الله مهيمن معنى ذلك أنه يملك العلم الكامل :

{ والله بكل شيء عليم}

(سورة الحجرات : الآية ١٦)

والقـــدرة الكاملـــة لا نـهايـــة لـــتعلّقات علمه ولا نـهاية لـــتعلقات قدرتـــه ولـــيس فـي الكون جـهة أخرى تشاركه في الحكم لقولـه :

{ قل اللهُ أعلمُ بما لبثوا لـهُ غيبُ السماواتِ والأرض أبْصِر به وأسمِع ما لـهم مِن دونه من وليٍّ و لا يُشرِكُ في حُكْمه أحدا }

(سورة الكهف : الآية ٢٦)

لو كان فـي الكونِ آلـهةَ غيرَ اللهِ لفسَدَتا ، إذاً لذَهبَ كُلُّ إلـــهٍ بما خلق ولعلا بعضُهم على بعض ، ولكن لأن المـهيمن واحـــد ، فـــلا يوجد جـهة أخرى تنافس أو تسيطر أو تقاوم أو تنازع أو تفسد ، لذلك إذا اتَّكلت على المـهيمن فهو الذي يعلـــم كل شيء و قادر على كل شيء وليس كمثله شيء . ومـــن باب الموازنة : فالإنسان قد يملك ولا ينتفع ، قد يملك بيـــتا ثمنه أربعون مليون ليرة لكنه مؤجَّر قبل عام السبعين مـــثلا يملكـــه ولا ينتفع به ، وقد ينتفع ببيت لا يملكه ، وقد ينتفع به ويملكه ، أما إذا قلنا :

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

(سورة آل عمران)

فالكون كله مُلكه ملكا وتصرفا ومصيرا .

أيهـــا الأخوة الأكارم ، جزء أساسي جدا من إيمانك بالله أن تعـــرف أســـماءه الحسنى وصفاته الفضلى ، وقد يسأل ســـائل عن هذا الحديث المتواتر هل هو حديث صحيح قاله النبي ؟ :

" إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ".

نعـــم إنه صحيح ومتواتر ، إياك أن تفهم كلمة أحصاها أنه عدّها ، أنه أنه قرأها أو حفظها أوعدها .. لا، أحصاها تعني فهمها ونال نصيبه منها ، إن لاحظتم في دروس سابقة كـــل اسم من أسماء الله الحسنى أنت كمؤمن لك منه نصيب فـــإن لم يكن لك نصيب من هذا الاسم فكأنك ما أحصيت هذه الأســـماء لأن النبي علي الصلاة والسلام روي عنه قوله : " تخلقوا بأخلاق الله ".

فـــالمهيمن معناه علم لا نهاية له وقدرة تامة ومواظبة واستمرار ، ولكن هناك أربعة معان فرعية تضفي على هذا المعنـــى شـــيئا نفيسا جدا : المعنى الأول : إذا كان الله هو المهيمن ففي معاني هيمنته الحب والشفقة ، أحيانا تقف الأم حـــول سرير ابنها المريض وهي تلاحظ حركاته وسكناته ، هـــذه الوقفة الحانية المشفقة وقفة علم وقفة سيطرة ولكن بدافع نبيل بدافع الشفقة و العطف و الحنان ، فإذا قلنا فلان مهـــيمن بدافع الحقد و بدافع العنجهية و الغطرسة و القوة و الإنـــتفاع و المناجزة و ما إلى ذلك ، فهذا استبداد وبطش إن وصـــف الإنسان بأنه مهيمن لها معنى أما إن وصف الله

عز و جل بأنه مهيمن فمن معاني هيمنة الله عز و جل حبه وعطفه على عباده ، النبي عليه الصلاة والسلام رأى امرأة تقبل ابنها فقال عليه الصلاة والسلام : " أتُلقي هذه المرأة بولدها إلى النار ؟ قالوا : معاذ الله ، قال : و الذي نفس محمد بيده لله أرحم بعبده من هذه بولدها " .

فهيمنة الله عز وجل هيمنة عطف وحب وشفقة ورحمة وحرص على سعادتك وعلى آخرتك وعلى مستقبلك ، هذا المعنى الفرعي الأول علم وقدرة واستمرار ، أما المعاني الفرعية للهيمنة : الحب والشفقة .

فلان مهيمن على هذا المستودع أي أمين عليه لا يدع حاجة تخرج منه بلا علم وبلا تسجيل وبلا مراقبة وبلا محاسبة ،هذه هيمنة الأمانة ؛فالمعنى الثاني هو : هيمنة الأمانة ، لذلك من معاني المهيمن :الحافظ

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف : الآية ٦٤)

و معنى مهيمن أنك إذا كنت مع الله عزوجل واعتقدت بوجوده و أردت أن تحاور إنسانا فأنت المنتصر ، الحوادث كلها تأتي مصدِّقة لك ، كل إنسان يطرح نظرية أو فرضية

أو مذهبا أو فكرة أو تفسيرا أو تحليلا أو عقيدة ، إن الوقائع تثبت العقيدة التي جاء بها القرآن ، فإذا كنت أنت مع القرآن فأنت المهيمن وأنت المنتصر .

أن تقول مثلا : (سورة البقرة)

يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

يمحـــق الله الــربا ، هــذه آيــة كريمة وهذه عقيدتك ، فالمرابي يقول لك العكس : أيعقل أن أجمد المال من دون أن أضــعه في مصرف لأتقاضى عليه فائدة مجزية أعيش بها ، أنـــت كمــؤمن تطــرح أن الله عز و جل يمحق الربا و هذا المعــرض الكافر يطرح نظرية أخرى وهي أن الإنسان لا بد مــن أن يستثمر ماله ، الأيام تدور والوقائع تتجدد فإذا بهذا المرابــي يُمحق ماله ، من الذي هيمن في هذا الموضوع ؟ أنت ، أنت اعتقدت أن المرابي يمحق ماله ، الأيام أكدت هذه الحقــيقة فأنـــت المهيمن ، أنت تعتقد أن الإنسان إذا غض بصــره عــن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه و انعكس هــذا في حياته الزوجية ، يقول لك آخر : لا هذه العين يجب أن تستمتع ، فهذا الجمال لمن خلق ؟ لنا ، فلا بد من إطلاق البصــر وأن تمــلأ العين من هذه المناظر الحسنة الجميلة ، تقــول له : لا هذا أمر إلهي و هذه آية قرآنية ، تدور الأيام فإذا بهذا الذي يمضي نهاره كله في الطرقات يملأ عينيه من

الحــرام قد أصيب بمرض ارتخاء الجفون ، من الذي هيمن فــي هذا الموضوع ؟ أنت ، أنت الذي هيمنت جاءت الوقائع تؤكد ما تعتقد من أن هذا أمر إلهي ، أنت إذا اخترت فتاة لم تختــرها إلا لديــنها وعفافهــا وشرفها وصلاحها وأسرتها الصــالحة وآثــرت ديــنها على الجمال وعلى المال وعلى الحسب وعلى النسب وعلى الوجاهة في الدنيا ، أنت انطلقت من أن هذا العمل هو طاعة لله عز و جل قال سبحانه :

وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

(سورة البقرة : الآية ٢٢١)

هــو انطلــق من شهوته وقال : الزوجة يجب أن تكون مــلْء العين جمالا وفتنة كما أحب كما أشتهي ولا قيمة لقلة دينها ، تدور الأيام هذا الذي اختار المرأة الصالحة لصلاحها و ديــنها تــرى حياته الزوجية مستقرة و سعيدة و مفعمة بالمــودة و المحبة ، تتنامى سعادته و يبارك الله له في هذه الــزوجة و يأتــيه الأولاد ، أما الذي آثر الجمال على الدين

حــياته قطعــة مــن جحيم من الذي هيمن في الموضوع ؟ المؤمن ، لذلك ربنا عز و جل يقول :

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

(سورة القصص : الآية ٨٣)

إذن هذه صحيحة من معاني المهيمن أن هيمنة الله عز و جل هيمنة حب وشفقة وأن هيمنة الله عزوجل هيمنة حفظ وأمانة .

ومــن معاني هيمنة الله عزوجل أن الله عزوجل يصدقك بأفعالـــه ، أي شـــيء تعتقده ورد في القرآن الكريم . ومن معانـــي أن الله مهــيمن أنـــك أنـــت المنتصر ، وكلامك هو الصواب ، واعتقادك هو الصحيح ، والأفعال تأتي مصدقة لك هــذا معنـــى المهــيمن كاسم من أسماء الله الحسنى ، إذن الهيمـــنة هـــي العلـــم الكامل ، العلم التام و القدرة التامة و الاســـتمرار و المواظـــبة ، هـــذه المعاني الأساسية ، أما المعانـــي الفـــرعية : فهـــي هيمـــنة حب لا هيمنة غطرسة وعنجهـــية وســـيطرة كما يكون الإنسان ، و هيمنة محافظة علـــى المهـــيمَن علـــيه ، وهيمـــنة تصديق لكل ما جاء به القرآن ، هذا الجانب النظري من معنى المهيمن ، علم وقدرة و استمرار ، شفقة و حفظ و تصديق .

و الآن بعض الأمثلة : هناك وقائع و شواهد و حقائق تعمق مفهوم هذا الاسم و مدلولاته . سيدنا موسى حينما قال الله له و لأخيه هارون :

ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

[سورة طه]

فـــرعون ومـــا أدراكـــم ما فرعون الذي ذبح أبناء بني إسرائيل واستحيا نساءهم من يجرؤ على أن يخاطبه ، وعلى أن يبين حقيقة دعواه الزائفة في أنه إله ، من يجرؤ ؟

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

[سورة طه]

إننـــي معكمـــا أسمع و أرى و فرعون بيدي ، إذن إذا آمـــنت أن الله هـــو المهـــيمن تستسلم يرتاح قلبك ، تطمئن

نفسك ، يستقر فؤادك ، ترتاح أعصابك ، الأمر بيد الله بعلمه و بقدرته ، كل الخلق بيده ويعلم السر وأخفى سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما كان عند يهود خيبر وائتمروا أن يلقوا عليه حجرا فيقتلوه ويرتاحوا منه بزعمهم ، من الذي أخبره أن يتحول عن هذا المكان ؟ الله عز وجل ، هم اتفقوا في غرفة محكمة الإغلاق ، اتفقوا على ذلك والله عز وجل أخبره ، معنى مهيمن هنا أنه علم ما يقولون .

عمير ابن وهب خرج مع صفوان ابن أمية و قال له عمير : أتمنى لو أذهب إلى المدينة فأقتل محمدا و أريحكم منه ، لولا ديون ركبتني و لو لا أولاد أخشى عليهم العنت ، فقال له صفوان فورا : أما الديون التي عليك فهي عليَّ بلغت ما بلغت و أما أولادك فهم أولادي فامض لما أردت ، سقى سيفه سمّا ووضعه على عاتقه وامتطى راحلته وتوجه إلى المدينة ، لقيه عمر ابن الخطاب فقال : هذا عدو الله عمير ، قيده بحمالة سيفه و ساقه إلى النبي عليه الصلاة و السلام و قال : يا رسول الله هذا عدو الله عمير جاء يريد شرا ، الله مهيمن، قال : يا عمر أطلقه فأطلقه ، فقال له النبي : ادن مني يا عمير دنا منه ، قال له : سلم علينا ، قال : عمت صباحا يا محمد ، قال له: قل السلام عليكم ، قال : لست بعيد عهد بالجاهلية هذا سلامنا ، قال له : ما الذي جاء بك إلينا ، قال : جئت لأفك أخي من الأسر ،

فقال : وهذا السيف الذي على عاتقك ، قال : قاتلها الله من سيوف وهل نفعتنا يوم بدر ، فقال له : ألم تقل لصفوان لولا ديـون ركبتنـي و أولاد أخشى عليهم العنت لذهبت و قتلت محمدا و أرحتكم منه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فالله عـز و جل مهيمن ، هذه المؤامرة التي أحيطت بكل أجواء الحـذر و الحـيطة أبلغهـا الله عز وجل للنبي عليه الصلاة و السلام .

هـذه المـرأة التـي جـاءت تشكو النبي عليه الصلاة و السـلام و تقـول : يا رسول الله إن فلان تزوجني و أنا شـابة ذات أهـل و مال و جمال فلما نثرت له ما في بطني و تفـرقتْ أهلي عني و ذهب مالي و كبرت سني قال : أنت علـيَّ كظهر أمي ، و لي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا و إن ضممتهم إليّ جاعوا ، فبكى عليه الصلاة والسلام رقة لهـا و عطفا و شفقة و رحمة و قال : ما أظنك إلا قد بنْت منه ، هذا طلاق فقال الله عز و جل :

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

(سورة المجادلة)

فكـان عمـر ابن الخطاب عملاق الإسلام كلما مر بهذه المـرأة كـان ينزل عن دابته إجلالا لها ويقف أمامها بأدب

ويستمع لها ، فقال له أحدهم : أنت أمير المؤمنين وتستمع لهــذه المرأة ؟ قال : كيف لا أستمع لها وقد استمع الله لها من فوق سبع سموات ، معنى هذا أن الله مهيمن ويسمع كل شيء .

ســيدنا موســى قال : أنا رسول الله ، قالها لفرعون ، وكلمـــة فـــرعون تعنـــي في وقته أعظم إنسان وأعظم دولة دولته ، وأعظم حضارة حضارته وقال أنا ربكم الأعلى وجمع الســـحرة كلهـــم ووعـــدهم بالعطايا وبالمناصب من أجل أن يقهروا سحر موسى كما يدّعون قال تعالى :

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

(سورة طه)

من انتصر ؟ سيدنا موسى ، الله مهيمن على كل شيء .

هذه كلها شواهد قرآنية على اسم المهيمن ، علم وقدرة واســتمرار ، هيمنة شفقة و هيمنة حفاظ و هيمنة تصديق . سيدنا إبراهيم جاءه جبريل و قد أوقدوا نارا عظيمة ، جمعوا حطــبا أياما و أسابيع أوقدوها و أركبوه بأرجوحة كي يسقط

فـــي وســـطها ، هم مسيطرون مهيمنون ، بيدهم كل شيء ألســـنتهم تردد منْ أشدّ منّا قوة ، " أولم يعلموا أن اللهَ الذي خلقهـــم هو أشدُ منهم قوة "، جاءه جبريل فقال : يا إبراهيم هـــل لك من حاجة ؟ قال : منك لا ، قال جبريل من الله ؟ ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي . ثلاث كلمات ، : " قلنا: يـــا نـــار كونـــي بـــردا ، بردا كان مات من البرد و وجدوه مجمدا ، قال : وسلاما وقال : على إبراهيم ، لو لم يقل على إبـــراهيم لعدم وجود النار في الأرض فتصبح النار لا تحرق إلى يوم القيامة ، ثلاثة كلمات

قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

(سورة الأنبياء)

مـــن المهـــيمن ؟ الله عز وجل ؛ألم يقل : علمه بحالي يغني عن سؤالي ؟!!! وهذه أمّ موسى ، أعطني أما تستطيع أن تضـــع ابنها فلذة كبدها في صندوق وتلقيه في اليمّ ، الله عـــز وجـــل أمـــرها بأمـــرين ونهاهـــا عن نهيين وبشرها بشارتين :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

(سورة الأنبياء)

أرضعيه وألقيه في اليم . هذان أمران ، " ولا تخافي ولا تحزنـــي " وهـــذان نهـــيان ، البشـــارتان : إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فهذا الصندوق من سيَّره إلى شط فـــرعون ؟ يعلـــم ويسيطر ، وحينما فتح الصندوق من ألقى حبه في قلب امرأة فرعون ؟ الله عز وجل ، إذن الله مهيمن.

هـــذه القصـــص كلها تؤكد أسماء الله الحسنى ، سيدنا يونس لا أعتقد مهما ضاقت بكم الأمور في الدنيا ، لا أعتقدِ أن هـــناك مصـــيبة على وجه الأرض ، تفوق أن تكون في ظلمة بطن الحوت مع ظلمة البحر مع ظلمة الليل ، في ظلمة بطـــن الحـــوت ، فإذا فتح الحوت فمه جمع أربعة أطنان من الســـمك كوجبة عشاء معتدلة و رضعته ثلاثمائة كيلو غرام مـــن الحليب فتكون ثلاث رضعات ألف كيلو غرام ، كل يوم يحـــتاج إلـــى طـــن حلـــيب ، و الحـــوت تقريبا وزنه مائة و خمســـون طنا ، فجوفه غرفة، فسيدنا يونس نبي عظيم . فجأة يجد نفسه في ظلمة بطن الحوت وفي ظلمة الليل وفي ظلمة البحر .

يا ترى هل في بطن الحوت جهاز فاكس او جهاز تلكس او هاتف أو إشارة أو تلغراف؟ ماذا يوجد ؟ لا يوجد شيء . فـنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين :

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

(سورة الأنبياء)

ألا تـرتاح نفسك إلى هذه القصة ؛ التي ختمت ببشارة لكل مؤمنَ : " وكذلك ننجي المؤمنين " ففي أي عصر و أي زمان و في أي مصر و في أي ظرف مهما كان شديدا ، الله مهـيمن ، أنـت كن مع المهيمن و ارتح مطمئنا إلى سلامة المصير .

انظـر إلى الطفل الصغير و هو في حضن أمه لا يتكلم بشـيء إطلاقا ، الأب يتمزق لتأمين القوت ولتأمين الأدوات المدرسية و الإبن مرتاح يريد المجموعة الفلانية و الفلانية و الفلانـية يعطـي الطلـبات و هو مرتاح ، و الأب يتمزق لتأمـين هـذه الأغراض فإذا كان الشخص مع المهيمن فهو على كل شيء قدير .

سيدنا زكريا لم يتكلم ، على موضوع المهيمن قال :

جرب ابق صامتا واطلب من الله طلبا بصدق وبإخلاص والطلب معقول من خيري الدنيا والآخرة ، واجهد أن تبقى صامتا من دون اي كلمة بداخلك . تجد أن الله استجاب لك معنى هذا أنه سمعك وعلم سرك القضية لا تحتاج لرفع الصوت

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

(سورة مريم)

نداؤه الخفي اخترق السّبع الطباق فاستجاب الله لسيدنا زكريا لأن الله مهيمن .

في غزوة حنين ، أصحاب النبي الذين خاضوا معه بدرا وأحدا والخندق و...... أصحاب رسول الله وهم ساكتون لم يتكلموا إطلاقا ويوم حنين :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

(سورة التوبة:الآية ٢٥)

لن نغلب اليوم من قلة؛ عشرة آلاف صحابي ومعهم رسول الله بعد أن فتحوا مكة ودانت لهم الجزيرة من طرفها إلى طرفها الآخر ومع ذلك :

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة التوبة)

الله المهـيمن ، علم إعجابكم بأنفسكم فألقى في قلوبكم الخـوف وقلوبكم في يدي الله . إمّا أن يملأها خوفا وإما أن يملأها طمأنينة ، القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، الله مهيمن .

الأمـر كله بيد الله ، سيدنا رسول الله بغار حراء و سيدنا الصديق إلى جانبه قال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا ، فقال : يا أبا بكر ما رأيك باثنين الله ثالـثهما ، وفي المرة الثانية أصعب فقال له : لقد رأوني أي لقد وقعت عين أحد المطاردين على عين أبي بكر عين بعين فقال : لقد رأوني ، قال : يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى :

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

(سورة الأعراف)

الله مهـيمن ، دعوة إسلامية عظيمة حفظها الله بخيوط العنكـبوت ، وهـذا من عظمة قدرة الله عز وجل أنه يحفظ

أعظــم شيء بأتفه سبب ، الله مهيمن ، وأحيانا يهلك إنسان بأتفه سبب ، يحفظه بأتفه سبب ، ليظهر لك كمال قدرته عز وجل .

في غزوة الأحزاب ، الجزيرة العربية كلها اجتمعت على حــرب محمــد علــيه الصـــلاة و السلام ، و اليهود خانوا عهــده معــه و انكشف ظهره و بقي للإسلام ساعات ، بقي الإســلام قضــية زمــن إلى أن قال أحدهم: أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجــته ، الله عــز وجــل أرســل رياحــا عاتــية أطفأت نـــارهم واقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم وكفى الله المؤمنين القــتال ، الله مهــيمن ، كــل شـــيء بـــيده ، الــرياح بيده وصدق الله العظيم :

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

(سورة المدثر)

منخفض جوي يمنع الرؤية ... بيده ، رياح عاتية يعطل حركة الآليات ... بيده ، القلوب ... بيده ، يلقي فيها الخوف أو عــدم الخوف .... بيده ، كل شيء ... بيده ، باخرة من أضــخم البواخــر في العالم بنيت عام ألف وتسعمائة واثنتي عشــرة ، وقــد بنيت طبقتين فلو ثقبت طبقة فالجدار الآخر يمــنع غــرقها ، بنيت بلا زوارق نجاة ثقة بأنها لن تغرق ، طــبعت نشــرة وكتب في هذه النشرة : إن القدر لا يستطيع

إغـــراق هذه الباخرة ، من أفخر البواخر في العالم . قيل : فـــيها مـــن الأثاث و من الثريات و من الفضيات ما لا سبيل إلـــى وصـــفه ، المطـــاعم و الصـــالات و الأبهاء و الغرف و المســـابح .... أي هي مدينة عائمة ، وفي أول رحلة من رحلاتهـــا ركـــب فـــيها أغنى أثرياء أوربا ، ويقال بأن حلي النســـاء تقـــدر بمئات الملايين ، وفي عرض البحر ارتطمت بجبل ثلجي فشقها شطرين ، وأرسلت إشارات الإستغاثة فظن كـــل مـــن حـــولها مـــن البواخـــر أن هذه الإشارات تعبير عـــن احـــتفالات تدشـــين الســـفينة وغرق جميع ركابها ، وقـــبل ســـنة كمـــا أذكر قرأت بحثا في مجلة العربي عثروا علـــى مكانهـــا ورأيت صورا لها في قاع البحر هذه الباخرة التيتانيك ، قال وقتها أحد القساوسة : هذا درس السماء إلى الأرض .

قـــبل سنوات ، دولة متقدمة جدا ممن يقول أهلها : منْ أشدُّ منّا قوة ، صنعوا مركبة فضائية من المقرر أن تبقى في الفضاء سنة تقريبا ، سبعة روّاد فضاء مع امرأة ، والخطة أن تحمـــل هذه المرأة في الفضاء من أحد الرواد وأن تبقى في الفضاء تسعة أشهر وأن تلد في الفضاء ومعهم مولّد في المـــركبة لـــيكون أول مولود يولد في الفضاء ، وسمّوا هذه المركبة اشلنجر challenger أي المتحدّي ، بعد سبعين ثانية مـــن إطلاقهـــا أصبحت كرة من اللهب . منْ المهيمن ؟! ألم

يقوموا بالعد التنازلي ، الم يضبطوا الأجهزة جهازا جهازا ، اين المهيمن ؟ الله سبحانه وتعالى .

كُن مع المهيمن وارتح بالا

صديق لي حدثني أنه زار بستان في أحد أطراف دمشق والبستان مؤلف من قطعتين لأخوين شقيقين ، وكان قمح الأخ الأول ناميا نموا عجيبا ، وقمح الآخر نموه ضئيل جدا ، وهذا الصديق يعرف الله عز وجل فجاء للأول واستحلفه لماذا بستانك هكذا ؟ قال: والله اعتني به كما يعتني أخي ببستانه بل إن الذي يقوم على البستانين مزارع واحد ، ما السر؟ قال . لي اخ اخر متوفي وله أولاد أيتام ونويت في قلبي أن أعطي أولاد أخي الأيتام نصف غلة هذا البستان" ، والثاني على عكس الأول ، هذه القصة تؤكد أن الله علم نية هذا البستاني فضاعف له غلته و علم نية هذا فأنقصها هذا الآخر معنى المهيمن يعلم و يفعل . و كذلك صديق آخر حدثني عن مجموعة مزارع في أطراف دمشق و هنالك بعض الرعاة الذين عندهم قطعان غنم يأتون لهذه المزارع لتشرب الغنم . فيطردون هذا الراعي مع غنمه ، من هذه المزارع مزرعة واحدة تستقبل أي راع وتسقي الغنم بنفس طيبة ، أقسم لي رجل في هذه المنطقة أن سبعة مزارع جفت ابارها إلا هذا البئر حصرا والعائد لهذه المزرعة ، ولم يكتف بأنه سمح للرعاة بل بنى حواضا كي ترتاح الغنم في أثناء

شـــربها ، لقـــد اشترى أحواضا إكراما لمن ؟ الله مهيمن : النـــبع بـــيده و الشـــلنجر *challenger* بيده و تيتانيك بيده و الســـحاب بـــيده والبواخـــر بيده والحوت بيده ، كل شيء بـــيده ، فأحيانا الإنسان يكون في مكان فاقدا حريته وهو في مكان ناء يخرج فيه ثعبان ، وهذا الإنسان مؤمن على الأعم الأغلب تجد الثعبان واقفا ولا يتحرك ولا ينقض عليه ، أحيانا تجـــد كلبا عقورا بقي بلا طعام أياما عديدة فإذا واجه إنسانا تقـــيا يقف مكبّلا ... منْ المهيمن ؟ الله عز وجل . والله عز وجل يقول :

ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر)

يقـــول لك سيطرة ، الله هو المسيطر ، كلّ شيء خلقه الله مسيطر عليه ، ولم يخلق شيئا وتركه هملا ، لذلك :

ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر)

أحـــيانا الحريق ، ينشب حريق في بعض أسواق دمشق و يأكـــل الأخضـــر و اليابس في معظم الحوانيت إلا حانوتا واحدا ، تلتف النار حوله و لا تحرقه ...... لأن النار بيده .

قبل خمسين عاما في هذه البلدة جاء جراد أكل الأخضر واليابس ، يقول لي رجل توفي رحمه الله كان مكلفا بضبط هذا الأمر ومراقبة أصحاب البساتين في جمع الجراد قال : رأينا الأشجار بلا قشر، الجراد أكل أوراقها وثمارها وقشرها الخارجي ، ولكننا فوجئنا ببستان كأنه روضة من رياض الجنان ، دخلنا عليه وطلبنا صاحبه ، قلنا ما هذه؟ فقال : أنا أستعمل دواء ، فامتلأنا غضبا وغيظا منه ، معك دواء وتمنعه عن المسلمين ، قال : يا سيدي هذا الدواء لا يستعملونه ، هو الزكاة أنا أزكّي عن هذا البستان !!!!

هذه مشاهدات من واقع الناس وحياتهم . آلاف وملايين كل شيء بيد الله عز وجل ، فالبطولة أن تعرف الله أن تعرفه هو المهيمن ، إذا عرفته مهيمنا انقطعت آمالك ممن سواه ، لا تتوسلَ لغيره ، أنت فيما بينك وبينه في منتهى الخضوع في منتهى التذلل في منتهى الإفتقار . إذا أنت في جانبك الأمن كله .

أما مع الناس عزيز ، إذا لم تعرفه مهيمنا وظننت بأن زيدا مهيمنا تصبح أمام زيد كالطفل الصغير ، تبالغ في التذلل له ويبالغ في إهانتك تبالغ في الخضوع له ويبالغ في دوسك بقدمه لذلك

" من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه ".

السؤال الآن أنت كمؤمن وهذه الفقرة الثالثة ، الفقرة الأولى التعاريف النظرية لاسم المهيمن ، كمال العلم و كمال القدرة و الاستمرار ، وهيمنة الله هيمنة حب وشفقة و رحمة و هيمنة حفاظ و هيمنة تصديق ، ثلاث فقرات بالتعريف و ثلاث إضاءات على هذا التعريف ، هذا القسم النظري و القسم العملي شواهد :

أخ كريم أصيب قلبه بآفة ، و الأطباء هنا بدمشق أجمعوا أنه لا بد له من إجراء عملية في بلد أجنبي ، ذهب إلى هناك وهو على طاولة الفحص ، اغرورقت عيناه بالدموع و قال : يا رب هذا القلب من صنعك و أتمنى أن لا يُفتح و بكى ، أجري الفحص الأول ، الوضع سليم ، هذه القصة منذ إثنتي عشرة سنة ، وإلى الآن بأتم صحة ، هذه الشرايين الفرعية التي كانت مسدودة من الذي قام بفتحها ؟ يد من فتحتها ؟ الله مهيمن على قلبك وهذه الكلية توقفت عن العمل ، لماذا توقفت ؟ من أوقفها ؟ ومن حركها ؟. الله مهيمن ، تأكد أن الأعصاب والكليتين والقلب والرئتين والشرايين والمعدة والأمعاء والقنوات الدائرية والسمع والبصر واللسان كل أعضائك بيد الله :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦)

(سورة آل عمران)

هـذه الخلايا من الذي يمنعها من أن تنمو نموا خبيثا ؟ الله عـز وجـل ؛ لـيس هنالك سبب واضح للسرطان حتى الآن ، إنسـان بأتم قوته وبأتم صحته وبأتم نشاطه ، غذاء منـتظم ، رياضـة ، حـركة ، فجـأة نمـو خبيث في جهة بجسمه ، عظّم الله أجركم .

مـن المهـيمن على هذه الخلايا ؟ يمنعها من أن تنمو نموا خبيثا أو أن لا تنمو ، الله عز و جل .

حتى الزوجة بيد الله عز وجل ، الإمام الشعراني يقول :

" أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي "، أياما تجدها ملَكا . سبحان الخالق ، ملكا من السماء ، وأياما تفكر بهذه الساعة المشؤومة التي تعرفت بها عليها ، بيد الله عز وجـل يلين قلبها أو يقسو قلبها ، يجعلها مطواعة أو عنيدة بـيد الله عـز وجـل . حتى الأولاد : حالهم الشيء نفسه ، و زبائـنك و متجـرك و رؤسـاؤك في الدائرة و متبوعوك و مركبتك إذا أثنيت عليها و أثنيت على صانعها و نسيت الله

أثناء حديثك عنها تقطعك في الطريق أمرها بيد الله عز وجل ، أما الزلازل ، و الجراثيم فقد قال النبي عنها : " لا عدوى " ، لكن هناك عدوى ، ما معنى هذا الحديث ؟ أي إياك أن تعزو هذا الفعل إلى زيد أو عبيد ، يجب أن يُعزى المرض إلى الله عز وجل ، فإذا أذن الله لهذه الجراثيم أن تفعل فعلها ، فعلت ؛ و إن لم يأذن لا تفعل أبدا .

هذا القسم العملي وبقي القسم التطبيقي الأخير .

المؤمن إذا أردناه أن يتخلق بأخلاق الله يجب أن يعرف أحوال نفسه ، يعرف نفسه ، هل هي مريضة فيها انحراف وفيها كبْر وفيها عجْب وفيها غرور وفيها تجاوز للحدود ؟ إيمانه بالله كاف أم غير كاف ؟ يجب أن يعلم ، أحوال قلبه ، أحوال نفسه ، أن يعلم دخله وإنفاقه للمال ، تعامله مع الاخرين جوارحه مدى إنضباطها ، ومِنْ تخلّق المؤمن بخُلُق الله المهيمن أن تعلم أنّ أحوالك مرضية عند الله أم غير مرضية ، مستقيم أم غير مستقيم ، يوجد بدخلك شبهة ، يوجد بعلاقاتك حرمة ، يوجد تقصير بالحقوق يجب أن تعلم ، ولن تعلم إلا إذا حضرت مجالس العلم لأن العلم بالتعلم ، هذه حرام يا أخوان وهذه حلال ، هذا يجوز وهذه صفة مذمومة وهذه صفة ممدوحة ، فأنت من حضور مجالس العلم تعلم فإذا تعلمت فقد حققت ثلث اسم المهيمن ، الآن يجب أن تسعى كي تطهر نفسك من آفاتها ، الجوارح من المعاصي ، القلب من السوّى ، تطهير القلب مما سوى الله ، تطهير

الجـــوارح من معاصي الله تطهير الفكر من عقائد زائغة من خـــرافات ، مـــن أوهـــام ، مـــن خزعبلات ، من حيل ، من تزوير ، يجب أن تطهر عقلك من كل عقيدة زائغة ، وتطهر جـــوارحك مـــن كل معصية وعليك أن تطهر قلبك مما سوى الله ، هـــذا مـــن تطبـــيق اسم المهيمن ، أي أنه راقب قلبه وأشـــرف على أغواره وأسراره واستولى على تقويم صفاته وهيـــئاته وقـــام بحفظهـــا على الدوام ، تصرفاته ، نوبات نـــوبات ، فـــي يوم الجمعة مرتاح أو منشرح ، السبت تفسد أخلاقي والأحد لا أصلي تأتي الجمعة أنت غير متخلق بأخلاق الله ، عندك اتجاه نوبي .

يجب أن تعلم أحوالك ، يجب أن تقوّم أفعالك ، يجب أن تثبت على هذه الإستقامة التامة ، أنت عاهدت الله عز وجل العلم والإصلاح والثبات .

الأرقـــى مـــن ذلـــك أن تدعو إلى الله وأن تعلم أحوال إخوانك أن تسعى إلى تقويمهم وأن تبقى على عهدك مع الله مـــن خـــلال تعاملك معهم ، و أنْ تصلح نفسك ، فمن معاني قوله تعالى

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

(سورة الأنفال)

أصلح نفسك ، كيف تصلحها إن لم تعرف أمراضها إن لم تعرف انحرافاتها ، إن لم تعرف تقصيرها ، إن لم تعرف أدرانها إن لم تعرف مشكلاتها ، إن لم تعرف مخالفاتها . المعرفة أساس ، إذن تحتاج إلى علم كي تعرف ، وإلى إرادة كي تصحّح ، وإلى صدق كي تستمر ، إذا فعلت هذا فقد تخلّقت بأخلاق المهيمن .

و بعد ، مادام الله يراقبك ، فما موقفك أنت ؟ الحياء من الله ، من تطبيقات اسم المهيمن أن تستحي من الله ، الله يراقبك يجب أن تستحي منه ، الله قوي يجب أن تتوكل عليه ، لا شريك له يجب أن تثق بالمستقبل :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد : الآية ١١)

ثلاثة تطبيقات يجب أن تعلم أحوال قلبك وأحوال نفسك وأحوال عقيدتك تصوراتك قيمك يجب أن تصححها ، لا بد من حضور مجالس العلم ، يجب أن تملك إرادة قوية كي تصلح اعوجاجك ، كي تقيم جوارحك على طاعة الله ، يجب

أن تملــك الصدق كي تستمر على هذا ، علم وإرادة وصدق هذا أول تطبيق .

ثانــي تطبيق : مادام الله شهيدا عليك يجب أن تستحي منه

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

(سورة النساء)

ومادام الله مسيطرا فيجب أن تتوكل عليه ، إذا أردت أن تكــون أقوى الناس فتوكل على الله ومادام الله لا شريك له وقال لك

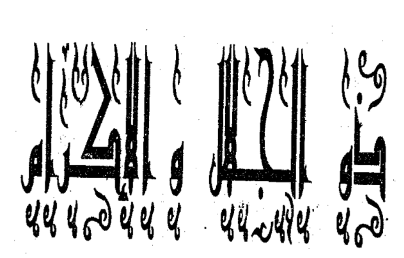
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾

(سورة الرعد : الآية ١١)

إذن يجب أن لا تقلق بخصوص المستقبل ، وأن الله عز وجـــل مادمـــت لم تغيّر لن يغيّر ؛ مادمت على طاعته قائما فأنت من خير إلى خير ومن درجة إلى درجة ومن منزلة إلى منـــزلة ومـــن رُقيّ إلى رقي ، هذا اسم المهيمن أرجو الله ســـبحانه وتعالـــى أن أكـــون قد وفقت إلى توضيح تعريفاته وتطبيقاته وشواهده .

و الحمد لله رب العالمين

******


ذو الجلال والإكرام

ذو الجلال والإكرام

أيهــا الإخوة الأكارم : مع الدرس الأربعين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم هو ذو الجلال والإكرام .

عــن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله علــيه وســلم إذا سلَّم (من الصلاة) لم يقعد إلا مقدار ما يقول : " اللهم أنت السلام و منك السلام تباركت يا ذا الجلال و الإكرام وفي رواية ابن نمير: يا ذا الجلال والإكرام " رواه مسلم .

أيها الإخوة : كلكم يعلم أن أسماء الله الحسنى كلها تدل على صفاته ، لكن اسما واحدا هو " الله " علَم على الذات ، ويدل على كل أسمائه ، إذا قلت : يا الله ، معناه ؛ يا رحيم ، يــا رحمــٰن ، يــا غني ، يا ودود ، يا قوي ، يا متعال ، يا قدير ، يا حسيب ، يا لطيف ؛ فاسم

" الله" اســم علــم على الذات ، ويشير إلى كل أسمائه الحســنى ؛ لكن أسماءه الأخرى تدل على صفاته ، أو على كمال صفاته ، الغني القوي الحسيب المجيد المعطي المانع ، هــناك نقطــة دقــيقة وهي : هل يمكن أن تقسم أسماء الله الحسنى إلى قسمين ؟ قسم يشير إلى قوته ؟ وقسم يشير إلى كماله ؟ أنت تؤخذ بالقوي ، وتؤخذ بالرحيم . فالكمالات بكل أنــواعها يجمعها اسم الإكرام ، والقوة بكل مظاهرها يؤكدها

اسم ذو الجلال. مثال ذلك : قد تحترم أشخاصا احتراما كبيرا وقد لاتحبهم ينتزعون إعجابك بقوتهم ، أو بذكائهم ، أو بخبراتهم ، أو بتحصيلهم ، أو بفطنتهم ؛ وقد لا تحبهم . وبالمقابل فإن هناك أشخاص آخرون يملؤون قلبك حبا ، وقد لا ينتزعون إعجابك . الإنسان يميل قلبه لأمه ، وقد تكون أمية . يمتلىء قلبه حبا لها ، لكن علمها وثقافتها وخبرتها وفطنتها وذكاءها لا ينتزع إعجابه . وقد يحب أستاذا في الجامعة على علم وفهم وثقافة ؛ ولكن حينما يتعامل معه لا يميل قلبه إليه . إذن هناك صفات تُعجب بها ، و هناك صفات تحبها . الصفات التي تعجب بها ، مجموعة في اسم الجلال . و الصفات التي تحبها ، مجموعة في اسم الإكرام . فإذا قلت:

" تبارك ذو الجلال والإكرام" فهذا يعني؛ أن كل صفات القّوة والعظمة والجبروت يتصف بها الله . وكل صفات الإكرام والرأفة والرحمة يتصف بها الله . فكأن هذا الاسم المركب من اسمين ، جمع الأسماء الحسنى كلها من زاويتن : زاوية القوة وزاوية الإكرام .

يقول الإمام الغزالي : إن اسم ذا الجلال و الإكرام هو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له ، لا جلال و لا كمال و لا كرامة و لا مكرمة ؛ إلا و هي صادرة منه ؛ فالجلال له في ذاته ، و الكرامة فائضة منه على خلقه ، كل أفعاله تجاه

خلقـــه إكرام ظاهر جلي ، أو باطن خفي . و هذا معنى قول الله عز و جل :

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً

[لقمان : الآية ٢٠]

الـــنعم الظاهـــرة هـــي الإيجابـــية ، والنعم الباطنة هي المصائب . وفنون إكرامه لخلقه لا تكاد تنحصر أو تتناهى . قال تعالى:

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

[البلد : الآية ٨]

عيـــنان صـــغيرتان تـــريان لـــك الأشياء على حجمها الحقيقي ، بألوانها الدقيقة ؛ و الرؤية فورية ، شبكية العين تحـــوي مائـــة وثلاثـــين مليون عصية ، من أجل نقل أدق الصور ، و بالعينين ترى جمال الكون ، بالعينين ترى جمال الأشـــخاص ، بالعينين ترى المظاهر التي تأخذ بالألباب " ألم نجعل له عينين " فالعينان هما إكرام من الله عز وجل . هذه القـــناة الدمعـــية التي هي من أدق القنوات في الإنسان ؛ لو أنهـــا ســـدت وصار فائض الدمع يسيل على الخدين – على صغر هذه المشكلة ليس خطرا – إلا أنها تجعل حياة الإنسان جحيما ، و سيحتاج دائما إلى مسح خديه ، مما سيؤدي إلى

تخريش الخد . فهذا إكرام من الله . العينان إكرام ، والأجفان إكـــرام ، و المحجر إكرام ، و العضلات التي تحرك العينين يمينا و شمالا إكرام من الله عز و جل .

كذلك جعل الله لهذا الإنسان أذنين يستمع بهما إلى أدق الأصـــوات وأدق النبرات . يستمع بهما إلى الصوت ، وإلى جهة الصوت ، وإلى هوية الصوت ؛ هذا إكرام .

مفصـــل يدك إذا ألغي كيف تأكل ؟ أدى هذا إلى وضع الطعـــام علـــى الأرض ، والانبطاح من أجل أن تأكل الطعام كالهرة تماما . وهذا الرسغ ، وهذه الأصابع ، وهذا الأنف ، وهـــذه الأســـنان ، واللسان ، لسان المزمار ، والحنجرة ، والأمعاء ، كل هذا إكرام من الله . قال تعالى :

ورد هذا الاسم مرتين في كتاب الله ، المرة الأولى قوله تعالى :

وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

[الرحمن : الآية٢٧]

والمرة الثانية : " تبارك اسمُ ربك ذي الجلال والإكرام " الرحمن : الآية ٧٨

نقـــف عند هذه المفارقة الدقيقة : و يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام : ذو من الأسماء الخمسة مرفوعة بالواو . لمـــاذا جـــاءت الآية الأولى بالرفع ، والثانية بالجر ؟ الآية

الثانــية تبارك اسم ربك ذي الجلال و الإكرام " الاسم عرض وليس جوهرا فجاءت ذي تابعة لربك ؛ " تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام " أما الوجه من الذات. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " هذه هي اللغة العربية . قال تعالى :

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

[الشعراء : الآية ١٩٥]

لأن الاســم لــيس جوهرا في الإنسان بل عرض ، إذ بإمكانــه تغييــر اسمه ، لكن وجهه جزء من ذاته ولا يمكن تغييره ، فإذا قال الله عز وجل " تبارك اسم ربك " قال : ذي الجــلال والإكرام . أما إذا قال : ويبقى وجه ربك ؛ فالوجه مــن الــذات" هذا الاسم المركب من اسمين يوحي لنا بأن أسماء الله صنفان : صنف يشير إلى قدرته ، وكمال قدرته ، وقهــره ، وجبــروته ، وقوته ، وصنف يشير إلى كمالاته ؛ فكــل الأســماء المــتعلقة بالقوة يمثلها اسم الجلال . وكل أسمائه المتعلقة بكمالاته ، وإكرامه ، وإحسانه ، ورحمته ، ولطفــه ، ورأفــته ، يمثلها اسم الإكرام . فإذا قلت :" تبارك اســم ربــك ذي الجــلال والإكرام " فأنت جمعت بهذا الاسم أسماء الله الحسنى كلها .

لــذلك فإن الإمام الغزالي يقول : لا جلال ولا كمال إلا وهــو لـــه ، ولا كــرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه ؛ فالجلال له في ذاته ، والكرامة فائضة منه على خلقه ؛ فلو

كـــان شخص ذو هيبة أمام الخلق؛ فهي من الله . ولو أراد الله نزعها ، لصار حقيرا أمام الخلق جميعا . فرعون قال : " أنـــا ربكم الأعلى " فلما أغرقه الله عز وجل ، أنجاه ببدنه ، ورمـــاه إلى الشاطىء ، ليكون آية للعالمين . ولو أنه غرق لمـــا صدَّق الناس أنه غرق و لكن شاءت حكمة الله أن يبقى جسده بعد غرقه كما هو ، وأن تقذفه الأمواج إلى الساحل .

ففنون إكرامه لخلقه كثيرة لا تكاد تنحصر ولا تتناهى :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ

الإسراء : الآية ٧٠

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤

التين : الآية ٤

بـــدءا من جهازه العظمي ، مفصل نحو الداخل . الركبة نحـــو الخـــارج ، والرأس يدور . و العمود الفقري يتمفصل تمفصلا محدودا . الجمجمة مفاصلها ثابتة ، وعندما يصاب الشـــخص بضـــربة على رأسه فإن تداخل هذه الأجزاء يقي كسر الجمجمة ؛ فكل هذا من إكرام الله له . وأتمنى لو يتفكر كل واحد منا بإكرام الله له .

الـــنوم إكـــرام ، تنام بضع ساعات وبعدها تشعر وكأنك حصان . هضم الطعام إكرام تأكل وانتهى الأمر ؛ لكن لو أن الله أوكـــل إلـــيك هضم الطعام فإذا تناولت وجبة امتنعت عن

مقابلـــة أي شـــخص كان ، ثلاث ساعات أو أربع ساعات ، لماذا ؟ لأنك مشغول بهضم الطعام . فيضيع وقتك .

فوجـــبة الإفطار تحتاج إلى أربع ساعات هضم ، ووجبة الغداء تحتاج إلى خمس ساعات ، ووجبة العشاء تحتاج إلى أربع ساعات . فأنت تقضي خمس عشرة ساعة للهضم ،فهل نقلـــت اللقمـــة إلى المريء ثم إلى المعدة ، أم أمرت الغدد بالإفراز ، و البنكرياس بصب الأنسولين في الدم ، الصفراء بـــأن تفرز ، أم نقلت اللقمة و الطعام إلى الاثني عشر ، أم إلـــى الأمعـــاء ؟!!! هـــو جل جلاله قال لك : كُل و لا تهتم بالباقي . فكل ما يجري من تفاعلات الهضم و الانحلالات لا دخـــل لك فيها . هَب أن الله أوكل إليك التنفس ، لن تستطيع أن تـــنام الليل أبدا فالنوم يعني الموت . وأنت نائم و القلب يعمـــل ، والرئتان تعملان و لسان المزمار يعمل بلا كلل ولا ملـــل ؛ كـــل هذا وأنت نائم . وزن جسمك الجهاز العظمي والعضلات التي فوقه ، تضغط على ما تحت الجهاز العظمي فتضـــيق لمعات الأوعية – و جعل الله عز و جل في الجسد أماكن للإحساس بالضغط ؛ وهذه الأماكن و المحسات تعطي إشـــارة للـــدماغ ، فالدماغ يأمر الجسم بالتقلب وأنت نائم ، الإنسان يتقلب ثمانيا وثلاثين مرة في الليلة تقريبا ، حتى لا يشعر الإنسان بتخدر جسمه ، أو تنمله ذلك أن ضيق لمعات الأوعـــية تســـبب ضعف التروية ، وضعف التروية يشعرك بالتنميل . أما التقليب فهو من آيات الله .

إفــراغ المثانة ؛ فهي لها عضلات ، ولولا العضلات ، لاحتاج الأمر إلى تنفيس هواء . أما بالعضلات فأنت تفرغها بــثوان . فالمثانة هي من إكرام الله ؛ إذ أنه في كل عشرين ثانــية تقطر قطرة بول من كل كلية ، وتتجمع في المثانة ، وخــلال ساعتين ، أو ثلاث ، أو أربع ، تفرغ تلك الكمية في بضــع ثــوان ولولا وجود المثانة لاحتاج الإنسان إلى فوطة يلف بها نفسه . فإكرامات كثيرة من الله عز وجل ؛ الزوجة إكــرام ، والابــن إكرام ، والطعام والشراب إكرام ... أنواع لاتعد و لا تحصى

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾

سورة البلد : الآية ١١-١٥

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾

سورة الإسراء : الآية ٧٠

الإمام الرازي يفرق بين لفظ الجليل ، ولفظ الكريم فلفظ الكــريم يكفي فيه الإكرام ، والإكرام قريب من الإنعام ولكنه أخص منه ؛ فكل إكرام إنعام ، وليس كل إنعام إكراما ، كيف ذلك ؟ قد تجد أن فلانا من الناس ، له كذا من الأولاد يأكلون

جميعا على مائدته ولكن أحد هؤلاء الأولاد بار ومطيع فأنت تجد أنهم إذا صاروا على مائدة الطعام ، فهذا الولد البار له معاملة خاصة من أبيه ، فالأب يقدم له شيئا استثنائيا ويبتسم في وجهه يرضى عنه يدعوه ؛ فالطعام وحده إنعام ، أما الإطعام مع التكريم اللفظي والعملي صار إكراما .

فالإمام الرازي يقول : ليس كل إنعام إكراما ، ولكن كل إكرام إنعام ، قال : وفي تقديم لفظ الجلال على لفظ الإكرام سر، قال تعالى

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾

سورة الرحمن : الآية ٧٨

فلماذا قدم الله لفظ الجلال على لفظ الإكرام ؟ لأن الجلال يعني التنزيه ، تقول : جل جلاله ؛ أي تنزهت ذاته عن كل نقص الإكرام الصادر من الله عز وجل إكرام منزه عن كل غرض . قد تُدعى لطعام الغداء من قِبَل أحد الأشخاص ، وبعد أن تنتهي ، يطلب منك حاجة ؛ فهذه الدعوة إذن ليست خالصة ، وإنما دعوة هادفة ، وهي مشوبة بمكسب ، وغرض وتأمين حاجة حاجة ؛ لذلك قدَّم الله اسم الجلال على اسم الإكرام ؛ لأن إكرامه منزه عن كل غرض !!!!!!

" يقــول جلّ وعلا في الحديث القدسي : " لو أن أوّلكم وأخــركم و إنسَــكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد مــنكم ، مــا زادوا في مُلكي شيئا . و لو أن أولكم و أخركم و إنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقصوا في ملكي شيئا "

فتقديم اسم الجلال على اسم الإكرام ، لأن إكرامه منزه عن كل غرض .

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ

[سورة إبراهيم : الآية ٨]

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ

[سورة الزمر : الآية ٧]

أمــا الإمــام القشــيري فيذكر ؛ أن جلال الله منزه عن الأنصــار و الأعــوان . أحــيانا يستمد الإنسان هيبته ممن حــوله ، و مــن أنصاره و أعوانه ، وجماعته ، ومن القوة التي بيده ، و من الأشخاص الذين حوله ؛ لكن الله عز وجل منــزه فــي جلاله عن الأعوان والأنصار الإنسان أحيانا ٠

جلالـــته مـــن مالــه ، أو مكانته من علمه ، أو مكانته من سلطته . هذه المكانة مشوبة و مفتقرة إلى شيء قالوا : من أحـــبك لشيء ، كرهك لفقده . فجلال الله عز وجل منزه عن الأسباب ؛ لأنه ذو جلال بذاته من دون سبب منفصل عنه . جلاله يعني الرفعة والعزة و صفات العلو . والإكرام كما قال الإمام الرازي : " قريب من الإنعام ، إلا أنه أخص منه ؛ لأن الله ســبحانه وتعالى قد يُنعم على مَن لا يُكرم ؛ فهو سبحانه لا يحـــب الكافـــرين لكـــن يمنحهم المال والصحة ، والأولاد و البـــيوت ، و المتع و السيارات و المباهج ؛ فكل هذا إنعام و لـــيس إكراما . لكنه جل جلاله يكرم المؤمنين ، فهو ينعم علـــى من لا يُكرم ، و لا يُكرم إلا من يُنعم عليه . و قالوا : إكـــرام الله عز وجل نوعان : نوع معجَّل في الدنيا ، ونوع مؤجَّل إلى الآخرة . فالإنسان إذا كان في الدنيا كما لا يريد ، فهو ينتظر إكرام ربه بعد الموت ، ورد في الحديث القدسي :

" إنـــي والجـــن والإنـــس فـــي نبأ عظيم ؛ أخلَق ويُعبد غيـــري ؛ وأرزق ويُشـــكَر سِواي ؛ خيري إلى العباد نازل ، و شَـــرُّهم إلـــيَّ صـــاعد ، أتحـــبب إليهم بنعمي و أنا الغني عنهم ، و يتبغَّضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقـــبل علـــيَّ منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيـــبهم ، و إن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ،

لأطهـــرهم مـــن الذنوب و المعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمـــثالها و أزيد ... و السيئة بمثلها و أعفو ... و أنا أرأف بعبدي من الأم بولدها .

و قـــال بعـــض العارفـــين : ذو الجلال والإكرام ؛ هو صـــاحب الجلالـــة ، لأنه لا شرف ، و لا مجد ، و لا عزة ، و لا قوة ، إلا و هي له ، فهي له و به ومنه أحيانا يهب الله تعالـــى لـــبعض الأشـــخاص هيبة ، جلالة ، مكانة ، وأحيانا يأخذها منهم فجأة . هو الأصل . فلا شرف ، ولا مجد ، ولا عـــزة ، ولا قوة إلا وهي له وبه ومنه ولا كرامة ولا فضل ولا نعمـــة ولا إحسان ، إلا وهي من مدده جل جلاله ؛ هذا معنى ذو الجلال والإكرام .

وقال بعضهم : هذا الاسم الجليل جامعٌ للجلال والجمال ؛ فإن الله تعالى له جلال رهيب ، وجمال عجيب .

وبالمناسبة أقول ، هل المؤمن المتصل بالله جل جلاله له هيبة ؟

" عـــن أبي مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجـــل فكلّمـــه فجعـــل ترعد فرائصه فقال له صلى الله عليه وسلم : " هوِّن عليك فإني لستُ بملِك ، و إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد " رواه ابن ماجه

كـــان عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة هابه ، ومن عاملـــه أحـــبه . فالنبـــي وأصـــحابه والمؤمنون الصالحون

الصادقون المخلصون ؛ هؤلاء يأخذون من هذا الاسم نصيبا وهــو الهيــبة ؛ من اتقى الله هابه كل شيء . وأي إنسان اتصــل بالله عز وجل كانت له هيبة . الإمام الحسن البصري كــان من كبار التابعين ، وكان ذا هيبة عظيمة . ولعل قصة هــذا الإمــام تحوي على ما يدل على هذا المعنى ؛ لقد أدى واجــب العلــم ، وذكــر بعــض الأخطاء التي صدرت عن الحجّــاج ، ولمــا بلــغ الحجــاج مقالة البصري ، غضب ، وتــوعّد ، وأمــر بقتله وقال : ائتوني به -طبعا حينما أمر بقــتله جــاء بالسيّاف ومد النطع أمامه في قصره - بل قال قبل أن يقول ذلك لمن سمع مقالة الحسن البصري ، ولم يرد علــيه ؛ قــال لهم : والله يا جبناء لأسقينكم من دمه . فلما دخــل الحســن على الحجاج ورأى السيّاف جاهزا ، والنطع ممدودا ، تكلم بكلمات لم يسمعها أحد ، فما كان من الحجاج إلا أن وقــف له ، واستقبله وما زال يقربه حتى أجلسه على سـريره ، وكــان يكنى أبا سعيد قال له : يا أبا سعيد كيف أنــت ؟ يــا أبا سعيد ، أنت سيد العلماء . يا أبا سعيد يا أبا ســعيد ... وقــيل : عطّره ، واستفتاه في قضية ثم شيعه . فصُــعق السيّاف.. جاءوا به ليقطع رأسه ومد النطع وكأنه قــرار نهائي ، فتبع الحاجب أبا سعيد فقال له : يا أبا سعيد لقــد جــيء بــك لغيــر مــا فُعــل بك ! فماذا قلت قبل أن تدخل ؟ قال قلت :

يا ملاذي عند كُربتي ، يا مؤنِسي عند وحشتي ؛ اجعل نِقمتَه عليَّ بردا وسلاما ، كما جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم

صدِّقوني أيها الإخوة : هذا لكل مؤمن في كل زمان وفي كل مكان ، للمؤمن هيبة . لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدهم عندها ، إن كان مؤمنا مستقيما ، فمن اتقى الله ، هابه كل شيء ، ومن لم يتق الله ، هاب كل شيء .

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم : " قال أعطيت خمسا لم يُعطَهُن أحد قبلي : نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر و جُعِلت لي الأرضُ مسجدا و طهورا .. فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ .. وأحلَّت لي المغانم ولم تَحِل لأحدٍ قبلي وأعطيت الشفاعة .. وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة "
رواه البخاري

فالنبي صلى الله عليه وسلم نُصر بالرعب وحينما تركت أمَّته سُنَّته ؛ هُزمت بالرعب !!!!!

وقال بعض العارفين : " ذو الجلال والإكرام " ؛ هو المنفرد بالجلال والإكرام والعظمة ، المختص بالإكرام والكرامة ؛ فكل جلال له ، وكل كرامة منه سبحانه ، له الجلال في ذاته ، والإكرام فيض منه على خلقه ؛ فما من نعمة تأتيك إلا وهي من الله ؛ حتى لو أن عينيك رأتا أن هذا

الإنسان - فلان الفلاني - هو الذي أكرمك ؛ إذا كنت موحدا ترى أن الله ألهمه ، وسمح له، وأن الله مكنه ، وألقى حبك في قلبه فأكرمك . لذلك - المؤمن الصادق - إذا أصابه خير ، بادئ ذي بدء يشكر الله عز وجل ، السيدة عائشة حينما لاك الناس حديث الإفك ، وبقي الوحي منقطعا قرابة شهر ، والنبي صلى الله عليه وسلم في أشد حالات الضيق والحزن ، ثم جاءت براءة الله عز و جل للسيدة عائشة - رضي الله عنها - فقال لها الصديق : قومي لرسول الله فاشكريه فقالت : لا والله ، لا أشكر إلا الله فابتسم النبي وقال عليه الصلاة والسلام : عرفت الحق لأهله "رواه أحمد

مادام كل كرامة من الله ، وأي إكرام مهما بدا لك أنه من فلان ، فهو من الله لذلك فلا ينبغي أن تشكر إلا الله . فالمؤمن الصادق يعوِّد نفسه وأهله وأولاده سجود الشكر .

فقد يعطيه الله عز وجل بعد أنحُرم ، كأن ينال درجة أو شهادة أو مالا ، أو ولداً ، فهو يرى كل نعمة من زوجة وولد ومال وعطاء ، و نجاح ، هي منه سبحانه وتعالى .

وهو المنفرد بصفات الكمال . والعظمة والجلال ، المختص بالإكرام والكرامة ؛ فكل جلال له ، وكل كرامة منه سبحانه ، له الجلال في ذاته ، والإكرام فيض منه على خلقه .

عندي مثل أحب أن أطرحه أمامكم :

بمعامل الحديد الضخمة ، هناك رافعات كهربائية ، مساحة كبيرة من الحديد؛ مربعة أو دائرية محاطة بوشيعة كهربائية ، فإذا سَرَت الكهرباء في هذه الرافعة ، تصبح ممغنطة . و هذه الرافعة ربما حملت خمسة أطنان . و الآن وهي ترفع هذا الثقل ؛ لو ضغط العامل مفتاحا بمقدار ربع مليمتر بحيث قطع الكهرباء ، فكل هذه الأوزان تسقط ! أردت بهذا المثال أنه مهما كان لك هيبة ، أو كنت ذا شخصية متألقة ، ومحظوظا ومحبوبا ؛ هذا من الله عز وجل ، بدليل أنه أحيانا يفقدك هيبتك ، ويأتي أحقر الناس فيتطاول عليك ، ويسيء إليك . فإذا شعرت بالمكانة و الهيبة و أنك محبوب فهي من الله ، والنبي – عليه الصلاة و السلام – علمنا أن العبد الصالح كلما زاد الله في إكرامه ؛ كلما زاد هو في تواضعه لله عز وجل . إن لذة النصر لا توصف ، فأهل مكة المكرمة بالغوا بالإساءة إليه صلى الله عليه وسلم وأساءوا إليه ، وحاربوه ثلاث مرات في بدر وأحد والخندق ، وحاولوا قتله وأخرجوه ونكّلوا بأصحابه وعذبوهم وأذلوهم وقتلوهم ، وهم متعالون ... حتى أن سهيل ابن عمرو لم يرض أن يكتب في صُلح الحديبية:" هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله " قال : امحُ رسول الله ــ غطرسة وكِبرا ــ ثم فُتحت مكة ، عشرة آلاف سيف متوهجة تأتمر بأمر النبي وقد دخلها منتصرا ، كيف

دخلها ؟ دخلها مطأطىء الرأس ! ودخلها متواضعا ، وكادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره !!!!!

فالله ذو الجلال والإكرام ، وكل الجلال منه ، وله ، وبه وكل الإكرام منه وله وبه . فإذا تمتعت بهيبة فاذكر أن الله هو الذي رفع لك ذِكرك ، وإذا تمتعت بإكرام فاعتقد أنه منه .

معنا الآن معنى جديد ؛ فكونه ذا الجلال فينبغي أن تُجِلَّه . ولأنه ذو إكرام فينبغي أن تحبه ، وأن تكرم عباده ؛ فرد الفعل عندك أن تجله ، قال تعالى : " ومَن يُعظِّم شعائرَ اللهِ فإنَّهـا من تقوَى القلوب " بعض الأحيان يتأدب الإنسان مع كتاب الله ، ويضعه في مكان عال ، و لا يجعل رجليه باتجاهه ، وإذا قرأه ، قرأه جالسا ، ويضعه على وسادة ، فكل تعظيم لشعائر الله وكتابه وبيوته وأوليائه ، هو من إجلال الله عز و جل . عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط " رواه أبو داود .

و معنى إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم " رجل متقدم بالسن ، نشأ في عبادة ربه ، صاحب شيب ؛ إكرام هذا الشيخ هو من إكرام الله ، إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم . وإكرام العالم العامل بما علِم ، والإمام العادل... كل ذلك من إكرام الله وإجلاله ، فالمعنى الجديد

الذي مر معنا هو : مادام الله ذا الجلال والإكرام ؛ فينبغي أن تجلــه ، وأن تكــرمه بإكــرام خلقه ، وهو رد الفعل . أيها الإخــوة : روي فــي بعــض الروايات ؛ أن اسم ذا الجلال والإكــرام ؛ هو اسم الله الأعظم ، فعن أنس بن مالك قال : " ســمع النبــي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان بديع السموات و الأرض ذو الجلال والإكرام " فقال لقد سأل الله باســمه الأعظــم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب رواه ابن ماجه

و قــد جاء في بعض الأحاديث الشريفة عن عبد الله بن المــبارك عــن يحيى بن حسان من أهل بيت المقدس وكان شــيخا كبيــرا حســن الفهم عن ربيعة بن عامر قال سمعت رســول الله صــلى الله عليه وسلم يقول ألِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام رواه أحمد

ومعنى ألِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام ؛ أي التجئوا ، فإذا حلَّــت بالمــؤمن مشكلة ، أو ألمَّت به مُلمة أو دهمه خطب أو حلــت بــه محــنة ، دعــا وقال : يا ذا الجلال و الإكرام بــرحمتك أستغيث " ألظوا : أي التجئوا وألِحُّوا وادعوا بهذا الاســم، قال ابن الأثير أي :غلزموه واثبتوا عليه، وأكثروا من قول ذلك في دعائكم .

التطبــيق الثاني : من عرف جلال الله تواضع له ، لذلك لا يجــتمع مــع معرفة الله عز وجل أنا ؛ من أنت ؟ أنت لا

شيء . لا تقل أنا . متى أكثر العبد من ذكر الله ، ولاح نور الله علـــى سِرِّه ، صار جليل القدر بين العوالم . ومن عرف جـــلال الله ، تواضــع لـه وتذلل . إذا صح قولنا : " تخلَّقوا بـــأخلاق الله " فكـيف نـــتخلق بـــأخلاق الله ؟ باسم الجلال والإكـــرام ؟ الإكـــرام أن تكرم الناس أن تجعل أساس حياتك العطـــاء ، أما الجلال أن تترفع عن السفاسف ... فمن كثر مـــزاحه ، قلت هيبته .. لا تتعلق بالجزئيات و التفاصيل . لا تكـــن سخيفا . إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها ودَنِـــيَّها . فاعتدالك في الأمور وتوازنك واهتمامك بالقضايا الكبرى ، وتعلقك بالآخرة ، وترفُّعك عن السفاسف والدنايا ، وترفعك عن السفاهات ، وعن كثرة القيل والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال ، وتعلقك بالآخرة ، يجعلك ممن تخلَّق بـــأخلاق الله ، وصـــار لك هيبة أساسها الاعتدال والسلوك الحســـن ، والترفع عن الدنايا والسقطات والزلَّات والثرثرة والتعلـــيقات و التدخلات الجانبية ، وأن تحشر نفسك فيما لا يعنـــيك . هـــذا كلـــه يضعف مكانتك . والإنسان الناضج له إحســـاس دقيق جدا ؛ فيشعر أن هذه الكلمة تصغِّره ، وهذه النظرة تصغِّره ، وأن هذا السؤال يجعله دنيئا وأن هذا التذلل يجعلـــه خنوعا ، وأن هذا التصرف يجعله طامعا . كل عمل يجعلـــك أمام الناس صغيرا ، ترفَّع عنه ، من أجل أن تتخلق بـــأخلاق الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إياك وما يُعتذر منه " .

أي أن أي تصـــرف يجعلك تقول : " لا تؤاخذوني " أي تعـــتذر ؛ فـــلا تفعلـــه ، فإذا استطعت أن تكون كذلك تخلّقت بأخلاق الله و صارت لك هيبة ، والهيبة نوعان : نوع كسبي ونوع وهبي .

الـــنوع الكسبي : التزامك بالأدب وضبط اللسان ؛ فمن كثـــر كلامـــه كثـــر خطوءه ، اضبط لسانك وجوارحك وكن معتدلا ، لا تتكلم كلاما لست متأكدا منه، ولا تتهم أحدا قبل أن تتحقق ، قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾

سورة الحجرات :الآية ٦

فعدم السرعة وعدم الثرثرة ، وفهم الأمر بتريث ، وترك الـــدنايا ، يجعلـــك ذا جلال. وإذا جعلت أساس حياتك العطاء والسخاء والدعم ، صرت ذا إكرام .

أمـــا الوهبـــي ، فـــإن أقـــبلت علـــى الله واتصلت به ، وتصـــاغرتَ وتذللت أمام عظمته ، وهبك الجلال والهيبة ... كمـــا أن الله عـــز وجـــل أكرمنا فيجب أن نحبه ، وأن نكرم عباده . ففي الحديث القدسي : " إذا أردتم رحمتي فارحموا

خلقـــي " ، وفـــي الحـــديث الشريف : " الراحمون يرحمهم الرحمن " .

جاء في بعض الأدعية :اللهم أنت ذو الجلال والإكرام ، صـــاحب الطول والإنعام ، لك جلال يدكُّ الجبال ، ولك جمال يفتح باب القبول والوصال .

وأنـــا يـــا أخي المسلم أتمنى أن يهزك جمال الله ، كما يهـــزك جلاله ، وأن تُقبل عليه رهبة ورغبة ، رجاء وخوفا فإن جلاله مرغوب ، و كماله محبوب .

بعضـــهم ناجى ربه فقال : يا رب أشرق نور هذا الاسم على لطائف قلبي ، حتى تجنبت الرذائل ، فكنتُ جليل القدر ، وانشـــرح صـــدري بإكرامك ، فكنتُ مجمَّلا بلطائف إنعامك ، إنك على كل شيء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير وسلم .

أيهـــا الإخوة الكرام : لعل هذا الاسم كما ورد هو اسم الله العظيم ؛ ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام ، الجلال كل صفات القوة والعظمة منطوية في يا ذا الجلال ، وكل صفات الكمال والإكـــرام مـــنطوية فـــي الإكـــرام ؛ فإذا قلت : يا ذا الجلال والإكـــرام ، فكأنـــك جمعت بهذا الاسم المركب أسماء الله الحســـنى كلهـــا ، ولكن من زاويتن ؛ زاوية القوة ، وزاوية الكمـــال ، ومـــنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام " ، ومعنـــى ، تدعوه بيا ذا الجلال والإكرام ؛ أن تعظمه بالقدر

الــذي تحــبه ؛ فــإذا كان في حياتنا كما قلت في مطلع هذا الدرس أناس نحبهم كثيرا ولا نقدرهم كثيرا ، وأناس نقدرهم كثيرا ، ولا نحبهم كثيرا ، فالله عز وجل ذو الجلال والإكرام بقــدر مــا هو عظيم في قلبك ، بقدر ما هو كريم في تعامله معك .

و الحمد لله رب العالمين

******





الحي

أيها الإخوة الأكارم ، الاسم اليوم هو الحي القيوم .

الحي : اسمٌ من أسماء الله تعالى التي وردت في القرآن الكريم ، والتي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بد من أن نذكِّر القارئ الكريم بقول النبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ *

وفرق كبير بين من يَعدُها وبين من يحصيها ، فالعَدُّ شيء ، والإحصاء شيء آخر ، فالعد كمي وأي إنسان بإمكانه أن يعدها وأن يحفظها ، لكن الإحصاء شيء آخر ، و هو أن تقف عندها اسماً اسماً ، أن تتعرف إلى مضمون الاسم ... فماذا تعني كلمة الحي ؟ .. و ماذا تعني كلمة القيوم ؟ .. و هكذا بقية الأسماء الحسنى .

فتتعرف إلى أسماء الله الحُسنى يؤلف أكبر جزء من عقيدة المسلم ، فلا يكفي أن تقول الله خلق السماوات والأرض ، هذا الإيمان يستوي فيه الناس جميعاً على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم ، بل إن المقصرين ، بل إن الكافرين ، بل إن عباد الأوثان ، بل إن إبليس، اعترف أن

الله خلق السماوات والأرض ولكن التفاضل بين المؤمنين في معرفة أسماء الله الحُسنى ؛ معانيها ومضامينها

لـــو أنك التقيت مع إنسان لا تعرف عنه شيئاً ، قلت له عرّفنـــي بذاتك قال لك : أنا فلان ، هل يكفي أن يذكر اسمه لتعـــرفه ؟ .. بل أنت تريد أن تعرف ماذا يعمل ؟ ماذا يحمل من شهادات ؟ ماذا له من إنجازات؟ ما حجمه الاجتماعي ؟ مـــا حجمــــه الاقتصادي ؟ ما مستوى ذكائه ؟ .. أنت حينما تقول عرّفني عليك ، لا تقصد أن يخبرك باسمه الفلاني ، بل تريد أكثر من اسمه ، تريد كلّ إجابة عمّا سبق من أسئلة .

ضـــربت هـــذا المثل لأنتقل منه إلى حقيقة هي أن الذي يقول إن الله خلق السماوات والأرض ، هذا الإيمان لا يكفي كي تستقيم على أمر الله فحجم الإيمان قد يكون أقل من قوة الشـــهوة ...لـــذلك يقع الإنسان في المعصية ، لكن كلما زاد إيمـــان الإنســـان بوجـــود الله ، و أنه هو الفعال و بيده كل شـــيء ، و هو الكامل و هو الواحد ، و المصير كله إليه ، و كـــل شيء بيده ، كبُر حجم الإيمان ، و أصبح أكبر من شـــهوات الإنســـان ؛ لـــذلك تصعب الاستقامة على ضعيفي الإيمـــان ، و تهـــون علـــى أقوياء الإيمان ، فقوي الإيمان يســـتقيم بلا جهد لأنه يرى عظمة الله عز وجل والله سبحانه وتعالى حينما قال :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

(سورة فاطر)

و كلمـــة إنما دقيقة جداً ، فهي كلمة تفيد الحصْر ، مما يعنـــي أن العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشون الله ، إذن ما من طريق إلى طاعة الله ، وإلى خشيته ، وإلى الاستقامة علـــى أمره إلا أن تعرفه ، فكلما عرفته خشعت له ، و كلما نمَت معرفتك نمت استقامتك ، وكأن مؤشر الاستقامة يتحرك مع مؤشر العلم والمعرفة بشكل دائم .

ما معنى: الحي القيوم ؛ الحياة نقيض الموت ، وشتَّان بين الحياة والموت ، شتَّان بين إنسان ملء السمع والبصر ، يتكلم ، يتحدث ، يبتسم يسأل ، يجيب يفكر ، يحاكم ، ينتقل ، يمشـــي ، يعمـــل ... و بـــين إنسان جثة هامدة ملقى على الطريق ، شتان بين الحياة و الموت ، فهناك فرق كبير بين قلب حيٍّ بذِكر الله ، و بين قلب ميت، قال تعالى :

أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

(سورة النحل)

قال تعالى :

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

(سورة فاطر)

قال تعالى :

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(سورة الأنعام)

آيات كثيرة تؤكد أن الذي لم يعرف الله عز وجل ميت ، وأن القلب يحيا بذكر الله :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ



(سورة الرعد)

يحـيا القلـب بذكـر الله ويطمئن بذكر الله ، و الإنسان المعاصـر يفقـد شيئاً ثميناً جداً و هو الطمأنينة ، حوله كل شيء لكن يحيط به ألف خطر ، خطر السرطان ، و لا بد من فحْـص ، و خطر بقيّة الأمراض ، و خطر الحوادث أيضًا ، لذلك تنمو شركات التأمين بنمو القلق في النفوس .

إن حياة الإنسان من دون إله يعبده ، من دون إله يُنيب إليه ، من دون إله يَلجأ إليه ، من دون إله يَحتمي به ، من دون إله يُطمئِنه ، تصبح جحيماً أكبر ما فيه القلق ، الخوف مـن المجهـول ، الخوف من أحداث مستقبلية تظهر فجأة ، متـى يصـاب بهـذا المرض ؟ لا أحد يدري ، وكلما ابتعد الإنسان عن ربه امتلأ قبله خوفًا .

سـبعة وثمانـون بالمائـة مـن مواطني البلاد الغربية المـتفوقة علمياً وحضارياً ، يَخاف وهو في البيت ، ثمانون بالمائة لا يتجولون بعد غروب الشمس أبداً ، ثلاثة وثلاثون بالمائـة يرون أن كل قوى السلطة لا تحميهم ، إنهم يحيون حياة القلق ، حياة العذاب ، قال تعالى :

ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾

(سُوْرة قريش)

أطعمـك من جوع و آمنك من خوف ، و الأمن نعمة لا تُعادلها نعمة ، و لا يحوزها إلا المؤمن ، و الدليل :

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنعام)

للمؤمنين وحدهم ، لذلك إذا آمنتَ بالله ، وإستقمتَ على أمره ، ولُذتَ بحِماه وأويتَ إلى جنابه فأول ثمرة من ثمرات الإيمان أن الله يُدخلك في رحمته ، ويُطمئِن قلبك .. فهناك أشخاص قلوبهم بأعلى درجة من النشاط أوردتهم شرايينهم دماغهم أعصابهم ، ومع ذلك فهم يشعرون بالمرض ، ويظلُّوا يُجرون الفحوص الطبية الكاملة !!!..

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال ، للكثيرين من خَلقه ولكنه يعطي السكينة بقدَر لأصفيائه المؤمنين ، هذه السكينة خاصة بالمؤمنين ، والله أيها الإخوة ؛ إنكم لتـرَوْن في قلب المؤمن من السكينة ، والطمأنينة ، والرضا بقضاء الله وقدره ، والشوق إلى لقياه ، والراحة إلى قضائه ، ما لو وُزِّع على أهل بلد لكفاهم .

المؤمن سر ، الله عز و جل يضع سره في المؤمن ، ترى أن دخله أقل من حاجته ، و تراه مطمئناً ، و هناك من

يخـــزّن الـــذهب والعملات الصعبة وإذا حدث خطر فله ببلاد أخـــرى أرصدة ضخمة ، ومع كل هذه الأرصدة ومع كل هذه الإمكانـــيات ، ومـــع كل هذه الاحتياطيات ، فإن الخوف يأكل قلبه .

لـــو سألتني عن قانون الخوف ، أقول لك إنه الشرك ، قال تعالى :

سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

(سورة آل عمران)

الشرك يعني الخوف ، قال تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

(سورة الشعراء)

فـــالله عز و جل حي ، و الحي نقيض الميت ، و الحياة نقـــيض الموت ، ورد في القرآن الكريم كلمة " الحيوان " ؛ و تعني جنس الحياة قال تعالى :

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

(سورة العنكبوت)

أصل الحياة في القرآن يعني الحي ، أي هو دار الحياة الدائمة ، حياتنا في الدنيا حياة مؤقتة ، كل إنسان له عمر ، فكل هؤلاء الذين على الأرض بعد مئتي عام لا ترى منهم أحداً ، فالخمسة الآف مليون إنسان لا تجد بعد مئتي عام منهم أحداً في كل القارات الخمس .

قفْ في شرفة بناء وانظر إلى الشارع المزدحم بالسيارات والمُشاة كل هؤلاء سيكونون تحت أطباق الثرى بعد حين ، وسوف يطويهم الموت ، فحياتنا حياة مؤقتة ، أما الحياة الحقيقية ، الحياة الأبدية الدائمة ، الحياة التي لا موت معها ،هي حياة الدار الآخرة .

سمعت بعض الفنانين بمصر ، ما ركب طائرة في حياته ، خشية أن تقع فيموت ، اعتنى بنظام غذائه عناية تفوق حد الخيال ، يأكل يومًا سمكًا ويومًا دجاجًا ، طعامه لحم خفيف ، لحم أبيض ، ومساءً فواكه ، ومع كل هذه العناية والحرص ، وذلك الحذر فقد مات .

عش ما شئت فإنك ميت

وأحبب ما شئت فإنك مفارق

واعمل ما شئت فإنك مَجْزِيٌّ به

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت .

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ،

والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر .

حياتـــنا فـــي الدنيا غير حقيقية ، حياة مَجازية ، حياة مؤقَّتة ، لأنه يعقبها موت ، يعقبها زوال ، يعقبها عدم .

و بصـــراحة ، يكـــون إنســـان مـــلء السمع والبصر ، متألقاً ، ذكياً ، قوياً غنياً سيد بيته ، أولاده أمامه متأدبون ، وزوجته خاضعة له ، فإذا مات ؛ .يحدث . حزن شديد ، بعد أســبوع ، يُقِــل الحـــزن ، بعد أسبوعين يبتسمون ، ثلاثة أسابيع يُرفع الشّعار الأسود ، بعد شهرين أوْ ثلاثة وكأنه لم يكـــن ، يقولون إذا ذُكِر المرحوم لقد انتهى ، وكل واحد منا علـــى هـــذا الطريق وكأنه لم يكُن ، لذلك فإن الله فرق بين الحيوان والحياة قال تعالى : " وَمَا هَذِهِ الحياةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ ولَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحيوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " .

الحـــيوان ، تعني : الحياة الحقيقية ، الحياة الخالية من كـــل نغص ، هل منا أحد ليس لديه منغصات ؟ هذه سُنَّة الله في الحياة الدنيا : " إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى.."

استعرض حياة الناس .. زوجة جيدة ، لكن أولاد سيئون .. أو أولاد جيدون وزوجة سيئة ، أو زوجة جيدة أولاد جيدون لكن الدخل قليل ، أو دخل كثير ولكن عقم من دون أولاد .. أو دخل كثير وله أولاد لكن الصحة متردية ، والمرض يُنغّص حياته .

طبيعة الحياة الدنيا قائمة على المُنغِصات ، لذلك حياتنا الدنيا ليست حياةً أرداها الله لنا .. أرادها الله لنا ممراً ، أرادها الله لنا معبراً أرادها الله لنا مدرسةً ، أرادها الله لنا إعداداً للآخرة ، ما أرادها الله لنا استقراراً ولا ركوناً ولا خلوداً .

فكل إنسان يتحرك حركةً خلاف تصميم الله عز وجل يشقى .. الحياة الدنيا حياة مفعمة بالمنغصات ، هكذا أرادها الله ، هكذاَ صُمِّمَت ، من أجل ألا تركَن إليها ، من أجل أن تجعلها مُنطلقاً ومَعبراً ، لذلك ورد في الحديث : " إن أشقى الناس في الدنيا أرغبهم فيها ، وإن أسعد الناس فيها أرغبهم عنها " . اتركها تأتك ، أقبل عليها تَفر منك .

" أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمني فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه "

و كلمة حيَّاك الله ، يعني أبقاك حياً ، لنستعرض ماذا تعني كلمة حياة ؛ أحيا الله الأرض ، أخرج منها النبات ، أحياها بالغيث أنزل عليها المطر ، الحي في صفة الله تعالى

هـو الباقي .. فإذا قلنا الله حي يعني حياةً دائمة ، وإذا قلنا فـلان حي حياته مؤقتة .. شيء قد يلفت النظر ، قد يشترك الإنسان في صفة مع خالقه ؛ الله حي والإنسان حي ، ولكن يجـب أن يؤمن إيماناً يقينياً أنه " ليس كَمِثْلِه شيء " .. كل مـا خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .. إذا قلت الله حي ، يعني حياة دائمة باقية ، هو الباقي ، فلان حي حياة مؤقتة .

الـنقطة الثانـية ؛ الحـي في صفة الله أنه باقٍ حياً بذاتـه ، أما أنت وأنا وكل واحد منا حي لا بذاته ، بل بإمداد الله له ، فإذا قطع الله الإمداد صار جثة هامدة ، والواحد منا ألف سبب يسلبه حياته ويجعله خلال لحظة ميتاً مرة سكتة دماغية ، ومرة سكتة قلبية ، ومرة اضطراب بكهرباء القلب ومـات الإنسان ، فإذا انتابته نوبة خفقان أذيني شديد يموت باسترخاء القلب ، مئة و ثمانون ضربه وبعدها يرتخي القلب ثم يموت الإنسان .

فـالله عـز و جل حيٌّ بذاته ، حياته ليست مستمدة من جهـة أخرى نحن حياتنا نستمدها منه ، عمر الإنسان بعمر شـرايينه ، عمـره متعلق بقلبه وشرايينه و دسامات قلبه ، مـتعلق بجهـازه العصـبي، مـتعلق بعمل الدماغ ، متعلق بالكليتـين .. لـو أن البول احتبس في الكليتين ست ساعات تـتوقف الكليـتان ، وإذا توقفت الكليتان ينتهي الإنسان ، لا يعيش الإنسان ثلاث ساعات من دون كبد ، إذا تشمَّع تشمعاً كاملاً خلال ثلاث ساعات يموت الإنسان .

مــرةً التقيت مع إنسان شديد الأذى للناس ، والأذى في طــبعه ، قال بعض الشعراء في وصفه ، ووصف أمثاله من الناس :

أنا حرٌ ومذهب كل حر مذهبي

ما كنت بالغاوي ولا المتعصب

يأبى فؤادي أن يميل إلى الأذى

حب الأذية من طباع العقــرب

لي أن أرد مُساءة بمُســـــاءة

لو أنني أرضى بظرف خلبـــي

حَسْبُ المسيءَ شعوره ومقالـــه

في سره يا ليتني لم أذنـــــــب

فمــرة التقــيت مع إنسان شعرت أنه يحب الأذى ، كلما أوقع الأذى بإنسان شعر بنشوة ، أردت أن أعظه وأن أضيِّق عليه لعله يرعوي ، قلت له ، إن الله عنده السرطان في كل أنحــاء الجســم ، بــدءاً من الجلد إلى الدم إلى العظام إلى الأحشاء ، إلى الدماغ .. والله عنده تشمع كبد ، وعنده فشل كلــوي ، وعــنده اضــطراب نظم القلب ، ذكرت له أمراضاً وبيلة ، كل مرض ينخلع القلب له، وهؤلاء الذين أمامك كلهم عباده ، فإذا أسأت إليهم انتقم منك فانتبه .

المؤمن الصادق ، أي إنسان أمامه يراه عبداً لله ، دون أن تعـرف مـن هو فإذا أردت أن تتقرب إلى الله فقدم لهذا الإنسان خدمة ، والله وحده يجازيك . قال تعالى :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(سورة البقرة)

هـذا الإلـه العظيم ، يقول لك أقرضني ، أقرضني بخدمة أحد عبادي أما الآن فنرى مِن من ضعف الإيمان ، وانهماك الإنسـان بالمـال ، ما يُحزن القلب ، و أصبح الكثيرون لا يغيثون لهفة ملهوف إلا بمال .

أحياناً الخدمة تكلِّفُهُ هاتفاً ، وأحياناً الخدمة تكلفه بطاقة توصـية أو كلمـة ، أحياناً تكلفه غض بصر فقط ، ولكنه لا يـرحمك ، لا يـرحمك إلا بمـبلغ فوق طاقتك ، تشعر بأنك ذُبحت ، حتى يرحمك ، وهذا النوع ليس له أجرٌ إطلاقاً عند الله تعالى ، لأنه أدّى خدمة بأجر.

" مَـنْ ذَا الَّـذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " .

إخــدم العباد ، وابتغ هذا العمل عند رب العباد ، أعط العــباد ممـــا أعطاك الله ولا تخشَ لومة لائم ؛ أجل لا تخشَ فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

حياتنا غير ذاتية ، حياتنا متوقفة على أجهزة كثيرة إذا توقف أحدها نموت .. فالإنسان عندما يكون مضطجعاً ويقف فجأة يضطرب جسمه بشكل لا يصدَّق ، يأتي أمر عن طريق شوارد معينة في الدم ، تضيق كل شرايين الجزء العلوي في الإنســـان ، لأن الإنسان إذا كان نائماً ثم وقف فجأةً ، فالدم بحكــم الجاذبـــية يهبط إلى الأسفل ، فما الذي يُبقي الدم في الرأس .. لو أن الدم نقص في الرأس يصاب الإنسان بالدوار ويقع .. إذا تقدم الإنسان في السن فإن نهض من السرير قد يصيبه الغثيان لأن جهاز ضبط الوقوف بعد الاستلقاء ضعُفَ قليلاً !!!

فأنا لا أعرف كم جهاز في الجسم إذا تعطّل أحدها تصبح حـــياة الإنســـان جحـــيماً لا يطاق ، حياتنا ليست من ذاتنا ، حياتنا متوقفة على إمداد الله لنا ، على حفظه لنا .

حدّثنـــي مرّة أحد أطباء العيون فقال : العين فيها ماء ، وهناك غدة تغذي هذا الماء كما أنّ هناك مصرفًا لهذا الماء ، فالمـــاء الذي يفيض من الغدّة يضاف إلى ماء العين ، وهو يتناســـب تمامـــاً مع ما يخرج من ماء العين ، وللعين ضغط وقـــد يقـــيس الطبيب ضغط العين ، فإذا وجد الضغط مناسباً فالوضـــع ســـليم ، إذا كـــان هذا المصرف مسدوداً والتغذية

مستمرة يزداد الضغط وقد تسبب عمى ، وقد تسبب أمراضاً وبيلة في الإنسان .. يعني حياتنا ، استخدامنا لعينينا فلو أنّ ذرة بحجـم الهـباب وقفت في مجرى تصريف ماء العين ، لغيَّــرَ الدمع كرة العين ولانتابها خلط مائي ، لكن هناك غدّة تغذي لتجديد الماء ، و هناك مكان يصرف وبهذا تبقى العين سليمة ، و يبقى الإنسان سعيدًا بسلامة عينه .

فـيا تــرى كم جهازًا إذا تعطل تصبح حياتنا جحيماً ؟؟ فلـيعلم كلّ منا أنّ حياتنا غير أصيلة في وُجودها ، وحياتنا ليست من ذواتنا ، أما في الجنة ، إذا أكرمنا الله بالجنة فبها حـياة مـا بعدها موت و لا يعروها مرض ، و لا يخامرها خـوف ، ولعل الله سبحانه وتعالى أراد أن يضاعف سعادتنا في الجـنة أضعافاً مضاعفة إذا تفضّل الله علينا بدخولها ، وإذا قـبل منا عملنا ، وإذا عفا عنا .. فإذا سمح الله لمؤمن أن يدخل الجنة .. فالسعادة في الجنة أضعاف مضاعفة ، فما كـان من أعراض تنتابه في الدنيا كالقلق والخوف والمرض والحـزن والانحـدار المُريع نتيجة تقدّم السنّ... ليس لهم وجود في الجنة، إذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال لي مرةً أخٌ : " كنت من خمسين سنة أنشَط مما أنا عليه الآن " قلت له طبعاً الشاب مثلا يصعد أربع درجات معاً في سـلّم البناء ، أما الكبير فدرجة ، درجةً ، ترى إنساناً متقدماً بالسن ماشياً ببطء ، ولقد كان شاباً زمنًا طويلا ثمّ

تقـــدمت بــــه السن ، وكل إنسان على هذا الطريق الإجباري سائر ، وليس له اختيار .

إذا قلـــنا : إن الله حـــي أي متصف بالحياة الأبدية ، لا بدايــــة لها ولا نهاية لها ، هو الباقي أزلاً وأبداً ، والحي هو الذي لا يموت ، لأن الذي يجوز عليه الموت حُكم عليه بأنه ميِّت ، دقّق باللغة ، قال تعالى :

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾

(سورة الزمر)

الـــذي تنتهي حياته إلى الموت هو في حكم الميِّت ، أما إذا مـــات فعلاً يسمى مَيْت ، فميِّت تعني أنه سيموت وميْت تعني أنه مات فعلاً .

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

(سورة الأنعام)

فكـــل مـــنا مـــيت أي محكوم عليه بالموت مع وقف التنفـــيذ، ونحن إذا قلنا عن أنفسنا أحياء ، فحياتنا مزورة ،

لأننا ميّتون بأمر الله ، ميتون بقضاء الله ، ميتون بأصل وجودنا على وجه الأرض ، قال تعالى : " إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ " .

الحي هو دائم الحياة له البقاء المطلق ، و الإنسان مهما عاش لابد من أن يموت ، فحياته مقيّدة بعمره ، أما من له البقاء المطلق فهو الله عز وجل كلمة مطلق كبيرة جداً ، ومدلولها واسع .، فمثلاً : الآن على الأرض يوجد ستّة آلاف مليون إنسان فمن زمن آدم إلى يوم القيامة كم إنسانًا ؟ .. الله أعلم ، ولا يجوز أن يُظلم إنسان واحد منهم ، لأن الله تعالى عدْله مُطلَق وليس نسبياً ، أما أي قاضٍ إذا فصل في ٩٩٩ حكمًا وكان في واحدٍ منها ظالماً فاسمه عادل ، ولو أنه فصل في ٩٠ بالمائة من قضاياه و كان عادلاً في عشرة منها ظلماً خطأ منه أو عدم إدراك الحقيقة اسمه عادل ، والإنسان نسبي ، يقال فلان مرتَّب فترتيبه نسبي (أي حسب الظروف) ، فلان نظيف ، نظافة نسبية ، فلان دقيق دِقَّة نسبية ، فلان كريم ، فكرمه نسبي ، فالإنسان نسبي ، أما عدل الله عز و جل فهو مُطْلَق ، أي إذا قال الله تعالى :

وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

(سورة الكهف)

فلا يظلمُ ربُك أحداً أبدًا حتى ولا عصفورًا واحدًا ، ولا دابّة ، فالله عز وجل مطلق ، الحي هو دائم الحياة له البقاء المطلق ، والإنسان عندما يربط وجوده أو سعادته أو أهدافه ، أو مصالحه بإنسان يموت فقد ارتكب حماقة كبيرة ، الإنسان إذا ربط سعادته بإنسان يموت ، فسعادته مرتبطة بهذا الإنسان فإذا مات ماتت معه .

لذلك فالإنسان العاقل يربط مصيره مع اللهَ ، ولا يعتنق إلا مبدأ الله ولا ينضم إلا إلى أهل الله ، ولا يتحرك إلا وفق الحق ، لأن الحق هو الله ، وإذا استقام على أمر الله ، فالله هو الحافظ ، وإذا كان في ظل الله فالله هو الذي يؤيده وينصره ، فكل إنسان ربط مصيره مع الله فهو السعيد حقًا ، هو الذي يتفوق ويفوز .

لا زلت في الحديث عن معنى كلمة الحي ، و الحي هو دائم الحياة الذي له البقاء المطلق ، فأقول :

هو الذي لم يسبق وجوده عدم ولا يلحق بقاءه فناء ، أيّ إنسان بالتاريخ القريب والبعيد ربط مصيره بإنسان ،

فلمـــا وقـــع هـــذا الإنسان وقع معه ولما انهار انهارَ معه ، فمغامـــرة ومقامـــرة ، أن تـــربط مصـــيرك بمصير مخلوق يموت ، أما بطولتك وذكاؤك وتفوقك ونجاحك في الحياة أن تـــربط مصـــيرك بالحي الذي لا يموت ، فكل إنسان لو مات إنســـان وكـــان مـــع الحي الذي لا يموت فهو لمْ يمُتْ . قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

(سورة آل عمران)

أنـــا لا أنســـى فـــي الســـيرة موقف النبي عليه الصلاة والســـلام لما خاطب قتلى بدر من الكفار، خاطبهم بأسمائهم واحداً واحداً ، يا فلان يا فلان يا فلان : " هل وجدتُم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، لقد كذَّبتموني وصدَّقني الناس ، وأخرجتموني و آواني الناس ، وخذلتموني ونصـــرني الناس ، قالوا أتخاطب قوماً جيفوا ؟ (أي ماتوا وأصبحوا جيفا) قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " .

هـــم يســـمعوني كمـــا تسمعوني أنتم ، فالحياة دائمة ، والمـــوت عـــبارة عـــن ثـــوب خلعته فقط ، أنت هو أنت ، مشـــاعرك ثقافتك ، ذكرياتك ، إقبالك معرفتك بالله هي هي ،

إلا أن الثوب الذي تلبسه نُزع عنك وصار هناك ثوب آخر ، لذلك خط المؤمن البياني صاعد حتى عند الموت يبقى صاعداً، وما الموت إلا نقطة على الخط الصاعد .

بصراحة أقول لكم : الزمن ليس في صالح الكافر ، بل هو في صالح المؤمن ، فالكافر وضع كل ما يملكه من البيض في سلة واحدة ، كل أهدافه في الدنيا ، كل سعادته في المال والشهوات والنساء والسهرات والحفلات ، كل إنجازه مادي ، فكلما تقدم به الزمن ضعفت قدرته على الاستمتاع بالحياة ، فحركة الزمن ليست في صالح الكافر ، لأن مضي الزمن أولاً يُضعف قدرته على المتعة ، يضعف قدرته على الاستمتاع بالحياة الدنيا ، بالطيبات بالطعام بالشراب بالنساء ، لذلك عنده قلق عميق يخشى الموت ، يخشى ما يرتبط بالموت ، يكره القرآن لأنه يُقرأ على الأموات ، يكره بعض النباتات لأنها توضع على القبور .

أغرب شيء كنت مرةً في لبنان وجدت محلاً ضخماً يبيع لوازم الموتى يسمونه صالة كبيرة ، لا أحد يرغب بأن يدخل لهذا المكان ، إلا طبعاً التجار الذين يتعاملون مع هذه المواد .

فالموت لغير المؤمن مخيف جداً ، نهاية حتمية ، أما المؤمن فمضي الزمن لصالحه ، فكلما امتد به العمر قرَّبه من سعادته المطلقة ، كلما امتد به العمر قربه من لقاء الله

عز وجل ، كلما امتد به العمر قربه من عُرسه ، وكلما امتد به العمر قربه من تحفته التي هي الموت .

ما قولك في أنّ بعض الناس ينخلع قلبه عند ذكر الموت ؟ بينما بعضهم يتمنى لقاء الله عز وجل ؟! تصور أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لما خيّره جبريل بين أن يبقى حيًّا في الدنيا وبين أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، قال : " بل الرفيق الأعلى " ماذا رأى النبي ؟ فعندما تكون حياة الإنسان بذلاً و استقامة و عطاء و خدمة للناس و التزاماً بالشرع و ورعاً ، وهو يحيىَ ليُرضي الله عز وجل فالموت عند هذا جزء من سعادته العظمى ، لذلك هؤلاء الذين يأتيهم الموت وهم على طهارة يأتيهم بأحب الأشياء إليهم على الإطلاق ، وموتهم نوع من السعادة لذلك قال الله عز وجل :

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

(سورة الزمر)

سلام .. إذا دعيَ شخص إلى وليمة وكان ضيف الشرف الأول ، فإنك ترى حس الاستقبال ، والترحيب المصافحة الابتسامة العريضة يا أهلاً ويا سهلاً ، نوّرتم نحن على شوق لهذا اللقاء ، المكان واسع لائق ، والماء البارد دونه ،

وأطـــباق الطعـــام على اختلافها ؛ ألوانًا مذاقا فهذه صورة ،- فـــإذا أكـــرمك إنســـان فـــي الدنيا ، فكيف إذا أكرمك خالق الأكوان ؟! وشتّان بين تكريم زائل ، وتكريم باقٍ أبدًا . لذلك قال تعالى :

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾

(سورة يونس)

و الـــزيادة المقصـــودة فـــي الآيـــة هي رؤية وجه الله الكـــريم ، ورد في الأثر وفي الأحاديث الصحيحة أن المؤمن ينظر إلى وجه الله الكريم فيغيب خمسين ألف عام من نشوة النظرة !! *قال تعالى :*

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

(سورة القيامة)

و أكبر عقاب لأهل الكفر ، قال تعالى :

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

(سورة المطففين)

محجوب عن الله عز وجل .

قـــال بعــض العلماء :في معنى الحي: " هو الموجود وجوداً واجباً ".

مَــن هو واجب الوجود ، وما هو ممكن الوجود ، وما هــو مســتحيل الوجود ، فالكون كله ممكن الوجود ، والله واجب الوجود .

و قال بعضهم : " الحي هو الباقي من أزل الأزل إلى أبد الأبــد "، وأنـــت معـــه والأزل هو عمق الوجود ودوامه في الماضي ، والأبد هو دوام الوجود وبقاؤُه في المستقبل .

و قيل : الحي الذي ليس لحياته زوال والذي لا يموت ، والإنس والجن يموتون ، قال تعالى :

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة القصص)

الإمام الغزالي يُعرّف الحي " بأنه الفعَّال الذي لا يموت " فالحي الكامل المطلق وهو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه .

الفعَّال ؛ الدَّرَّاك ، و الدراك صيغة مبالغة من الإدراك ، يعنـــي أن علمه مطلق ، وفعله مطلق ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم .

أحـــياناً مديـــر دائـــرة تمـــر عليه ألف قضية من وراء ظهره ، بذكاء تمرٌ من تحته ، لا يشعر ، ليس عنده إمكانية أن يعـــرف مـــا يجـــري بغيـــر الغرفة التي هو فيها ، تأتيه معلومات ، من داوم ومن لم يداوم ، يتفق موظف مع مراقب الـــدوام ، يســـجله موجـــودًا بينما هو مسافر ، فأحياناً تجد إنســـانًا علـــى أعلى درجة من الذكاء وتمر عليه ألف قضية دون أن يعلم .

الإمام الغزالي يقول الحي ؛ هو الفعال ، الدَّرَّاك ، يعني علـــى كل شيء قدير وبكل شيء عليم ، يعني قدرته متعلقة بكل ممكن ، وعلمه متعَلق بالواجب والممكن والمستحيل .

يقـــول القشيري ، الحي ؛ " هو الله تعالى حي ، وحياته صفة من صفاته زائدة على بقائه ، فهو دائم البقاء الذي لا سبيل إلى فنائه ".

اســـم الحي القيوم ورد في القرآن خمس مرات ، ورد في البقرة في آية الكرسي ، وهي سيّدة آي القرآن ، وأعظم آية فيه ، قال تعالى :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(سورة البقرة)

أحـيانـاً شـخـص يكون ملء السمع و البصر ، شخصية فـذة ، فـإن سـهر إلى الساعة الواحدة ليلاً غلبَه النُّعاس و أضجعه ، فمهما كان ذكياً ومهما كان قويا لم يعد لديه مقاومة ، فانتباهه وذكاؤه مع الإرهاق يتلاشى و يكبو .

قد تـرى سياره ثمنها خمسة ملايين ، عشرة ملايين شاحنة ضخمة هَوَتْ جانبًا ، بل تحطَّمَت ، فكل من سافر إلى حلب مثلا يشاهد حادثين أو ثلاثة ، فالسيارات هوَتْ وانقلبَت لأنّ صاحبها نـائم " النوم سلطان وقدرته نافذة "، فالله عز وجل لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم أما نحن بني البشر فنِصفُ أعمارنـا نـوم . لكـن الله لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ " .

الآية الثانية في آل عمران :

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾

(سورة آل عمران)

في سورة طه :

۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾

(سورة طه)

في سورة الفرقان :

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾

(سورة الفرقان)

في غافر :

هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

(سورة غافر)

روى الإمـــام الـــرازي أنه مات لبعضهم ابن فبكى عليه حتـــى عمي فقال بعضهم له : الذنب ذنبك ، لأنك أحببت حياً يمـــوت ، ولو أحببت الحي الذي لا يموت لما وقعت في هذا الحـــزن !!! قـــال النبي الكريم : " لو كنتُ متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي " .

أنـــا فـــيما أعتقد أنّه لا يوجد رجلان على وجه الأرض أحـــبا بعضـــهما حـــباً إلى درجة غير معقولة كحبَ أبي بكر لرســـول الله صلى الله عليه وسلّم ، أعطاه ماله كله ، قال يا أبـــا بكر ، ماذا أبقيت لنفسك؟ قال الله ورسوله ، و قال عنه صـــلى الله عليه وسلم : " ما ساءني قط ".. قال أيضًا : " ما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر " ، و "ما دعـــوتُ أحـــداً إلـــى الإسلام إلا كانت له كبوة ، إلا أخي أبا بكر "..

لـــذلك إذا أكرم الله عز وجل رجلاً بعمرة وزار المسجد النبوي فإنه ينبغي أن يسلّم أولاً على النبي ، ثم ينتقل ليُسلّم علـــى أبـــي بكر رضي الله عنه ، فليسلم عليه وليذكر أقوال النبـــي فـــيه فتضطرب نفسه ويبكي ، قال : ما ساءني قط فاعـــرفوا له ذلك " هذا الصديق ، ومع ذلك " لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي... ولكن أخ وصاحب في الله حتى يجمع الله بيننا " .

كل إنسان يضع كل أمله كل حبه ، يعلق كل قلبه بإنسان من دون الله يسقط . لذلك عندما نزلت براءة السيدة عائشة

مـــن فـــوق ســـبع ســـماوات وفرحت فرحاً شديداً ، و كان أبـــوها عـــندها ، وقال لها قومي إلى رسول الله واشكريه ، قالــت :" والله لا أقوم إلا لله ، بل أشكر اللهَ أولاً . " .. تبسم علـــيه الصـــلاة و السلام و قال لقد عرفت الحق لأهله ، لقد عرفت الفضل لأهله" .

الله هـــو الموجود ، وكلما وحّد الإنسان ربّه كثيرًا أحبه الله أكثـــر ، والمؤمن لا يعبأ بأحد ، أديب مع الناس كلهم ، يحترمهم جميعاً ، يخدمهم جميعاً أما قلبه لا يعلقه إلا بالله ، هـــذا هو التوحيد ، الله يغار ، إن رأى قلبك مع غيره ، هذا الغيـــر ضايقك بإلهام من الله من أجل أن تفك ارتباطك معه فلـــتكن ذكياً ولا تعلّق قلبك إلا بالله مباشرةً ، وعامل الناس بالإحسان .

تحـــدثت مرةً عن بحث خطير جداً .. هناك حبٌ في الله وحـــب مع الله ، الحب في الله من كمال الإيمان ، فأنا أحب أخـــي المؤمن لأنني أحب الله ، أحب زوجتي لأنها مستقيمة ولأنني أحب الله أحبها ، أما إذا أحببتها مع الله ، يعني نفذت أمرها وعصيت الله ، إذا أحببت إنساناً مع الله ، أرضيته ولم تُرض الله وبذلك تكون قد هويت في منزلق ، الحب مع الله عـــين الشـــرك والحـــب في الله من كمال الإيمان ، يجب أن تفـــرّق بدقة بالغة بين أن تحب مع الله ، وبين أن تحب في الله .

محبة النبي محبة في الله ، محبة أهل الحق محبة في الله ، محبة إخوانك في الإيمان محبة في الله ، محبة أهلك وأولادك محبة في الله أما إذا أطعت مخلوقاً وعصيت الخالق ، بدافع الحب ، فهذا حب مع الله وهو عين الشرك ، والعياذ بالله .

وبعد فالإنسان يحب من حوله ، يحب زوجته وأولاده وإخوانه ، ثم يأتيه ملك الموت ، سيبقى في القبر وحيداً ، أشد الناس حباً له يشيّعه حتى شفير القبر ، طبعاً النساء يودّعنَه في المنزل ، أما أولاده الذكور فوداعهم إلى شفير القبر يُلقون عليه النظرة الأخيرة ، ولكن بعد أن يضع الحفّار تلك الرقاقة وبعد أن يُهيل التراب ، وينصرف الناس،من بقي مع هذا الإنسان ؟! الحي الذي لا يموت هو الذي يبقى معه.

يقول له : " عبدي رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك ولم يبقَ لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت " !!!.

أليس من الذكاء أن تُقيم علاقات طيبة مع الحي الذي لا يموت لأنك سوف تنفرد معه ولا أحد معك ، والأهل ينصرفون إلى طعامهم إلى شرابهم بعد حين إلى نزههم ثم إلى متعهم ، بعد حين كأنك لم تكن ، فالأولى أن تحب الله .

هذا الذي يقول لك : أنا من أجل أولادي لم أدفع زكاة مالي ، لن ينجو من عذاب الله ، ومن أجل ولد معين لم يعدل بين بقية أولاده فلقي الله عز وجل وهو عليه غضبان .

هـل من إنسان يستحق أن ترضيه وأن تسخط الله عز وجـل ؟ هل من إنسان على وجه الأرض يستحق أن تُرضيه بسـخط الله ؟ فمن يعتقد مثل هذا ويتصرف بغير الهوى من الله فهو أحمق .

أعـرف آبـاء كثيـرين من أجل بقاء المال مع الذكور يحـرمون الإناث ويلقى الله وهو عليه غضبان ، فهل أولاده ينفعونه أو يدفعون عنه عند الله عز وجل ؟؟؟

سُئل ابنٌ عاق إلى أين تذهب ؟ قال : ذاهب لأسكَر على روح والدي .. السُكر على روح والده !!! ترك له أبوه ثروة طائلة وحرم بناته ، فهل نفعه هذا الولد بعد الموت ؟؟!! .

لـذلك لـيس من مخلوق على ظهر الأرض يستحق أن ترضيه بسخط الله .. في الأرض كلها . .فهي أرض الله ولا تعبأ بأحد .

فليتكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ وليتك ترضى والأنام غِضابُ
وليت الذِي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ
وكُلُّ الذي فوقَ التُرابِ تـُرابُ

بقـي الـتخلق باسم الحي ، فاحذر أن تكون مع إنسان كالمـيت بـين يـدي غاسلِه ، فالحذر الحذر أن تركن كلية لإنسـان ما ، ولكن قال العلماء " لتكن بين يدي ربك كالميت بين يدي مُغسِّله" .

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا

فليس لي عنهم معدل وإن عدلوا

والله وإن فتَّتوا في حبهم كبدي

باق على حبهم راض بما فعلوا

فالمــؤمن إذا أعطاه ربه ، وإذا منعه ، وإذا قرَّبه وإذا أبعده ..يبقى متعلقا بربه فعطاؤه ومنعه لخيره

كن مع الله ترَ الله معـــــك

واترك الكل وحاذر طمعك

وإذا أعطاك فن يمنعــه

ثم من يُعطي إذا ما منعــك ؟؟!!

لـــيس لك إلا الله عز وجل ، فالمؤمن الصادق بين يدي الله كالميت بين يدي المغسِّل ، راضٍ بقضائه ، راضٍ بقدره راض بـــرزقه ، راض بعطائـــه في كل الأحوال، كيفما شاء فكُن في يده

في الورى إن شاء فذاً ذقتَه وإذا شاء عليهم رفعـــك

هذه مِلَّةُ طَهَ خذ بهـــــا لا تُطِع عنها قصوراً دفعك

و الحمد لله رب العالمين

******


البارئ المصور

البارئ المصوِّر

أيهــا الإخــوة المؤمنون نحن اليوم مع اسم الله تعالى " الــباريء المصــور " ، لقد درجت الكتب التي تتحدث عن أســماء الله الحسنى على أن تشرح الأسماء الثلاثة : الخالق و البارئ و المصوِّر معا في سياق واحد ، وقبل أن أنتقل إلى اسم الله البارئ المصور لابد من وقفة قصيرة مع اسم الخالق يمكن أن تتساءل كيف يقول الله عز وجل :

{ فَتَبارك اللهُ أحسنُ الخالقين }

(سورة المؤمنون)

وكيف يقول في آية أخرى :

{ يا أيُّها الناسُ اذكُروا نِعمةَ اللهِ عليكم هل مِن خالق غيرُ اللهِ يرزقكُم من السماءِ والأرض* لا إله إلا هوَ فأنَّى تؤفكون }

(سورة فاطر)

فــي الآيــة الأولى يُثبت الله عز وجل أن هناك خالقين كثيــرين لكن الله أحسنهم ، وفي الآية الثانية يقول هل من خالــق غير الله ؟ هو ينفي عن طريق الاستفهام الإنكاري أن يكون في الكون خالق غير الله .

فالإنسان حينما يقرأ القرآن قراءة أولية ، ولا يتعمّق في العلـــم ولا يسأل أهل الذكر ، وحينما يقف عند آية من الآيات المتشابهة ولا يحاول أن يسأل عنها فقد يشعر أن في القرآن تناقضـــا ، ولـــذلك فهـــؤلاء الغربيّون أو المستشرقون الذين درسوا ما في الشرق من أديان ومن ثقافات ، هؤلاء قالوا إن فـــي القرآن تناقضا ، وهذه نظرة ساذجة أولية لا تقف على قدميها ، فالعلماء المحققون قالوا : " إذا قال الله عز وجل : " تبارك اللهُ أحسنُ الخالقين " يعني ؛ أي إنسان أخذ مواد أولية مـــن الأرض وصـــنع مـــنها شيئا ، ونُسِبَ الخلق عندئذ إلى الإنســـان ، فتعـــريفه كما يلي : الإنسان خالق إذ يصنع من شيء موجود شيئا على مثال سابق " ، فإذا قلت " فتبارك اللّه أحْســـن الْخالقين " ، فهؤلاء الذين يصنعون نماذج في بعض محلات الألبسة ، ويضطرون إلى صنع تماثيل يضعون عليّها الألبسة ، فهذا التمثال إن كان من شمع أو من جبس أو من أية مادة ، اجعله إلى جانب إنسان من لحم ودم ولاحظ الفرق بيـــنهما فهـــذا إنسان فيه حياة وله فكر وقلب ومشاعر وهو ذكـــي يســـتنبط ويحـــاكم ويفكر ويتفاعل ويغضب ، ويخاف ويـــرجو وله أوعية وشرايين وأعصاب ، وعضلات ودماغ وجهـــاز عصبي ، فإذا وازنت بين من يصنع هذا التمثال كي توضـــع عليه الألبسة ، وبين من يخلق هذا الإنسان من لحم ودم ، فقل " فتبارك اللّهُ أحْسنُ الْخالقين " .

وإذا رأيـــت وردة طبيعـــية تفـــوح برائحة زكية ، فأنت تشـــعر أن قلـــبك قـــد هفا إليها ، وإن باقة ورد تُضفي على المكـــان أنســـا وفرحا وسرورا ، وإذا دعي الإنسان إلى عقد قـــران رأى الأزهار . وهذه النباتات الطيبة الرائحة بألوان مخـــتلفة دقيقة جدا ، ولا تعرفون قيمة التلوين إلا من خلال صـــنع الحكيم .. فالفراشات والأزهار هي الأساتذة لمهندسي التلوين ، فلو نظرت إلى مركَبة حديثة جدا ، فإنك تجد ألوانها مقتبســـة إمّـــا من زهرة أو من فراشة ، يقول العوام " هذا أصـــفر غيـــر راكـــز " وهذا لون زهر جميل جدا بينما يمكن تدريج اللون الواحد إلى ثمانمائة ألف درجة والعين البشرية تفرّق بين كل درجتين ، وإذا وضعت في بيتك وردا صناعيا ، فـــبعد أســـبوع تضيق ذرعا به ، و بعد فترة قد يمسك بهذا الورد ويضعه في سلة المهملات ، إذ لاَ يحتمله ، رغم منظره الجميل وحجمه الكبير وألوانه الزاهية فالفرق كبير بين الورد الطبيعـــي والورد الصناعي ، وانظر إلى عين صُنعت لتكون وســـيلة إيضاح ، و إلى العين البشرية ، ففيها مائة وثلاثون ملـــيون عصـــية فالعصب البصري مؤلّف من تسعمائة ألف عصب ، فوازن بين آلة تصوير وبين العين ، فالعين الواحدة في الثانية تلتقط عشرات الصور ولابد من أن تُمحى الصورة الأولى لتأتي مكانها الصورة التالية ، و لو أن الصورة تنطبع فـــي العـــين وتبقى فالرؤية تستحيل كما أنها ترى الحركات والســـكنات حتـــى إن الذي اخترع السينما ، قامت لديه على

مجمـــوعة صـــور تعرض تباعا في زمن قصير بحيث تتوهم أنهـــا متحركة ، بينما هي صور ثابتة وجامدة ، فكذلك العين لابد من أن تنطبع هذه الصورة على الشبكية أولا ، وبعد ذلك تُمحى وتأتي الصورة التي تليها وهناك عتبة للرؤية ، وهذه العتـــبة تريك الأشياء متحركة ، فإذا وازنت بين العين وبين آلـــة تصـــوير ، وبين وردة طبيعية و وردة صناعية وتمثال مـــن شـــمع وإنسان حقيقي فمجال الموازنة كبير جدا ، فإذا أردت أن ترى صنعة الإنسان فلاستخراج خمسة بوصات من المـــاء حيـــنما تكـــون في بستان تسمع صوت المحرك يُصِم الآذان ، أما حينما يهطل المطر مدرارا بكميات كبيرة جدا فلا صوت ولا صخب ، قال ربنا عز و جل :

{ وتَرى الجبالَ تحسبُها جامِدةً وهي تمُرُّ مَرَّ السحابِ صُنْعَ اللهِ الذي أتْقنَ كُلَّ شيءٍ إنَّهُ خبيرٌ بما تفعلون }

(سورة النمل)

فالجبال تمر في سرعة السحاب بلا صخب ولا ضجيج ، فإذا قرأت قوله تعالى :

{ فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين }

(سورة المؤمنون)

إذن فـــلا غرابة أن يسمَّى الإنسان خالقا لأنه صنع من شـــيء موجـــود شيئا على مثال سابق ، فإذا قلت " هلْ منْ خالـــق غيْر الله ؟! " تفهم من هذه الآية أنه إذا نُسِبَ الخلق

إلـــى الله فالمعنـــى أن يخلق الله شيئا من لا شيء على غير مـــثال سابق ، وشتَّان بين الخلق على غير مثال سابق وبين التقلـــيد على مثال سبق . فالله سبحانه يخلق لحم ودم وعظم وعصب وروح . بينما يخلق الإنسان صناعة متينة .

فليس في الكون كله إلا الله يستطيع أن يصنع شيئا من دون شـــيء على غيرَ مثال سابق، أما إذا قلت الإنسان يخلق شيئا فتجد حقيقته واضحة في قول الله عز وجل :

{أخلُقُ لكم من الطِّين كَهَيئَةِ الطَّير }

(سورة آل عمران من الآية ٤٩)

أجـــل . كهيئة الطير وليس طيرا ، وهذا الطير مصنوع من طين ، لا من لحم ودم وروح ، إذن لا تناقض بين الآيتين إذ قـــال تعالـــى في الأولى : " فتبارك اللّه أحْسن الْخالقين " بينما قال تعالى في الثانية : " هلْ منْ خالق غيْر اللّه " .

ولكـــن الشيء الذي يُلفت النظر وسبق لي أن أوضحته أن فـــي القرآن الكريم كلمات إذا جاءت مُجتمِعة فلها معنى ، وإذا جـــاءت منفصـــلة عن بعضها فلها معنى آخر ، مثلا : الفقراء والمساكين ، هاتان الكلمتان إذا اجتمعتا تفرقتا ، وإذا تفـــرقتا اجتمعتا ، أي إذا ذكر الله في القرآن كلمة المساكين فقـــط ، فالمقصود عندئذ : الفقراء والمساكين ، أما إذا ذكر كلمة الفقراء والمساكين معا فالفقراء صنف والمساكين وبناء عليه إذا وردت كلمة خالق وحدها منسوبة إلى الله عز وجل

فهو الذي يوجِد من العدم على غير مثال سابق ، أما إذا قال الله عز وجل : هو الله الخالق البارئ المصور ، صار " الخلق ": هو التقدير ، و" البَرء " :هو الإيجاد من عدم و " التصوير ": إعطاء الصورة .

وبعد ، فقد يسأل سائل : ما علاقتنا بهذه الأبحاث المتعلقة بأسماء الله الحسنى ؟ إنه وقت مناسب جدا لأن أجيب على هذا السؤال ، فالإجابة : أنك إذا عرفت أن الله خالق فقط ، فهذا تعرفه العامة كذلك إذ لو سألت عامّة الناس : من خلق الكون ؟ لقالوا : الله ، ولكن لو سألتهم : ماذا تعرفون عن الله ؟ لوجموا ، وهذا ما لابد من بحثه . فأن تنسب خلق الكون إلى الله ، هذه قضية أقرَّ بها إبليس ، والدليل أنه قال كما جاء في القرآن :

{ قالَ فبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُم أجمعين }

(سورة ص)

فاعترف إبليس أن الله رب وعزيز ، ولكن الاعتراف والإقرار لا يكفي ، بل المهم هو: ماذا تعرف عن الله عز وجل ؟ وبذلك يظهر إيمانك بالله ودرجة إيمانك به ، ولدينا مقياس دقيق وصائب، فهذا الإيمان إذا حملك على طاعة الله فهو كافٍ كي تنجو به من عذاب الله ، أجل إذا حملك إيمانك على طاعة الله فنمّ قرير العين واطمئن لأنه ينجيك أما إذا

كـــان بحجـــم لا يكفـــي أن يحملـــك على طاعة الله فذلك هو الضلال المبين أقول لكم كما قال عليه الصلاة والسلام :

عـــنْ أبـــي هريْرة أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم قال : " قال ربّكمْ عزّ وجلّ لوْ أنّ عبادي أطاعوني لأسْقيْتُهم الْمطر باللّـــيْل و أطْلعْت عليْهم الشّمْس بالنّهار ولمّا أسْمعْتهمْ صوْت الـــرّعْد " وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم " إنّ حسْن الظّـــنّ باللّه عزّ وجلّ منْ حسْن عبادة اللّه " وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم "جدّدوا إيمانكمْ قيل يا رسول اللّه وكيْف نجدّد إيماننا قال أكْثِروا منْ قوْل لا إله إلا اللّه" * (انفرد به أحمد) .

إذن ، إذا اكتفـــيت أيهـــا القـــارئ الكـــريم بمعرفة الله فالطـــريق أمامـــك لازال طـــويلا ، و لـــيس المهم أن يعرف المـــرء ربه و لا حجم هذه المعرفة بل المهمأثر هذه المعرفة و نتيجـــتها ، و الأثر هو الطاعة لله عز و جل ، و لذلك قال بعض العلماء في تفسير هذه الآية :

{ إليهِ يصعدُ الكَلِمُ الطيِّب والعَمَلُ الصالحُ يرفعُه }

(سورة فاطر من الآية ١٠)

مـــا الذي يجعل الكَلِم الطيب يصعد إلى الله عز وجل ؟ بالعمـــل الصـــالح الذي يرافقه ، فلو أن الكلم الطيب خلا من عمل صالح لما صعد إلى الله عز وجل " !!!!.

إذن : فالذي يرفعك هو عملك الصالح ، وعملك الصالح أساسـه حجـم معرفتك ، فمن الممكن أن نعطي الإيمان كما يقولـون حجما ماديا لنتبيّن الحقيقة ، فلو وضعنا الإيمان في كفـة ، و وضـعنا الشهوات في كفة ورجحت كفة الشهوات فالإيمان لا يكفي ، والصراع قائم لا محالة .

وربنا عز وجل حينما وصف النبي عليه الصلاة والسلام قال :

{ وإنّك لعلى خُلُق عظيم }

(سورة القلم)

فالنبي متمكّن من أخلاقه ، وقد انعدم أي صراع لديه ، أما إذا كان حجم إيمانك بحجم شهواتك ، أو كان وزن الإيمان الضـاغط علـيك كوزن شهواتك الضاغطة عليك ، أي كان الـوزنان متساويين فقد دخلت في الصراع بينهما حتما ، أما إذا كـان حجـم إيمانـك أكبر فتنجو من الصراع وتكون من الفائزين وتقترب من معنى التمكن من الخُلُقْ العظيم .

وإذا كـان حجـم الشهوات أكبر فقد ولج المرء باب مدخل ثان ، ونبدأ عندئذ بالسؤال التالي : لماذا أودع الله فينا الشـهوات ؟ .. فلنتصورّ أولا أن الإنسان ليس لديه شهوات بـل عـنده عقـل فقط وعقله يأمره أن يتجه إلى الله ، فأين العـبودية لله ؟ لا تبدو عبوديتك ولا حبك ولا إخلاصك ، ولا طاعـتك ، بل كل حقيقة الحياة الدنيا التي أساسها الابتلاء لا

تظهـــر ، إذا لـــيس لـــدى المرء شيء من الشهوات فلحكمة أرادها الله عز وجل ، أودع فيك أيها الإنسان شهوة وأعطاك عقــلا ، فالعقــل له نداء والشهوة لها نداء ، فإذا غلب نداء الشهوة فسينطبق على هذا الإنسان قوله تعالى :

*{ حتَّى إذا جاءَ أحدَهُمُ الموتُ قال ربِّ ارجِعون * لعلّي أعملُ صالِحاً فيما تركت كلا إنَّها كلمةٌ هو قائلُها ومـــن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون * فإذا نُفِخَ في الصُّوْر فلا أنسابَ بينهُم يومَئذٍ ولا يتساءَلون * فمَن ثقُلـــت موازيـــنُه فأولئك هم المفلحون * ومن خفَّت موازيـــنُه فأولـــئك الـــذين خسِروا أنفسَهُم في جهنَّمَ خالـــدون * تلفحُ وجوهَهُم النارُ وهُم فيها كالِحون * ألـــم تكُن آياتي تُتْلى عليكم فكنتم بها تكذِّبون * قالوا ربـــنا غلَـــبَتْ علينا شِقوتُنا وكُنَّا قوما ضالّين * ربنا أخـــرجْنا مـــنها فإن عُدْنا فإنَّا ظالمون * قال اخْسَئوا فيها ولا تُكلّمون }*

(سورة المؤمنون)

أي غلـــبَت عليـــنا شـــهوتنا ، التـــي أشقتنا ، فسمّاها بنـــتائجها ، غلـــبت علينا شهواتنا التي كانت سبب شقائنا ، وكـــنا قـــوما ضـــالين ، ربّـــنا أخْرجْنا منْها فإنْ عدْنا فإنّا ظالمون * قال اخْسئوا فيها ولا تكلّمون .

*﴿ إِنَّـــهُ كـــان فريقٌ من عبادي يقولون ربَّنا آمنَّا فاغفِر لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الراحمين * فاتَّخذتُموهم سِـــخريًّا حتى أنْسَوْكُم ذِكري وكنتُم منهُم تَضحكون * إنِّي جَزَيتُهم اليومَ بما صَبروا أنَّهُم هم الفائزون ﴾*

(سورة المؤمنون)

إذن لابـــد مـــن معـــرفة أن في الإنسان دافعا شهوانيا ووازعا عقليا فإذا غلب العقل على الشهوة نجا ، وإذا غلبتْ الشـــهوة علـــى العقـــل هلك ولحكمة أرادها الله أنت ممتحَن دائما ، ممتحن بين أن تنام وبين أن تصلي ، فالعقل يقول لك قـــم قصَـــلِّ ، والجســـم يقول اخلد إلى الفراش فأنت متعب ، تســـمع أذان الفجـــر ، فـــيقول لك العقل قم فصلِّ هذا وقت الصـــلاة والصـــلاة خيـــر من النوم ، ويقول لك الجسد ابقَ مســـتريحا فقد سهرت طويلا وأنت إنسان متعب ، وعليك أن تقـــوم إلى عملك نشيطا ، فتصلي قضاء ، لاحظ نفسك دائما فأنـــت بـــين نداء الشهوة ونداء العقل فإذا غلب عقلك نجوت وسعدت ، وإذا غلبت شهوتك أهلكت نفسك وشقيت .

لذلك هذا ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه " رُكِّب المَلَك مـــن عقـــل بـــلا شهوة ورُكِّب الحيوان من شهوة بلا عقل ، ورُكِّب الإنسان من كليهما فإن سمَا عقله على شهوته أصبح فـــوق الملائكـــة ، وإن سمَت شهوته على عقله أصبح دون الحيوانات " .

وما تراه عيناك في الدنيا من انحراف الناس وسقوطهم فـــي مهاوي الرذيلة وانغماسهم في الملذّات المحرّمة ، إنما هي معركة انتصرت فيها الشهوة :

*{ وأمَّـــا مَـــن خافَ مَقامَ ربِّه و نَهَى النَّفسَ عن الهوى * فإنَّ الجنَّة هي المأوى }*

(سورة النازعات)

فلماذا نعرف ونفهم أسماء الله الحسنى ؟ كي يكون أمر الله عز وجل عظيما مستمدا من عظمة الله ، لا حظ نفسك لو كـــنت فـــي ثكـــنة ، فجاءك أمر من عرّيف ، فالأمر له وقع عـــندك ، لو جاء من عرّيف أول لكان له لوقع آخر ، وكلما ارتفعـــت الرتبة كان وقع الأمر أشد ، فلو جاءك أمر من قائد الجيش لبادرت إلى التطبيق خوفِ العقاب والمسؤولية، فإذن المشـــكلة أن أمـــر الله بين الناس مبذول ، والقرآن موجود والعلمـــاء يشـــرحون كل أمر فلماذا يعصي الإنسان الله عز وجل ؟ لأنه لا يعرف حقيقة الآمِر ، فلو عرفه لطبّق الأمر ؛ فـــإذا عرفنا أسماء الله الحسنى وعرفنا عظمة الله عز وجل عندئذ يعظّم عندنا أمره وإذا عظّمنا أمره بادرنا إلى تطبيقه ، فلذلك قيل : " أرجحكم عقلا أشدكم لله حبا ".

عـــنْ مسْلم عنْ مسْروق أنه "قال كفى بالْمرْء علْما أنْ يخْشى اللّه وكفى بالْمرْء جهْلا أنْ يُعْجب بعلْمه *

وحينما نتلو قوله تعالى :

{ يا أيُّها النَاسُ اعبُدوا ربَّكم الذي خَلَقكُم والذين من قبلكم لعلَّكم تتقون }

(سورة البقرة)

إذن لمــاذا تعــبدونه ؟ لأنه الذي خلقكم ، وهو سبحانه خالــق ورب ومسير فيجب أن تؤمن أنه خالق ورب ومسيّر ويجــب أن تــؤمن أنه واحد في خلقه ، واحد في ربو بيته ، واحــد فــي تسييره ، فوحدانية الخلق و وحدانية الربوبية ، و وحدانــية التســيير ، هذه هي التي إذا أيقنت بها و عملت لتحقيقها و بمقتضى ما أمرك هذا الخالق نجوت و ارتقيت .

وبالمناسبة ، ففهم الاسم شيء وأن تعيشه شيء آخر ، أي إذا فهمــت أن الله هو الخالق بمعنى أنه خلق الأشياء من غيــر شــيء علــى غير مثال سابق ، فقد تنطلق في الحياة مؤمنا بأن كل ما يجري من فعله وبإرادته .

وأســماء الله الحســنى منها ما يكون على صيغ مبالغة اسم الفاعل فتعني الكثرة النوعية والعددية ، لكنك إذا انطلقت فــي الحياة العملية، ورأيت زيدا وعبيدا ، وحوادث وأفعالا ، ونســيت أن الله هــو الذي يخلق كل هذا ويفعله وتجري به إرادتــه ، فعــندئذ نقول لك أنت فهمت معنى الخالق ولكن لم تعِــش هــذا الاسم ولم تفكر به . وبعد فإن السعادة الكبرى الحقيقية ، ليست في فهم تعريفات هذه الأسماء ولكن في أن

تعيشـــها ، ولا يمكن لك ذلك إلا إذا اجتهدت وجاهدت نفسك وهواها ، وفي ممارسة العمل الصالح وبذل الغالي والرخيص والنفس والنفيس وعندئذ تُقبِل على الله عز وجل ، وإذا أقبلت علـيه فهـو يُلقـي في قلبك المعرفة والسكينة والطمأنينة ، وعندئذ ترى الله في كل شيء .

لا أريــد أن يبقـى الــدرس كما يقولون أكاديميا ، أي معلـومات وتعـريفات أملأ بها صفحات الكتاب ، بل أريد أن يعيش أحدنا هذه الأسماء ، وهذا ينقلنا إلى أنّ المعلّم يختلف عن المربِّي فالمعلم إنسان يُلقي على الناس حقائق ، وأدلّة ، ومعلـومات مـنظّمة ، ومبوَّبة ، ومرتبة، ومصنفة مع أدلة قطعـية ، ونقلـية ، وعقلية ، وواقعية ، و فِطرية ، والبحث مـنظم ومـبوّب ، و ومبرمج ، فهو والله موضوع لطيف ، ولكـن الذي يسعى إلىّ أن يصطبغ بصبغة هذا العلم ، والذي يسـعى ؛ ليكون في مستوى هذه الأسماء ؛ وأن تمتزج بها نفســه لا أن يفهــم تعريفاتها فقط ، هو المربِّي ، فأنت أيها القــارئ الكريم حاول إذا علّمت الناس أن تكون مربِّيا ؛ لأن كــل مــربّ هو في الأصل معلم ، لكن المعلم وحده لا يكفي لمــلء فــراغ النفوس والأفهام ، فالكلمة الأخيرة إذن ترتكز حــول اسم الخالق بين أن تفهم تعريفه النظري ، أو أن تفهم هذا الاسم ، وأن تعيشه مدى الحياة .

لقــد ضــربت على هذا مثلا ، مفاده ان الانسان اذا قرأ قوله تعالى :

{ ومَن يطِع اللهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيما }

(سورة الأحزاب)

و هذا أخ مستقيم على أمر الله ، و له صديق غارق في معصــية الله لكــن هذا الصديق ذو بحبوحة كبيرة ، ويغبطه صــديقه المستقيم على ماله ورخائه و صحته الجيدة ، بينما المســتقيم يعانــي من كذا وكذا ، و يذكره إخوة له صادقون معــه : أنت مستقيم و هو غير مستقيم و تقول هنيئا له !! . فــإذن هــذا و إن قرأ هذه الآية مرات و مرات ، و لم يعِش مفهوها ولا تأثّر بمعناها فما فهم منها شيئا .

إن الفــرق كبيــر جدا بين أن تفهم أسماء الله الحسنى بحــدودها وتعــريفاتها والفــرق بينها وبعض الأدلة وأقوال العلمــاء فــيها ، وبين أن تعيش هذه الأسماء ، فإذا تأمّلت الكــون وعرفت الله عز وجل وبذلت جهدا كبيرا في طاعته ، وفي التقرّب إليه فقد عاد عليك ذلك بالخير الكثير ، وهو أنّ الله يملأ قلبك غِنى ، ونفسك بصيرة ، وترى عندئذٍ ما لا يراه الآخــرون ، وتســمع ما لا يسمعون فهذا هو التمييز ، فإذا أردنا أن نقرِّر حقيقة وهي أن هذه الأسماء الحسنى ينبغي ألا نكتفــي بفهم مدلولاتها وحدودها ، وأبعادها وتعريفاتها وما

تعنـــيه فـــي المعاني العامة والخاصة ولكن ينبغي أن نعيشها ونمتزج بها .

ولابـــد من أن يكون هناك اتصال بالله عز وجل ، حتى تعـــيش ، أيها القارئ الكريم ، هذه الأسماء وحتى تشعر أنك مع الله دائما ، وإذا كان الله معك فمن عليك ، هذا الذي قاله الإمام الغزالي ، ومن ثمَّ فلتعلم أن هناك علما بأمر الله وعلما بخلق الله ، وآخر بالله .

العلـــم بأمـــر الله وبخلـــق الله يحتاج إلى مدارسة كتاب نقرؤه ونحفظه ونفهمه : أي نعيد ونكرر ونتذكر ونكتب ، ثم نؤدي امتحاناً ونأخذ شهادة فهذه المدارسة عن طريق الكتاب والقراءة والمراجعة والفهم والتلقي والإلقاء وما شاكل ذلك ، هذه المدارسَة تؤدي إلى حفظ المعلومات ، ولكن أين تحْفظ ؟ إنها تُحْفظ في الدماغ ! .

و لكن المجاهدة ، و غض البصر ، إنفاق المال ، و برّ الوالدين و الصدقة النافلة غير الزكاة ، و قيام الليل ، وإتقان الصلوات ، و كثرة الذكر و تلاوة القرآن فهذه اسمها مجاهدة للـــنفس و طاعة لله ، ثم إذا عزفت عن رحلة لا ترضي الله و عـــن حفلة لا ترضي الله ، وطعام شهي جدا ولكن حوله مجتمع اختلاط وقلت : مَعاذ الله ، فهذه هي المجاهدة للنفس لـــردِّها عن سبل الهوى ، أي أن تجاهد نفسك وهواك ، ومن شـــأنها أن تصـــلك بالله ، وإذا اتصلت بالله عزّ وجل جاءتك أنـــواره و ســـكينته ، وجاءتك السعادة ، والبصيرة النافذة ،

فالإنســان المؤمن شخصية فذة ، أي يتمتع برؤية صحيحة ، فيــرى حقائــق الأشــياء ، وبواطــنها ، و ما تنطوي عليه و أبعادهــا الحقيقية و خلفياتها الغائبة عن معظم الناس ، فهــذه البصــيرة خاصة بالمؤمنين ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلوبهم النور والدليل : يقول تعالى :

{ يــا أيُّهــا الذين آمنوا اتَّقوا اللهَ وآمِنوا برَسولِه يــؤتِكُم كِفْلين مِن رحمته ويجعل لكم نورا تَمشون به ويَغفِر لكُم واللهُ غفورٌ رحيم }

(سورة الحديد)

أجــل ، هــذه خاصّة بالمؤمن ، فإن الله يعطي السكينة أصــفياءه المؤمنين بقدر ، والمؤمن شخصية فذة ، و حينما يجاهــد نفســه وهواه يأتيه الجواب ، وتأتيه ثمرات جهاده ، وهــي نــور في قلبه ، وبصيرة نافذة ، فقلب واثق بالله عز وجــل ، وكلام سديد ، وتفكير صحيح ، وموقف متوازن فهو شخصــية واثقــة بالله لا تنهار سريعا لأنه حصل على هذه الثمار ، وأفاد مما فيها .

و لــذلك فمعــرفة الله عز وجل طريقها المجاهدة ، لكن معــرفة شــرعه أو معــرفة خلقه فطريقها المدارسة ، فبين المدارسة والمجاهدة بون شاسع ، والمدارسة لا تكلّف كثيرا فقــد تحتاج إلى مكتب وكتاب وقلم ، وقد تكون أنت في وادٍ والكــتاب فــي واد ، ولهذا فقد يأخذ الإنسان أعلى الشهادات

وهـو غارق في أحط الشهوات ، أما إذا جاهد نفسه وهواه فقـد اصطبغ بصبغة الله عز وجل ، أي شعر في نفسه سموا وعـن شـهواته تنائـيا وتصـعيدا ، وفـي ميوله شرفا ، وفـي تفكيـره دقة، وفي كلامه سدادا ، وفي مواقفه أخلاقا وشرفا .

إذن كـل ثمار الدين تأتي من معرفة الله ، ومعرفة الله ثمنها المجاهدة ، فالذي يتمنى أن يعيش هذه الأسماء ، لا أن يعـرف مدلولاتها وأحكامها وأبعادها ومعانيها الدقيقة بشكل نظـري فقـط فعلـيه أن يعيش هذه الأسماء بشكل عملي ، وأحـيانا المـؤمن يرى يد الله تعمل في الخفاء ، فكل شيء يشـاهده أو كل قصة يسمعها أو كل حادث يراه ، إنما يفهمه فهمـا مـن خـلال شعوره أن الله يرقبه ويصحبه ، وأن الله خالق كل شيء.

إذن : أردت فـي خضمّ الحديث عن أسماء الله الحسنى أن أقـف وقفة قصيرة حول الجدوى التي تعلّق عليها الآمال مـن معرفة أسماء الله الحسنى ، فالمعلومات النظرية قضية سهلة جدا ، فأي إنسان حتى من غير المسلمين ، بإمكانه أن يقـرأ و يحفـظ ، و يكـتب ، و يجـيب و يأخذ شهادة بهذا الموضـوع ، أمـا أن تجاهد نفسك وهواك كي تعقد مع الله صـلة ، فهـذه الصلة إذا انعقدت أتاك منها كل خير ، ولذلك يقول النبي :

عــنْ أنـــس أنّ رســول اللّه صلى اللّه عليْه وسلّم قال الْحســـد يأكل الْحسنات كما تأكل النّار الْحطب والصّدقة تطْفئ الْخطيئة كما يُطْفئ الْماء النّار والصّلاة نور الْمؤْمن والصّيام جُنَّة (أي وقاية) من النّار * (انفرد به ابن ماجة) " والصلاة طهور " .

" والصلاة حبور " .

أمـــا أنها طهور ، فمستحيل للمصلي أن يحقد أو يتكبر أو يكـــون ذا أثـــرة أو يكـــون مســـتعليا ، وأنا أقول دائما : للإعراض عن الله أعراض! ومنْ أعراض الإعراض التكبُّر ، والعلـــو والإســـتكبار والعنجهـــية والغطرسة وحب الذات ، والـــدناءة أحـــيانا ، وأن تأخذ ما ليس لك ، و أن تتمنى أن تكون فوق الناس جميعا ، هذه كلها أعراض الإعراض ، فإذا حصـــل اتصّـــال بالله عز وجل ، عُدْتَ إلى حجمك الحقيقي ، حجـــم العبودية ، وشعرت أن الله عز وجل عليك رقيب وأن الله معك ، وفي الحديث الشريف :

عــنْ أبـــي هريْرة قال كان النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم بارزا يوْما للنّاس فأتاه جبْريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أنْ تـــؤْمن باللّه وملائكته وكتبه وبِلِقائه ورسله وتؤْمن بالْبعْث ، قـــال ما الإسْلام قال الإسْلام أنْ تعْبد اللّه ولا تُشْرك به شيْئا وتُقيم الصّلاة وتؤدّي الزّكاة الْمفْروضة وتصوم رمضان . قال مـــا الإحْســـان ؟ قال أنْ تعْبدَ اللّه كأنّك تراه فإنْ لمْ تكُنْ تراه فإنّه يراك * (متفق عليه)

عـن ابْن مسْعود أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم كـان إذا نظـر في المرآة يقول : " اللّهمّ كما حَسَّنْتَ خَلْقي فحَسِّنْ خُلُقي * (انفرد به أحمد)

فإذن ليشكر الإنسان الله عز وجل على أن أعطاه قواما ورأسـا فـيه سـمع وبصر وفم ولسان وأنف ، وهذا الخلْق السـوي الكامـل مـن نعم الله عز وجل كذلك حتى إذا جاءه مولود ورآه كامل الخِلْقة فهذا من فضل الله عز وجل أيضا ، وهـذا هو معنى المصورِّ ، أي جعله صورة حسنة ، فلو أن الوجه الحسن ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ رجل لكان رجلا صالحا ولو أن الوجه السيئ رجل لكان رجلا سيئا .

إذن : لازلـنا فـي الحـديث عن أن معرفة أسماء الله الحسـنى من حيث إنها معلومات فهذا وجه ، ومن حيث أن تسـعى ؛ لأن تعقـد صلة مع الله عز وجل: وجه آخر ؛ لأنك عندئذٍ تعيش هذه الأسماء ، وحينما تعيشها تشعر بعَظَمة هذا الـدين ، والإنسان وقته ثمين جدا ، والعمر لا يحتمل تجارب كثيرة خاطئة ، قال عليه الصلاة والسلام لرجل كيف أصبحت يـا زيد قال أصبحت أحبُّ اللهَ ورسوله ... والحديث طويل : وكأنـي أرى أهل الجنة يتنعمون ، وبأهل النار يتصايحون ، وأصـبحت كأني عرش ربي بارزا .. قال: عبدٌ نوّر اللهُ قلبه بالإيمان عرفْتَ فالزَم .

فالإنسان معني ، أن يرى بعينيه أن هذا الكون من خلق الله وأن الله سـبحانه وتعالـى ربه، وأنّ الله سبحانه وتعالى

مســيَّره ، وأنّ كل شيء وقع أراده الله ، وأن الله عز وجل أراده لحكمــة بالغة ، ولو لم يكن هذا الشيء لكان نقصا في الحكمــة وكــان الله ســبحانه وتعالــى ملوما من عباده يوم القيامة ، قال تعالى :

{ و لــو لا أن تصــيبَهم مصيبةٌ بما قدَّمت أيديهم فــيقولوا ربَّـــنا لـــولا أرسلتَ إلينا رسولا فنتَّبع آياتِك و نكونَ من المؤمنين }

(سورة القصص)

فأســماء الله الثلاثة الخالق والبارئ والمصور ، أسماء مــتلازمة مــتآلفة في غايتها تجمع بينـها علاقة واحدة هي العلاقــة الوشيجة لعملية الخلق : خلقا وبَرءا وتصويرا . و اســم الله المصــوِّر يعني ؛ أن الله عز وجل أعطى كل شيء صــورته ، لــيس معنى الصورة الشكل الخارجي بل القوام الكامل :

{ اللهُ الــذي جعلَ لكُمُ الأرضَ قراراً والسماءَ بناءَ وصــوَّركم فأحسنَ صُوَرَكم ورزقكُم من الطيبات ذلكُم اللهُ ربُّكم فتباركَ اللهُ ربُّ العالمين }

(سورة غافر)

{ لقد خلقنا الإنسانَ في أحسن تقويم }

(سورة التين)

فمعنـــى التصـــوير يعنـــي أعطاك الشكل الكامل طولا وعرضـــا وارتفاعـــا وعمقـــا ، فالنملة لها صورة ، والفيل والحـــوت والإنسان ، وكل مخلوق له صورة ، والله سبحانه وتعالى هو المصور، يقول الله عز وجل :

{هو الذي يصوِّرُكم في الأرحامِ كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم}

(سورة آل عمران)

وهذا من معاني اسم المصور ؛ وأيضا فهذا الجنين في بطـــن أمـــه حينما تُشقُّ عيناه ويُشقُّ سمعه ، و يُعطى رأسه حجما ، و جسمه حجما وله جلد و أعضاء و حركات ، فهذا مـــن التصوير ، و ليس هناك فصل بين الخلق و التصوير إلا فصل نظري ، فالخلق و التصوير يتمّان في وقت واحد .

و الحمد لله رب العالمين

*****



البديع

ايهـــا الإخوة المؤمنون الاسم اليوم . هو اسم الله تعالى لبديع وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى :

بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴿١١٧﴾

(سورة البقرة)

و الـــبديع علـــى وزن فعـــيل بمعنـــى مُفعِل ؛ أي مبدع السـموات و الأرض . و الإبــداع : هو أن تصنع شيئا على غيـر مــثل سابق ، و من دون أن يعلّمك أحد أي أن تصنع شيئا جديــد كـــل الجِدَّة . و إذا أردنا أن نبحث فيما يصنعه الانسان ، من حيث يريد أو لا يريد ، يشعر أو لا يشعر ؛ إنه يقلد فإذا قال صنعت غواصة ؛ فلا شك أنها تقليد غير ناجح للسـمكة . وإذا صـــنع طائرة ؛ فلا شك أنه تقليد غير ناجح للطائر

و قـــد وقـــع تحـــت يدي كتاب موسوعي عن الطيور ، فـــوجدت المؤلـــف في مقدمة الكتاب يقول : إن أرقى طائرة صُـــنعت حتـــى اليوم ؛ لا ترقى إلى مستوى الطائر، فالطائرة تقلـــيد للطائر . والغواصة تقليد للسمكة . و أي شيء صنعه

الإنســان لو دققت فيه لرأيته قد قلد به شيئا مما في الطبيعة مــن إبداع ، لكن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الكونَ على غير مثال سابق ؛ فمن قال إن الأرض ينبغي أن تكون كُرة ؟ ومن قال إن الأرض ينبغي أن تدور حول نفسها ، و أن تدور حــول الشمس ؟ ومن خلق الضوء ؟ من جعل الشمس منبعا حــراريا وضوئيا ؟ من أعطى الماء صفاته وخصائصه ؟ من أعطــى الهــواء صفاته وخصائصه ؟ من أعطى كل عنصر خصائصه ؟ لو أن العناصر كلها تذوب في درجة واحدة ؛ أي تنصهر في درجة واحدة ، لرأيت الكون كله غازا ، أو صلبا ، أو مائعــا ؛ فلو أن هذا الكون ، وما فيه من مجرّات ، ومن كــازارات ، ومن مذنبات ، ومن كواكب ، ومن نجوم ، بعدده ومســافاته البينية وحركته المتوازنة ، هذا الكون بدقائقه ، الأرض بمــا علــيها ، يعنــي مثلا... مثل ما بين أيديكم من أوراق الأشجار؛ هل تعتقد أنه في الإمكان أن ترسم لنا ورقة لــيس لهــا أصل في الكون ؟ أوراق كبيرة و صغيرة مسننة و ملســاء و خشــنة ، انسيابية و مخططة ، ذات لون داكن و لــون فاقــع وألــوان متداخلة ، لو أردت أن ترسم أنواع الأوراق التي خلقها الله عز و جل ، بل إن أوراق أية شجرة واحدة هل تتشابه ؟ والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سُمِّيتَ الواسع .

و مثلا وجوه البشر ؟! أنا أضرب أمثلة كثيرة ، هل في الأرض كلهــا والتــي يعيش خمسة الآلف مليون إنسان على

وجههـا ، هـل فـي الأرض كلها وجه إنسان مشابه لوجه إنسان ؟ مستحيل ، والشيء الثابت الآن أن لكل إنسان رائحة خاصـة ؛ وهذه الرائحة هي أساس معرفة الكلاب البوليسية للمجـرم ، الإنسـان لـه رائحـة واحدة ولا يتفق اثنان في رائحة .

الجلد له رائحة عطرية ؛ هذه الرائحة لكل إنسان رائحة خاصة به . ولكل إنسان إيقاع صوتي خاص به . كم موجة ؟ ولكـل إنسان قزحية خاصة به . و لكل إنسان بصمة خاصة بـه . ولكـل إنسان تركيب دم خاص به " البلازما " ؛ بل إن أحـدث الـبحوث أن هناك ما يسمى بالزُمَر النسيجية ؛ يعنى نسـيج الإنسان كيف أن الدم زمر ولكن زمر الدم محدودة ؛ بيـنما الزمر النسيجية غير محدودة ، حتى الآن وصلوا إلى اثنـين ونصف مليار زمرة يعني لا يشبهك في الكون كله إلا إنسان واحد ، وقد يكتشفون بعد حين أن كل إنسان له زمرة نسـيجية واحـدة . هذا الذي يدعو علماء الطب إلى تفسير ظاهـرة أن هـذا الجسـم رفض هذا العضو لاختلاف الزمر النسيجية ، أليس هذا إبداعا ؟ .

إن إبـداع الله سـبحانه يعني إبداعا لا حدود له ، أما الإنسـان فلو أراد أن يرسم وجها ، لو كلفنا رساما أن يرسم وجهـا يرسم وجه اثنين .. ثلاثة ... بعد حين ينضب الإبداع مـن ذهنه - مهندسو السيارات يصممون أشكال السيارات ، مـرة خطـوط منحنـيه ، مرة خطوط متعامدة ، مرة خطوط

انسيابية ، وبعد حين يعودون إلى الشكل السابق لأن إبداعهم ينضــب . أمــا الله ســبحانه وتعالى فهو بديع السموات و الأرض .

أضــرب لكــم بعض الأمثلة : مثل وجه الإنسان ، لون قــزحية عيــنه ، رائحة جلده ، تركيب دمه ، نبرة صوته ، بصــمة إبهامــه ، هذه كلها هويات شخصية . فيما قبل كنا نعــتقد أن البصمة وحدها هوية الإنسان ، الآن أشياء كثيرة فــي الإنسان يتميز بها فالله سبحانه و تعالى بديع السموات و الأرض .

شــيء آخــر ؛ يعني لو أنك اطّلعت على أنواع الأسماك التــي فــي الــبحار؛ لــو تصــفحت كتابا مصورا فيه أنواع الأسماك ، لأخذك العجب العجاب . حتى الآن الإحصاء مليون نوع من السمك ، وأي شكل يخطر في بالك موجود ، سمكة علــى شــكل كرة موجود ، على شكل سيف موجود ، شفافة موجــود ، فسفورية موجود ، لها أهداب موجود ، لها أرجل موجــود، سمكة على شكل زهرية موجود ، سمكة تدافع عن نفسها بأن تفرز مادة كالحبر تخفي وجودها موجود ، سمكة تحــارب أعداءها بالكهرباء بآلاف الفولطات موجود ، حيتان كبيرة موجودة ، وأسماك صغيرة للزينة موجودة ، لو أردت أن تقــف عــند أنــواع الأسماك شيء لا ينتهي ، لا يُعد ولا يُحصــى . لــو أردت أن تقف عند أنواع الطيور ؛ أشكالها ، وأصــنافها ، وأنــواعها ، وســلالاتها شيء يأخُذ بالألباب .

أنــواع الألوان ، أنواع لورود ، أطلعني أحد الأصدقاء على كــتاب مؤلف من ثمانية ـــر ـجلدا كل مجلد سماكته لا تقل عن ثمانية سنتمتر وكل و ـقـ ـوع من أنواع الأبصال كل هذا المجلــد لأنــواع الأبصال فقط بعضهم يقول : هناك ثلاثة آلاف نوع من أنواع القمح '' وفي مركز للبحوث الزراعية أطلعنـــي مهندس أن في هذ لمركز ثلاثمئة نوع من العنب . وما من فاكهة وما من خُضـ ة وما من محصول ما من شجر مثمر إلا وهو مئات الأنواع بل آلاف الأنواع ، كل هذا يجسِّد اسم الله البديع ، الأنواع التى لا تحصى ؛ مرة كنت بمعرض للحشــرات بالقاهــرة وهــو ـاء ضخم مؤلف من مجموعة قاعــات ، فــي كــل غــرفة وعلـــى الأربعة الجدران عليها حشــرات : لــيس هــناك حشرة مثل أختها ، أو فراشة مثل أخــتها.. شـــيء لا يصـــدقـ عقل . هذا معنى قول الله عز وجل : " بديعُ السماوات والارض " .

أوراق الأشــجار ، أنــواع الأشجار ، أنواع الأخشاب ، أنــواع النـباتات ، أنواع الروائح ، أنواع الأسماك ، أنواع الأطــيار ، أنواع الفواكه . ذرات الثلج ؛ لو أخذنا ذرة الثلج وكبَّــرناها تحــت مجهر ، لرأينا شكلا لا يصدَّق ، في منتهى الــروعة ، ومـــا من ذرّة تشبه أختها ؛ لو أخذت عينات من آلاف الأمـــاكن التي هطل عليها الثلج ، كل ذرة ثلج لـها شكل خاص . أليس هذا هو بديع السموات و الأرض ؟

و من المعاني الأولى لاسم الله تعالى البديع : أنه بديع في ذاته ومعنى بديع في ذاته ؛ أي لا يشبهُه شيء ، أو ليس كمِثله شيء . بديع في ذاته ليس كمثله شيء . و بديع في خلقه ، فهو خلق الخلق على غير شكل ، و على غير مثال سابق ، و من دوّن أن يعلمه أحد . و بديع في أفعاله حينما يتصرف الله عز و جل ، الإنسان أحيانا يأخذ احتياطات جمة لكن يفاجأ بتصرف لم يكن في الحسبان فلذلك اسم البديع اسم من أسماء الله ، اسم لذاته و اسم لصفاته ، واسم لأفعاله .

التعاريف الدقيقة لهذا الاسم : من فعل فِعلا لم يسبق إليه قيل : أبدع وسميت البدعة بدعة ، و قد نقف وقفة متأنية عند البدعة .

البدعة لها معنيان : معنى لغوي ، و معنى شرعي ؛ فالمعنى اللغوي كل شيء جديد اسمه بدعة ، و المعنى الشرعي ؛ من أحدث في الدين ما ليس فيه فهو مبتدع . البدعة في اللغة تدرس من ابتدع شيئا ييسر على المصلين صلاتهم ، شيء جيد ، نقل الصوت هذه بدعة لكنها تقدم خدمات كبيرة لرواد المساجد . مثلا تدفئة المكان تدفئة مركزية لم تكن من قبل هذه بدعة . تكييف المكان لم يكن من قبل هذه بدعة . فهناك بدعة حسنة ؛ حينما تقدم شيئا مريحا جيدا ، يحل بعض مشكلات المجتمع ، من دون أن يخالف نصا شرعيا فهذه بدعة حسنة . وأما البدعة السيئة التي

خالفت امرا محرما . فالبدعة اللغوية قد تكون صالحة ، وقد تكــون طالحة ، وقد تكون حيادية ، و قد تكون موقوفة . ما معنـــى صالحة ؟ ما معنى طالحة ؟ ما معنى حيادية ؟ و ما معنى موقوفة ؟ البدعة الموقوفة جهاز قد يستخدم استخداما جيدا ، و قد يستخدم استخداما سيئا ؛ فمثلا لو أنك اقتنيت آلة تصـــوير ، و صـــورت بهـــا بعض المناظر الطبيعية ، بعض أنواع الاشجار كنت جغرافيا ، بعض أنواع الخلجان ، و أنواع الجـــزر و ألفـــت كتابا و وضعته بين أيدي الطلاب ؛ فهذه الآلـــة استخدمتها في نقل مظاهر الطبيعة إلى كتب مدرسية ، فهـــذه الآلة استخدمتها استخداما مشروعا ؛ فهي بدعة لكن استخدامها الجيد جعلها مقبولة . لو أنك صورت بها مناظر لا تُرضـــي بها الله عز و جل و طبعتها و روجتها ؛ فهذا شيء محرم

فإذن هذه الآلة صالحة أو طالحة هذا موقوف على نوع اســـتعمالها . و هـــناك بدعة حيادية ؛ لو اخترعت صنفا من الطعـــام ، لـــو أضفت بعض التوابل إلى بعض المطعومات ، وجعلت منه طبقا لم يُصنع من قبل هذا لا حرام ، ولا حلال ؛ مباح ، بدعة مباحة . البدعة المحرمة هي إذا اصطدمت مع نـــص شـــرعي . هذا كله متعلق في البدعة اللغوية ؛ يعني شـــيء جديد لم يكن من قبل . أقرب مثل أضربه دائما ؛ أن يجلس العريس يوم عرسه على كرسي إلى جانب زوجته أمام المدعوات . الكاسيات ، العاريات ، المائلات ، المميلات وهو

مسلم ؛ مسلم يجلس أمام جمع غفير من النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات بحكم التقليد و العادة ، الضرورة هذه بدعة محرمة لأنها اصطدمت مع تحريم اطلاق البصر ومع تحريم إبداء الزينة لا شك فيها ،أما انسان وفر لرواد المسجد ما يريحهم ؛ لم يكن على عهد النبي ماء ساخن في الشتاء ، و ماء بارد في الصيف . و لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم جامع مكيَّف ، ولا جامع مدفا تدفئة مركزية ، ولم يكن هذا الأثاث المريح .

هذه بدعة ؛ لكنها صالحة تقدم خدمات لرواد لمساجد فرضا لو أنه اخترع جهازا يحل بعض المشكلات في بيتك لا علاقة له بالحرام والحلال هذه بدعة لكنها بدعة حسنة و أن يقف الزوج أمام المدعوات الكاسيات العاريات هذه بدعة سيئة ، وقد تستخدم هذه الآلة لنقل الحق وقد تستخدم لنقل الباطل قد تسمع بها الغناء وقد تسمع بها القر[illegible] اذن بدعة موقوفة على نوع استعمالها ، أما لو صنعت طبقا من الطعام لم تسبق إليه هذه بدعة مباحة هناك بدعة حيادية لا علاقة لها بالحلال والحرام

عندنا بدعة موقوفة وعندنا بدعة محرَّمة وبدعة حسنة هذه البدعة اللغوية ؛ لكن دققوا في لكن [illegible] ان البدعة في الدين حرام مائة في المائة لماذا ؟ لأن [illegible] عز وجل حينما قال :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾

(سورة المائدة)

الدين تام وكامل ؛ والتمام من حيث العدد ، والكمال من حيث النوع . يعني عدد القضايا التي عالجها الدين تام ، ولا يقبل الدين موضوعا جديدا ، وطريقة المعالجة التي عالجها الدين طريقة كاملة ، ولا يقبل الدين تعديلا طفيفا لطريقة المعالجة

فإذا ابتدعنا في الدين شيئا ؛سواء في العقيدة ، أو في العبادة ، أو في المعاملة ، أو في الأخلاق ، أو في السلوك ؛ فهذا بدعة محرمة لقول النبي عليه الصلاة والسلام :

عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول : " من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَن يضلله فلا هادي له إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدَثاتها وكل محدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم يقول بعثت أنا والساعة كهاتين وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه

نذيـــر جيش يقول صبحكم مساكم ثم قال من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي أو علي وأنا أولى بالمؤمنين

رواه الترمذي و أحمد

كـــل مُحدَثَـــة بدعـــة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، إذن لدينا شيء مهم جدا و هو أن الأديان قد تُزوَّر ، و المـــبادئ قد تزور ، و المذاهب قد تزوَّر مالذي يضمن لي أننـــي وجهاً لوجه أمام دِين جاءني كما نزل ؟ ما لذي يضمن لـــي أن أتعامـــل مع دين هو الآن كما جاء في أول عهده ؟ أشياء ثلاثة : ألاَّ يُضاف إليه شيء ؛ وألاَّ يُحذف منه شيء ؛ وألا يؤوَّل تأويلا غير الذي أراده المشرِّع . إذا ألغيت التأويل الفاســـد ، وألغيت إضافة البدع ، وألغيت حذف الأصول ، فقد ضمنت أن يستمر الدين كما بدأ ..

و المسلم تَسَعهُ السنَّة ولا تستهويه البدعة .، و البدعة كمـــا قال العلماء : " ما ليس لها أصل في كتاب الله ، ولا في سُـــنَّة رسوله و لا في إجماع الأمة " ، إذا كانت هناك دعوة إلـــى الله أساسها أن تأتي بسيخ وأن تطعن به جسمك ليخرج من الطرف الآخر ؛ فإذا فعلت هذا صدَّق الناس دعوتك ؟ هل فعل هذا النبي ؟ هل ورد هذا في القرآن الكريم ؟ هل ورد هذا فـــي سنة النبي ؟ هل ورد هذا في سير الصحابة ؟ هل ورد هـــذا في إجماع الأئمة ؟ لا... إذن هي بدعة ، هذه الطريقة فـــي الدعوة إلى الله بدعة يجب أن تُجتنب . فالبدعة ما ليس

لهـــا أصـــل فـــي كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ، ولا في إجماع المؤمنين ، يقول الله عز وجل :

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

(سورة النور)

" إذا خالفـــت أمره ، وقعت في فتنة الإبتداع . وسيدنا الصديق رضي الله عنه يقول " إنما أنا متَّبِع ولست بمبتدِع " وبعضـــهم قـــال نصائح ثلاث : لو أردت أن تكتبها على ظفر لوسعت : اتبع لا تبتدع ، اتضع لا ترتفع ، الورع لا يتسع . البذخ و الترف و إنفاق المال من دون جدوى ؛ هذا من صفة الكفـــار ، لكـــن المؤمنـــين يقتصدون في كسب مالهم ، وفي إنفاق مالهم ، ويقول الله عز وجل :

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟

(الآية ٥٤ من سورة النور)

والله عز وجل يقول في آية ثالثة :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

الآية ٢١ من سورة الأحزاب

. الأسوة الحسنة : أي اتباع السنة ؛ اقتدِ به في كل أطوار حـــياتك ، أي طـــبِّق ســـنته ، من أمَّر السنة على نفسه قولا وفعـــلا ، ونطـــق بالحكمة ، فقد اتبع السنة ، وقد جعل النبي علـــيه الصلاة والسلام أسوة له ومن أمَّر الهوى على نفسه نطـــق بالـــبدعة . لـــذلك أصـــحاب البدع يقال لهم أصحاب الأهواء . إما أن تحكِّم سنة النبي في حياتك ، وإما أن تحكِّم الهـــوى ؛ إذا حكَّمت الهوى ، أصبحت مبتدعا ، وخرجت عن طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام . وإذا حكَّمت السنة في أفعالـــك وأقوالك وسيرتك . فقد كنت مقتديا بهدي النبي صلى الله علـــيه و سلم . لا تنسوا أن النبي عليه الصلاة و السلام يقول فيما رواه أنَس بن مالك : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا بُني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا ســـنتي فقـــد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة " رواه الترمذي

بعـــض العارفـــين يقـــول : " أصـــول مذهبـــنا ثلاثـــة أشـــياء ؛ الاقـــتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق و الأفعـــال ، والأكـــل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال " !! و حينما قال الله عز و جل :

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾

(سورة آل عمران)

الحكمة : هي السنة . يعلمه الكتاب والحكمة فالكتاب الأمر الإلهي، أما السنة ، فهي : كيف طبّق النبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر الإلهي . وقال بعضهم في قوله تعالى :

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ

(الآية ١٠ من سورة فاطر)

ما هو العمل الصالح ؟ قال بعضهم : الاقتداء برسول الله ؛ العمل الصالح هو أن تقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعضهم قال : عمل قليل في سُنَّة خير من اجتهاد كثير في بدعة .

أيها الإخوة الأكارم : إذا كان الله سبحانه و تعالى بديع السموات و الأرض ، هو الذي خلق السموات و الأرض على غير صورة سابقة ، ومن دون أن يعلمه أحد ، ابتدع ذوات الأشياء ، و ابتدع صفات الأشياء ، و ابتدع خصائص الأشياء ، و ابتدع أحجامها ، و أشكالها ، و ألوانها ، وحركتها ، وسكونها ، وابتدع الإنسان ، وما حوله من حيوان ، وما حوله من نبات ، وأشكال لا تُعد ولا تحصى ؛ من خلال تأملك لآيات الله في الكون ، تستنبط أن الله بديع السموات و الأرض . و يجب أن تعلم أيضا أن الله سبحانه و تعالى واحد في ذاته ، معنى البديع : يعني الذي لا مثيل

له ، والذي لا مشابه له ، والذي ليس كمثله شيء ، ليس له مثل لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في خلقه .

الآن حظ العبد من هذا الاسم ؛ ألا يكون مبتدعا . لكن هناك نقطة دقيقة جدا أتمنى أن نقف عندها قليلا ، الإنسان مكرَّم عند الله عز وجل ومن علامات تكريمه عند الله عز وجل ؛ أنه سمح له أن يكون فردا لا مشابه له ، وأنه سمح له أن يكون مشرِّعا عن طريق ماذا ؟ عن طريق الآيات ذات الطابع الاحتمالي أو الآيات الظنية الدلالة ؛ فالعلماء يجتهدون في فهم هذه الآية ذات الدلالة الظنية ، إذن كأن الإنسان سمح له أن يشرع ، أن يجتهد . أن يكون الإنسان مجتهدا هذا من تكريم الله عز وجل . وهو فرد لا مثيل له هذا من تكريم الله عز وجل ، وأن يعطى الإنسان حرية الإرادة هذا تكريم من الله عز وجل ، ومن أنواع تكريم الله عز وجل أن طبيعة خلق الله عز وجل تمكِّن الإنسان من أن يبدع في الخلق فالآن يقال لك هذا النبات هجين ؛ مامعنى هجين ؟ يعني هناك معامل مستواها رفيع جدا يأخذون هذا النبات بخصائص معينة ويزاوجونه بنبات بخصائص معينة ، يُنتج نباتا بخصائص تجمع خصائص النباتين ثم يزاوجونه بنبات آخر إلى أن يصلوا إلى أصناف نادرة جدا .

طريقة الخلق ، أو تصميم الخلق يتيح للإنسان أن يبتدع ، لقد سمعت أن هناك بقرا شاميا أصيلا ، البقرة

الشـــامية معـــروفة ، وهناك بقر هولندي ، من تهجين هذين النوعـــين جاء صنف يقدم في اليوم ما يزيد عن ستين كيلو مـــن الحليب ! أليس هذا إبداعا ؟ فالله عز وجل فيما يخص موضـــوع الحـــيوانات ، موضـــوع النـــباتات ، هناك أشجار مقزَّمة ، شجر أرز كبير مقزم في أصيص صغير، الآن هناك أشـــجار مثمـــرة مقـــزمة ، الآن دخلت في موضوع ؛ يتصل بموضوعنا من باب واحد ، أن من تكريم الله لهذا الإنسان أن مكَّنه من أن يبدع في الخلق ، أما أن يبتدع في الدين ؛ فهذا محـــرَّم لأن الدين كامل . الدين توقيفي ، الدين جاء به النبي وانتهى الأمر.

فنحن مسموح لنا أن نبدِع في الخَلق ، وليس مسموحا لنا أن نبدع في الدين ؛ لأن البدعة في الدين هي ضلالة ؛ كل بدعـــة ضلالة وكلّ ضلالة في النار، كل محدثة بدعة ، وكل بدعـــة ضـــلالة ، وكـــل ضلالة في النار. يقول عليه الصلاة و السلام :

عـــن أبـــي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة شبرا خلع ربقة الإسلام من عنقه رواه أحمد

هل يوجد ابتداع هنا ؟ من خالف الجماعة شبرا ، هناك آيـــة أخرى هي أصل في إجماع المسلمين، تعرفونها ؟ الآية الثانية هي قوله تعالى

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

(سورة النساء)

فمـــن خالف الجماعة شبرا ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه . وقال ابن عباس: " ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا فيه سنة

يعنـــي كلما جاءنا عام أحدثت بدعة و أميتت سنة ، إلى أن تصل إلى وقت والعياذ بالله كله بدع و حقيقة الدين خافية علـــى معظـــم الـــناس . أحيانا تجد الرقص بثياب فضفاضة والطـــرابيش على الرؤوس هل هذا من الدين ؟! يحدث موت فنأتـــي بالميلاوية ! هذا رقص ، أحيانا نجد مجالس الذكر ما أنزل الله بها من سلطان ابتداع في ابتداع ، أهكذا فعل النبي علـــيه الصـــلاة والســـلام ؟ أحيانا يصبح الدين عند بعضهم أنغامـــا ، وعند بعضهم رقصا ، وعند بعضهم سلوكا غريبا ، وعـــند بعضهم تمتمات ، وعند بعضهم خزعبلات ، أهذا هو الدين ؟!

أيهـــا الإخوة الأكارم : البطولة أن تتعرف إلى الدين من ينابيعه الأصيلة وهي القرآن و السنة ؛ فأي شيء جاءنا عن غيـــر هـــذا الطريق ، فهو بدعة ، ولاشك إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم .

ورد في بعض الأحاديث : " من مشى إلى صاحب بدعة ليوقّره فقد أعان على هدم الإسلام " ، وقيل أيضا :

عن أيوب قال قال أبو قلابة لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلـوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يُلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون

لا تجـالس أهـل الأهواء المبتدعين الذين أحدثوا في الدين ما ليس فيه لأن سيدنا الصديق رضي الله عنه كما قال عليه الصلاة والسلام :

" لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجَح بهم " رواه البيهقي في الشعب

وقال :

عـن جابر بن عبد الله قال عمر لأبي بكر يا خيرَ الناس بعد رسول الله فقال أبو بكر أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي

مـا طلعـت شـمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر " و مع ذلك ماذا قال سيدنا الصديق ؟ قال : " إنني متبع ولست بمبتدع - في خطبته الأولى - لقد وُلِّيت عليكم ولستُ بخَيـركم إن أحسـنت فأعينوني وإن أسأت فقوِّموني إنما أنا متَّبع ولست بمبتدع " .

إذن ينبغـــي أن نتــبع النبـــي علـــيه الصلاة والسلام ، ولنراقب سلوكنا ، أية بدعة تأتينا يجب أن نسأل عن أصلها ؛ فـــإن لم يكن لها أصل فهي بدعة مردودة لا نقبلها . وقد قال بعـــض العلمـــاء : " من داهن مبتدعا سلبه الله تعالى حلاوة الســـنن " ؛ أي شـــخص مبـــتدع بعقيدته ، مبتدع بسلوكه ، مبـــتدع بعـــبادته ، حـــذف أشياء ، و أضاف أشياء ، و بالغ بأشـــياء ، و أخفـــى الأشياء ، و صار مبتدعا ، قال : " من داهـــن مبـــتدعا سلبه الله تعالى حلاوة الإيمان " ، بل إنه من ضحك إلى مبتدع ، نزع الله تعالى منه نور الإيمان من قلبه . مـــن ضـــحك لـــه ، من جالسه ، من داهنه ، من صاحبه ، وقـــال : من استهان بأدب من آداب الإسلام ، عوقب بحرمان السنَّة .

إذن نحـــن فـــي كل أسماء الله الحسنى ؛ حظنا منها أن نتخلق بأخلاق الله ، إلا في هذا الاسم حظنا منه ألا نبتدع في دينه شيئا ، سمح لنا أن نبتدع في الزراعة ، في النبات ، في الحيوان ، في خلط الألوان ، أحيانا في صهر المعادن ، معدن خلـــيط نحـــن بحاجة لمعدن خفيف جدا متين جدا ، ممكن أن نصنع هذا المعدن من خلط بعض المعادن ، معدن خليط ، أي خلائط هذه كلها ابتداع . ابداع اختراع يعني أن الله عز وجل أعطى الأشياء خصائص ، وسمح بالتزاوج ، وسمح بالتفاعل والانـــدماج ، إذن الإبداع من فضل الله علينا ؛ مثلا تقولون هذا البطيخ الأناناس ، هذا بطيخ مطعَّم على نوع لم يكن من

قبل . لقد صار هناك تهجين ، عملية التهجين في النبات ، والحيوان ما هي في الحقيقة إلا نوع من الابتداع . لكن الله عز وجل لوجود خصائص لكل نبات ولتصميم النبات بحيث يتزاوج سمح بالابتداع . أما في التشريع ، وفي الدين الابتداع كله حرام ، قال : " من استهان بالفرائض قيَّض الله له مبتدعا يذكر عنده باطلا فيوقع في قلبه شبهة " .

وختام المطاف :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾

(سورة آل عمران)

أنت معك حق في تعاملك مع الأشخاص فالإتباع صعب تقول بأبسط سؤال لعله غلطان ، لعله مخطئ ، أنا لا أتورط معه ؛ هذا شيء جميل . لكنك إذا ثبت لك نص عن الله عز وجل ، فالله عز وجل كتابه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . إذا ثبتت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم سنَّة صحيحة ؛ النبي معصوم . يعني أنت لك جهتان يمكن أن تطمئن إليهما ؛ كتاب الله ، وسنة رسوله . وما سوى ذلك موقوف على موافقته لكتاب الله و سنة رسوله .

كنت أضرب أمثلة دقيقة أنك أمام ثلاثة نصوص في حياتك ؛ لو تعيش مليون سنة . أمام ثلاثة نصوص ، نص لله

عز وجل كتابه ، ونص لرسوله ، ونص لغير رسول الله ؛ أي إنسان كان ، إذن هناك نص لله خالق الكون وهو القرآن .؛ ونص لرسوله المعتمد وهو النبي عليه الصلاة والسلام .؛ ونص لأي مخلوق بعد النبي . عالم كبير ، متقف ، غير متقف ، شيخ ، علم من أعلام الأمة ، أي إنسان ليس النبي ؛ فهو صنف ثالث . أنت مع القرآن ليس لك إلا أن تفهمه لأنه قطعي الثبوت ، ومع السنَّة ليس لك إلا أن تتحقق من صحتها ، لأن الحديث ظني الثبوت ، وليس لك إلا أن تفهمه ، ولكنك مع سوى هذه النصوص ، مع سوى هذين النصين ، وليكن من كان قائل هذا النص ؛ عليك أن تتحقق من صحته ، وأن تحاول فهمه كما أراد صاحبه ، وأن تقيِّمه بالكتاب والسنة ، هذا هو الدين هذا هو المقياس . فلذلك هذا الدرس قادنا إلى موضوع البدع فنحن يجب أن نتوقع أية بدعة دخلت على الدين في غفلة الزمان . أنت بحاجة إلى مقياس ، وبحاجة إلى مراجعة لكل معلوماتك ، ولكل خبراتك ، وقياسه بالكتاب والسنة . أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون وفيت بعض الشيء بهذا الاسم .

الاسم الذي كان الحديث عنه اليوم اسم البديع ، فالله سبحانه وتعالى أبدع السماوات و الأرض ، جملة وتفصيلا ، خصائص مادية خصائص معنوية ، على غير مثال سابق ، ومن دون تعليم من أحد ابتدع الكون كله ، وهو بديع ، أي

فرد في ذاته ، وفرد في صفاته ، وفرد في أفعاله ، وفرد في تشريعه :

و أما البدعة في الدين فهي أن تحدث في عقيدته ، وفي عباداته ، وفي معاملاته ، وفي سنن النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ما ليس فيها ؛ فهي محرمة قولا واحدا .

و الحمد لله رب العالمين

*****


التواب

التوّاب

(درس لفضيلة الشيخ الدكتور" محمد راتب النابلسي " .

متاح على موقعه www.nabulsi.com)

أيها الإخوة المؤمنون : مع اسم اليوم : التواب ، و قبل أن نتحدث عن معنى الاسم اللغوي ، و عن صيغته ، و عن تصـــريفاته ، و عـــن معانيه المتعددة . و عن بعض الآيات التــــي جاءت به ... لا بد من عدة مقدمات تلقي ضوءاً على حقيقة هذا الاسم .

يمكـــن أن تفــتح مــرحلة دراسية ثانوية ، وأن يسجل الطـــلاب فيها ، وأن يوضع لهذه الثانوية نظام داخلي دقيق جـــدا ، وأن تستقبل الطلاب ، وأن تلقى المحاضرات ، وأن تجرى المذاكرات ، وأن تأتي مواعيد الامتحانات ، وأن ينجح مـــن يستحق النجاح ، ويرسب من يستحق الرسوب ، وأنت فـــي أعلى درجات العدل ؛ أما إذا طلبت علامات الطلاب بعد شــــهر من بدء العام . وتابعت المقصِّر ، وجئت به ونصحته فلم يستجيب؛ فهددته ، واحضرت وليه . وضغطت عليه إلى أن غيـــر خطته ، وضاعف جهوده فإذن هو من الناجحين ؛ فلو أهملت هذا الطالب وعاملته وفق النظام الداخلي فأنت في أعلى درجات العدل . لكنك إذا تتبعت أحواله قبل فوات الأوان ووجهته ونصحته وضغطت عليه حتى غير أسلوبه وضاعف

جهوده فاستحق النجاح فأنت الآن في أعلى درجات الرحمه

إن طبقت عليه الأنظمة العادلة ، فأنت في أعلى درجات العدل لكنك اذا تتبعت أحواله ، وذكّرته تارة ، وهددته تاره . وشجعته تارة ، وكافأته تارة ، وعاقبته تارة حتى استقام أمره وحتى استحق النجاح فنجح ؛ فأنت بهذه الطريقة عاملته بأعلى درجات الرحمة .

يمكن أن ترسل ابنك إلى بلد غربي ، وأن تعطيه المبلغ الذي يستحق ، وأن تهمل أخباره ، ثم بعد خمس سنوات فوجئت بأنه قد ضيع هذا المال على شهواته وأنه لم يدرس إطلاقا ، وعاد بخُفَّيْ حُنَين . فتقول له : يا بني أنا بذلت من أجلك كل شيء وقدمت لك هذا المبلغ الضخم وضيعته أنت ، فأنت في أعلى درجات العدل . ولكنك إذا تتبعت أخباره ، وذهبت إليه تارة واستقدمته تارة ، وقللت المصروف تارة ، وهددته تارة ، ورغبته تارة ، وشجعته تارة ، حتى عاد إليك بعد أربع سنوات وهو يحمل درجة الإجازة فقد عاملته فضلا عن العدل بأعلى درجات الرحمة .

يمكن أن تعين موظفا تحت التدريب مدة ستة أشهر ، فيمكن أن تراقبه فقط فكلما أخطأ سجلتها عليه ، حتى أصبح حجم أخطائه لا يحتمل ففصلته وأنت في بحبوحة لأن هذا الفصل كان من ضمن الستة أشهر . فأنت ماذا فعلت ؟ عاملته وفق قيم العدل ، فالعقد ستة أشهر تجريب ؛ ولكنك

إذا أردت أن تعامل هذا الموظف بالرحمة ، فكلما أخطأ تقول لــه : لا ، هــذا لا يصح وهذا هو الصحيح ، فإذا به يستقيم شــيئا فشيئا ، وبعد حين يعجبك وتتمسك به ، شتَّان بين أن تعامـــل مـــن حـــولك بالعدل ، وبين أن تعاملهم فوق العدل بالرحمة .

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ومنحه العقل ، وجعل الكون كله دالا على أسمائه الحسنى ، أعطاه العقل ، وركب فيه الفطرة ، وأعطاه الشرع ، خيره وأودع فيه الشهوات ، وأعطاه قوة فيما يبدو، وتركه إلى أن يأتيه أجله ، فإذا هو مـــن أهل النار . فالله عز وجل عامله بالعدل لكنه في مقتبل حـــياته اتجـــه إلى أن يسرق ، فأدَّبه الله عز و جل وخوَّفه تـــارة وضيَّق عليه تارة وجمعه مع أهل الحق تارة وقبَضَه تـــارة وشـــرح صـــدره تـــارة إلى أن صلَح هذا الإنسان ، وصـــار مـــن أهـــل الجِـــنان ، بماذا عامله الله عز وجل ؟ بالرحمة .

إذن : اســـم التواب من أين نفهمه ؟ من رحمة الله عز و جـــل ، أعطانـــا العقـــل ، وأعطانا الاختيار ، وأودع فينا الشـــهوات ، وخلـــق الكـــون دالا علـــى أسمائه وصفاته ، منحـــنا قـــوة - فيما يبدو - وركب فينا فطرة عالية وانتهى الأمر :

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(سورة فصلت)

هــذا هــو العــدل ؛ لكن الرحمة بالمتابعة ، الله معك فــي كــل خطــراتك ، معك في كل حركاتك ، معك في كل تصوراتك ، معك في كل طموحاتك، معك في سرك ، معك في جهــرك ، معــك في خلوتك ، معك في جلوتك ، معك في كل حــال مــن أحوالك ، وكل شأن أنت فيه هو لك معه شأن ، كــل شــأن أنــت فــيه لله معك شأن يقابله ؛ إن كان شأنك الإعراض ، فشأنه التأديب ، وإن كان شأنك الإقبال ، فشأنه التجلّي ، وإن كان شأنك العدوَان ، فشأنه العقاب ؛ وإن كان شــأنك الإحسان ؛ فشأنه الإكرام . يعني المتابعة ، فأنت لن تكون رحيما إلا إذا تابعت من حولك المتابعة اليومية ، حتى فــي الدعــوة إلى الله عز وجل فهناك عالِم وهناك مُرَبي ، فالعــالم يُلقي الدرس وانتهى الأمر لا يعنيه المجتهد ولا مَن فهــم ولا من استوعب ولا من لم يستوعب ولا من طبَّق ولا من لم يطبق ولا من تقدَّم ولا من تأخَّر ولا من حضر ولا من غــاب ، ألقــى الــدرس وانتهى الأمر فهذا اسمه في عالم الــتدريس " معلّــم " . لكــن المربي هو الذي يتابع ، اليوم ســألني ســائل : تقــول لــنا عــن علم الشريعة وعن علم

الطـــريقة ، وعـــن علم الحقيقة ، فالأمر واضح تماما عندي بـــين علم الشريعة وعلم الطريقة ولكن ليس لدي الوضوح الكامل بين علم الطريقة وعلم الحقيقة ؟

أردت أن أ شرح له فشعرت أن الموضوع دقيق جدا ، ألهمـــت مثلا أعجبه ، قلت له : جبل شامخ فيه تلال ووديان ومســـارب ومـــداخل وفـــي قمته قصر منيف فيه كل شيء تشـــتهيه النفس . هناك علماء ثلاثة : عالم يبين لك أن في هـــذا القصر ثلاثمائة غرفة وفيه أبهاء مدفأة تدفئة مركزية فـــيه تكييف ، فيه من أنواع الطعام وفيه حدائق وغرف نوم وثيـــرة ، فهـــذا العـــالم يبـــين لك ما في القصر فهذا عالم الشـــريعة ، فيقول لك : القصر مُدَفّأ وأنت تشعر بالبرد فيه طعـــام نفـــيس وأنـــت جائع ، والقصر فيه راحة تامة وأنت متعب .

أمـــا عـــالم الطـــريقة يعرف طريقا لهذا القصر من أين تـــذهب و فـــي أي مركبة تركب ؟ و كيف تقدم الوثائق عند الحواجـــز وكـــيف تصـــل إلى هذا القصر ؟ يبين لك طريق الوصـــول إليه و أنت واقف في مكانك ، لكن عالم الحقيقة هو الذي يأخذ بيدك ويدخلك إلى القصر .

كـــل النعـــيم وكـــل الدفء ، وكل الطعام الطيب ، وكل الفـــرش الوثيرة ، وكل الأمن ، وكل المناظر الجميلة ، وكل النـــباتات الـــرائعة ، وكـــل الفـــواكه الطيبة ، كلها في هذا القصر . والذي يأخذ بيدك ويدخلك إلى هذا القصر ، هو عالم

الحقيقة . والذي يصف لك الطريق إليه ، هو عالم الطريقة . والـــذي يصـــف لـــك القصـــر وأنـــت في مكانك ؛ هو عالم الشـــريعة . فإذا أردنا أن نبقى في مصطلحات الإسلام فهناك إسلام ، وهناك إيمان ، وهناك إحسان .

الإحســـان أن تـــدخل لهذا القصر وأن تستمع بما فيه ، وفي الحقيقة هو الهدف الأخير وهو المعوّل عليه . فالله عز وجل خلقنا للجنة وخلقنا لسعادة أبدية :

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ

(الآية ١١٩ من سورة هود)

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(سورة الذاريات)

هـــذا هـــو الهدف كان من الممكن أن تُخلق للجنة و أن يعطـــيك الله العقـــل و الفطرة و الاختيار و الشهوة و الكون و القوة و التشريع و انتهى الأمر. أنت تلاحظ إنسانا يمشي في طريق متعرج ، في طريق العدوان ، في طريق الانغماس فـــي الملـــذات فـــإذا حكمـــنا علـــيه حسب المنهج الإلهي ، فالمفـــروض أن ينتهي به المصير إلى جهنم ، لكن ما الذي يحصل ؟ أن ربنا عز و جل لا يدعه هكذا ؛ بل يتدخل ، يلفت

نظــره ويُســمعه الحــق ، فإن لم يستجب يسوق له بعض الشــدائد فــيما بيــنه وبينه ، فإن لم يستجب يرفع مستوى الشدة ، وسماه الله عذابا صَعَدا.

والطبيب أحيانا يعطي دواء عيار ٢٥٠ ملليجرام ، فإن لم يســتفد تصــبح خمســمائة ، فإن لم يستفد تصبح سبعمائة وخمسين ، ثم تصبح ألفا . كلما كان تأثير الدواء ضعيفا رفع الطبيب مستواه .

قــبل أن أشرح معنى التواب ، فالقضية قضية الرحمة ، قضية أن الله عز وجل يمكن أن يعاملنا بعدله فنستحق النار ولكــنه عاملنا برحمته حتى يؤهلنا إلى الجنة ، هذا التواب . يعنــي أنــه لم يتركك ولكن تابعك وراقبك فأنت تحت سمعه وبصــره يحاسبك على كل حركة ، وعلى كل سكنة ، وعلى كــل خاطر ، أكلت مالا حراما ، يمحق لك من مالك عشرة أمثال ، ليؤدّبك . اعتديت على أعراض المسلمين يسوق لك مشكلة بغير حل فتبقى سنوات وأنت في ضيق شديد ثم ألقى فــي روعــك أن هــذه المشــكلة يا عبدي بسبب هذا الذنب الوبــيل . فموضوع التوبة هو أن الله عز وجل يربي عباده ليســتحقوا الإكرام في الدنيا حتى يأتي يوم القيامة وهم في الجنان ...

كلكم يعلم أن التواب على وزن فعّال وهي صيغة مبالغة اســم الفاعــل ، تقول مثلا : التائب يتوب مرة واحدة ، أما الــتواب ، فكثير التوبة . إذا ذكرنا أحد أسماء الله عز و جل

بصيغة المبالغة فالمقصود أن الله عز و جل كثير التوبة على عباده أو أنه يتوب على عبده مهما كبر ذنبه ، إما كمًّا ً أو نوعاً وهو شيء معروف عندكم .

و اسم تواب من تاب . ، تاب يتوب توبة وتوبا بمعنى رجع وآب بمعنى رجع ، وأناب بمعنى رجع ، وثاب بمعنى رجع . تقول : ثاب إلى رُشده . أي رجع إلى رشده ، وأناب إلى ربه وتاب أي رجع ، وآب أي رجع ، تاب وثاب وآب وأناب كل هذه الأفعال بمعنى رجع ، إذا قلنا : الله تواب ، أي يعود على عباده بالخيرات ، ويعود على عباده بالإحسان ، يعود على عباده بالرحمة وبالغفران ، هذا معنى أن الله عز وجل تواب ، وهو معنى من معاني تواب ، ولكن المعنى الدقيق مستنبط من قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ١١٨

(سورة التوبة)

ما معنى تاب عليهم ؟ تاب عليهم يعني أنه ساق لهم من الشدائد كي يحمِلهم على التوبة ، لو تركهم ، و أمدهم بصحة جيدة و بأموال كثيرة و أمطار غزيرة و بلاد جميلة و هُم غارقون في شهواتهم ، في ملاهيهم ، في أفراحهم ، في نواديهم ، في سكرهم و انحرافهم في كل الملذات فلو أن

الله عز و جل تركهم هكذا ، فهو ليس توابا ، و لكن يسوق لهم من الشدائد ليتوب عليهم .

أعـرف رجـلا ربح أرباحا طائلة و أراد أن يمتع نفسه فأزمـع السـفر إلـى أمريكا وكأنه يتمنى أن يفعل فيها ما يشتهيه و أن يرتكب كل المعاصي ، و هناك شعر بألم شديد فـي ظهره فتوجه إلى مستشفى ، و صوّر عموده الفقري ، جـاء التشـخيص : ورم خبيث في النخاع الشوكي ... فلم تسـتطع قـدماه أن تحمله حينما سمع الخبر ، فقطع رحلته و عـاد إلى الشام ومن مسجد إلى مسجد و من مجلس علم إلى مجلس إلى أن تاب إلى الله توبة نصوحا ..

هذا الذي ساقه الله إليه حمله على التوبة فلو أنه تركه هكذا بصحة جيدة وقوة ومال وغنى وعاد من نزهته الجميلة بعـد شهرين أو ثلاثة ليتابع عمله التجاري وليعيد الكرة في العام القادم إلى أوربا وهكذا فليس الله توابا .

أعـرف رجلا ذكيا جدا لكنه يتفنن بالسخرية من الدين ومن رجال الدين ، يعد الدين كله خرافة وحالة مَرَضية ابتُلي بهـا الإنسان وهو أستاذ فلسفة ، وفجأة رأيته في حالة على غيـر مـا أعرفه بها وهي حالة إنابة فلما سألته عن حاله قـال : أنـا وزوجتـي منذ سنة تبنا إلى الله توبة نصوحا ، وتحجـبت زوجتـي ، واستقمت على أمر الله ، وأنا أحضر عندك في المسجد منذ ستة أشهر ، فرحت له فرحا شديدا ، ثـم سألته ما السبب ؟ فقال : لي ابنة أصيبت بمرض خبيث

في دمها وكنت أحبها حبا جما وما زلت أعالجها في هذا البلد وهذا البلد حتى اضطررت إلى بيع بيتي وفي النهاية جاءني خاطر أنك لو تبت إلى الله أنت وزوجتك لعل الله يشفيها ، فتاب إلى الله وشفاها الله عز وجل !!! ومنذ سنة دُعيت إلى عقد قران وألقيت كلمة في هذا العقد وقلت له : هي هي ؟ ، قال : هي هي .

و الله أيها الأخوة : كل قصة أسمعها تحس أن رحمة الله عز وجل لا حدود لها فلو ترك العباد على معاصيهم و انحرافاتهم و شرودهم عن الله عز و جل و انغماسهم في الملذات وأكلهم المال الحرام وتطاولهم على الحق فلو تركهم هكذا لاستحقوا النار ، و لكنه يرحمهم . و معنى يتوب عليهم أي يسوق لهم من الشدائد ما يحملهم بها على التوبة .

هناك رجل همه الوحيد أن يفسد عقائد المؤمنين ، وهو يؤمن في كل كُرَيَّة في دمه أنه لا يوجد إله ، وأن كل شيء متعلق بالدين خرافة بخرافة ، وهو يجهد في إفساد عقيدة كل مؤمن ، رزقه الله تعالى ببنت فأحبها حبا لا حدود له ، و لما ارتفعت حرارتها ، أخذها إلى الطبيب ووصف لها الدواء ، وبقيت حرارتها مرتفعة ، ومن طبيب إلى طبيب إلى طبيب إلى أن قال له أحد الأطباء الكبار: حالة ابنتك نادرة جدا بنسبة ألف في المئة ، هذا مرض مستمر حتى الموت ، حرارتها أربعون بشكل مستمر (و هو يؤمن أنه لا يوجد

إلـــه) ، تحمل هذه الصدمة وبكى وتألم ، وبعد حين اختل تـــوازنه وصـــار يأتي بها إلى عمله وهو شيء غير مقبول لأنـــه موظف ، فخاف أن تموت في غيابه فلم يحتمل ، تقول زوجـــته : بعد شهرين أو ثلاثة من استمرار حالتها المتردية قـــال لها : أريد أن أغتسل . وبدا عليه كأنه أنه يغتسل لأول مرة في حياته ، اغتسل وقام ليصلي وهكذا قال حسب رواية زوجـــته ، قـــال : " يقولون إنك موجود ، فإن كنت موجوداً فإما أن تشفي ابنتي وإما أن تميتها وإما أن تميتني " ، وقام وصلى ركعتين بكى فيهما بكاء شديدا وكانتا أول ركعتين في حـــياته ، ومـــا إن ســـلّم من صلاته ، حتى انخفضت حرارة ابنته ، وشفاها الله بقدرته !!!

وهناك من هذه القصص الواقعية الكثير فمرة بعد درس الأحـــد قال لي شاب : أريد أن أقابلك ، فقلت : تفضل قال : والله يـــا أستاذ ما من معصية تعرفها أو تخطر ببالك إلا وأنا أقترفها على وجه الإطلاق ، نشأت جاهلا وعند رجل أكد لي أنـــه لا يوجد إله ، فافعل ما شئت ، حدثني عن نجاحه في التجارة وعن أرباحه الطائلة وانحرافه وانحطاطه وسفرياته وقصة طويلة معقدة إلى أن جاءته ضربة من الله عز و جل فحطمـــته فجأة ، و وجد نفسه بلا دخل ، و أصابته وأولاده وزوجـــته أمراض وبيلة ، فلم يعد يملك ثمن الطعام ولا ثمن الـــدواء ووصـــف لي : و الله كأن مطرقة تطرق رأسي كل دقـــيقة إلـــى أن مررت بأحد المساجد وسمعت المؤذن يؤذن

فـدخلت المســجد وصليت أول مرة في حياتي وبكيت بكاء شديدا وعاهدت الله على التوبة . أقول لكم هذه قصة قصتان ثلاثــة وصــلت إلى مسامعي ولكن يجب أن تعلم أنه ما من رجــل فــي الأرض إلا وله مع الله قصة وهذا معنى التواب يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : " إنهم عبادي ... لا أقــنِّطهم مــن رحمتــي ؛ إن تابوا إليَّ فأنا حبيبهم وإن لم يــتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهِّرهم من الذنوب و المعايب " ...أي : أعرف كيف أداويهم .

و كثير من الإخوان سبب مجيئهم للمسجد مشكلة كبيرة ســاقها الله إليهم ففزعوا و أنابوا و ارتجعوا و تابوا فقبلهم الله عز وجل و تجلى عليهم . هناك أشخاص أصابهم مرض عضــال ، خاطــب الله عز و جل و هو في غرفة العمليات لاستئصال الورم الخبيث قال : يا رب أعاهدك إن شفيتني من هــذا المــرض ألا أعصــيك ما حييت . وشفاه الله من هذا المرض فبقي ثابتا على عهده . فلولا هذا الورم الذي ساقه الله لــه ما كان ليتوب . صدقوني عشرات بل مئات بل آلاف القصــص التــي انتهت إلى سمعي مصادفة فكيف لو تتبعت الأمــر؟ . هذا معنى التواب . يعني .. " تاب عليهم ليتوبوا " هــي من أجمل آيات الدرس . يعني ساق لهم من الشدائد ما يحملهــم بها على التوبة فمن هو البطل ؟ الذي يأتيه طوعا والذي يأتيه وهو في الرخاء !!! هذه هي البطولة .

الله لكل من تاب بعد مصيبة ، ولكن الأكمل والأقوى أن تعرفه في الرخاء لا في الشدة، أن تعرفه وأنت غني وأنت قوي .

المعنى الثاني : تواب : أي يسوق لعباده من الشدائد ما يحملهم على التوبة وأجمل الآيات :

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

(سورة البقرة)

آيـــة ثانـــية : " ثُمَّ تابَ عليهم لِيَتُوبوا " يعني إذا جاءت تـــوبة الله قبل توبة العبد فهي الشدائد التي يسوقها للعبد ؛ وإذا جـــاءت تـــوبة الله بعد توبة العبد فتعني قبول التوبة . يحملــــك علـــى الـــتوبة ثم يقبل توبتك ، وأنت بين دافع إلى التوبة وبين قبول لهذه التوبة .

أنـــا أتمنى على الأخ الكريم أن يجري مناقشة منطقية ويســـأل نفسه فمثلا يكون عمره ثمانين سنة ويحاسب نفسه ويقول : هل هناك تقصير أو انحراف سابق إلا وساق الله لك شـــدة وأعـــادك إلـــيه ، فما لك تنتظر الشدة إذن ؟ إذا وقع الإنســـان فـــي غفلة فلماذا ينتظر الشدة ، ليعود إلى الله بلا شـــدة بلا تأديب وبلا مشكلة وبلا مصيبة وبلا تضييق ، هذا هو الذكاء ، وهذا هو العقل ، وهذه هي الحكمة .

هناك شيء آخر : قالوا : الله عزّ وجل يتوب على عبده ابتداء أي يسوق له من الشدائد ما يحمله على التوبة وأما تمام التوبة أن يقبلها منه وأن يثبّته عليها ، فمثلا : لو قال عبد : يا رب أنا تبت إليك ، فهذا الذنب لا أقع فيه مرة ثانية ، ولم يقل : يا رب ثبتني اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك ، ثبت قلبي على طاعتك فلو قال أنا تبت وانتهى الأمر فما بقي علي بعد ذلك ؟ فهذا الذي ينسب التوبة إلى نفسه ويعتد بإرادته وبقدرته على متابعة التوبة ربما أضعف الله مقاومته ، فوقع في الذنب مرة أخرى . لذلك تمام التوبة قبولها والتثبيت عليها لأن الإنسان إذا تاب من ذنب ثم عاد إليه يختل توازنه وينهار فلو فعلت هذا الذنب المئة ألف مرة قبل التوبة أهون من أن تفعله مرة واحدة بعد التوبة ، دققوا ، لأنك إذا فعلته بعد التوبة انهارت معنوياتك وشعرت كأن الطريق إلى الله عز وجل غير سالك . أما الشيء الذي يلفت النظر قوله سبحانه وتعالى :

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

(سورة النساء)

" يقول عز و جل في الحديث القدسي : " لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد و من العقيم الوالد و من الظمآن

الــوارد " أعرابي يركب ناقة عليها طعامه وشرابه ، جلس ليستريح فشردت عنه ناقته فأيقن بالهلاك فجلس يبكي حتى نــام ثــم أفــاق فــرأى الناقة من شدة فرحه اختل توازنه فقــال : يــا رب أنا ربك وأنت عبدي . : يقول عليه الصلاة والســلام : " لله أفــرح بتوبة عبده المؤمن من هذا البدوي بناقته " .

الله عــز وجــل يــريد أن يتوب عليكم ، إذا رجع العبد العاصــي إلــى الله نادى مناد في السموات والأرض : " أن هنّــئوا فلانــا فقــد اصــطلح مــع الله . " " واللهُ يريد أن يــتوبَ علــيكم ويريدُ الذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما " .

اجلــس مــع أهــل الدنيا ، أو أهل الشهوات ، أو أهل الفجــور ، هــذا الفاجر وهذا العاصي يتمنى أن يجرك إليه لتكون مثله ، يقول لك : " ضعها برقبتي ، والله تواب رحيم وغفور رحيم ولا تدقّق فالله لا يدقق " ومن هو حتى تضعها بــرقبته ؟!!! مــا هــذا الكلام ! " والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما " يجب أن تقــدّس هــذه الإرادة الإلهــية ، فالله عز وجل يريد لك الخير ، و السعادة الأبدية .

هــناك إنســان بعد حين سوف يعذّب عذابا لا يحتمل ، والآن راكــب ســيارة ، وإنسان آخر بعد حين سينال أعلى مــرتبة وهو يمشي على قدميه ؛ التقيا في الطريق ، فمن هو

الفائـــز؟ بهذه العين راكب المركبة الفاخرة ، لكن بهذا العقل الفائـــز ؛ هو الذي يمشي على قدميه . تصوروا بيتا ضخما جـــدا ثمـــنه مئة مليون فيه كل شيء وله طريق وعلى هذا الطـــريق إنسان يصعد على قدميه ليتملك هذا البيت ، إنسان آخـــر يركب مركبة فارهة باتجاه أن يُشنق في ساحة عامة . التقـــى هذا الذي يركب المركبة مع هذا الذي يصعد إلى هذا البيت في الطريق فهنيئا لمن ؟ بالعين لراكب السيارة ، أما بالعقل لمن يمشي على قدميه فالأمور بخواتيمها .

قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

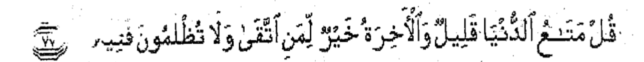
(سورة إبراهيم)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

(سورة البقرة)

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

(سورة آل عمران)



(سورة النساء)

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

(سورة القصص)

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة القلم)

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾

(سورة السجدة)

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾

(سورة القلم)

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الجاثية)

كلام واضح كالشمس .

أيها الأخوة : معنى تواب يعني يعود بالخير على عباده ، فالأمطار من التواب عاد بها علينا ، و الهواء الذي نستنشقه من التواب عاد به علينا ، وهذه الأجهزة التي تعمل باستظام من التواب عاد بها علينا ، وهذا الذي أنعم الله به علينا من التواب فهذا أول معنى .

المعنى الثاني : تواب قبل التوبة بمعنى يسوق لعباده الشدائد :

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

(سورة الأنعام)

انظروا إلى الآية ما أجملها وما أدقها ، ما معنى هذه الرحمة ؟

قال " ولا يُردُّ بأسُه عن القوم المجرمين " هذه رحمته ، رحمته تقتضي ألا يُرد بأسه عن القوم المجرمين . تصور

ابــنا ذكــيا وأبوه عالم ، الإبن مقصر فضربه الأب وضيق عليه ، حاسبه ، زجره إلى أن نجح ، تابع عليه المراقبة إلى أن صـــار طبيبا ونال أعلى الشهادات ، وجلس في عيادته ، وثلاثون زبونا في الخارج وتصوير ودخل يومي من خمسين إلـــى ســتين ألف ، فيقول : الله يجزي والدي كل خير على الضـــرب الذي ضربني إياه في الصغر فلولاه لم أكن طبيبا . فلو قال له : لا أريد الدراسة ، فلم يزجره ، بل تركه فأصبح وراء الناس فيقول : لماذا لم يضربني أبي ، ولماذا لم يضيِّق علي ، أو ينصحني ، أو يطردني من البيت لماذا ؟ إن رحمة أبــيه الســاذجة ؛ مع الجهل تجعله يحقد عليه ، بينما شدة والده الواعية ؛ تجعله يذوب حبا له .

أمــثلة بســيطة لو فرضنا أن إنسانا كان منحرفا حتى ضــيَّق الله عــز وجل عليه وخوفه وأرسل له شدائد إلى أن اســتقام علـــى أمر الله ، فذاق طعم القرب ومعنى الهداية ، وشـــعر بسعادة كبيرة يقول : يا رب لك الحمد على أن سُقتَ إلي هذه الشدائد ، والله أيها الإخوة أنا أقول لبعض الإخوان الذين ابتلاهم الله ببعض المصائب : و الله الذي لا اله الا هو ســيأتي وقت يُكشف لك عن سر هذه المصائب . ان لم تَذُب كالشمعة حباً لله عز و جل ؛ فهذا الدين باطل .

فالإنسان يجب أن يعرف أن الله عز وجل تواب ، ومعنى تــواب يعني يحبنا ، فمثلا : إنسان يسير في الطريق تفكيره غير جيد ، فيصطدم بعمود ، إلى أين تسير يا عبدي ؟ يكون

ماشيا بشكل خطأ ، أو نظر إلى امرأة لا تحل له فجأة تأتيه الصدمة ، ويشج رأسه ، فالله عز وجل تواب .

أكل مبلغا بالحرام فيضيع الله له عشر أمثاله ويربيه ، فإذا أصلح عطلا وأخذ من الزبون عشرة أمثال وقال له : عشرة آلاف ، و الزبون لا يعرف ، فعاتبه جاره فأجابه : هكذا العمل ، وفي اليوم الثالث دخلت في عين ابنه نثرة برادة فدفع له ستة عشر ألف ليرة لبنانية. فذهب ربحه الحرام وجاءه التأديب .

أخ جاءه شخص يريد شراء حاجات من عنده فطلب ستة قطع ألبسة ، لكنه يبيع بالجملة فرآها إهانة له وقال : أنا لا أبيع بالقطّاعي فقال لِه : شكرا ، بعد ذلك أقسم بالله أنه مضى عليه ثلاث وعشرون يوما ولم يدخل إليه إنسان إلى المعمل . فالله عز وجل تواب .

انظر إلى النحاس كم هو جميل ، من كثرة الطرق أصبح جميلا وهكذا المؤمن كلما ازداد عليه الطرق يصبح أديبا وكلامه مضبوط وليس عنده كِبر ولا تطاول ، هذا معنى التأديب الإلهي وهو معنى التواب أي يعالجك حتى تصبح نقيا كالملك تماما .

" يقول عز وجل في الحديث لاقدسي : وعِزّتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها: سقما في جسده ، أو إقتارا في رزقه ،

أو مصيبة في ماله ، أو ولده حتى أبلغ منه مثل الذرّ ؛ فإذا بقي عليه شيء ، شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه " !!! .

أيها الإخوة : والله الذي لا إله إلا هو أنا ناصح لكم ، وكنت أقول كلمة باللغة العامية : أنا دعوتي ملخصة بكلمتين : اما أن تأتيه راكضا أو أن يأتي بك ركضا . ويعلم الله كيف يأتي بك ، ويعلم كيف يخوّفك ويعرف كيف يجعل ركبتيك ترتجف ، و يعلم كيف تسمع الخبر و تقع مغشيا عليك ... فتعال إليه بنفسك أفضل لك .

أعرف رجلا أسرف على نفسه كثيرا وله جار صالح نصحه فلم يستجب ، ومات على معاصيه ، ثم رؤي في المنام يرتدي ثيابا خشنة قميئة مهترئة ويدور حول بحرة ويقول : نصحني فلان ما انتصحت يا ليتني انتصحت ، لو أنه نصحكم فاسمعوا نصيحته ، فالإنسان ما دام قلبه ينبض فيقول لك : التخطيط سليم فالتوبة مفتوحة ، وما دام القلب ينبض فالباب مفتوح فالحق بنفسك .

قال لي صاحب معمل : قبل عشر سنوات كنت أفقد مالا ، أضع ألفين في جيبي ثم لا أجد شيئا ، فهناك عامل يسرقني وبقيت شهرا أراقب والسرقة مستمرة بالمال والبضاعة ، ثم توقفت السرقة ، وبعد عشر سنوات طرق بابي شاب ملتح قال: أنا فلان هل عرفتني ؟ فأجاب : نعم كنت عندنا قال : كنت أسرق منك وتبت إلى الله عز وجل ،

وها أنا بين يديك جئت لأدفع لك كل الذي أخذته منك . فقال له : والله نظير هذه التوبة وهذه الأوبة سامحتك ولك مكان في معملي إذا شئت أن ترجع .

ما دام القلب ينبض ، فالحل سهل وكله يتصحح ، ممكن أن تدفــع الديــون المترتبة عليك سابقا ، وممكن أن تعيد الحاجـات لأصحابها ، وممكن أن تستسمح من اغتبته . كله ممكــن فإمــا أن تأتــيه طائعا وإما أن يحملك على أن تأتيه طائعا فالأولى أرقى وأشرف وأجمل وأحلى .

فالــتوبة الأولــى " ثم تاب عليهم ليتوبوا " يحمل على التوبة والثانية " تابوا فتاب الله عليهم " ، يعني قبل توبتهم ، وإذا قبل توبتهم يعني ثبّتهم عليها .

خبــر مسند أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة : واستغفر الله لهم فأوحى الله إليه أني قد غفرت لهم مـا بيني وبينهم ولم أغفر لهم ظلم بعضهم لبعض . ما بيننا مغفــور لكن ما بينكم وبين العباد لا بد من أن يصحّح وهذا معنى قوله تعالى :

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

(الآية ٣١ من سورة الأحقاف)

يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ

(الآية ٤ من سورة نوح)

يعني بعض ذنوبكم .

أتمنى من كل إنسان أن يحاسب نفسه حسابا دقيقا ، و أسعد إنسان هو الذي يمشي على منهج الله في كل شيء ، أسعد إنسان هو المطيع ، ألا يكفينا قوله تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

(سورة الأحزاب)

ألا يكفينا قوله تعالى :

إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾

(سورة الحجرات)

ألا يكفي المظلوم أن يكون ظالمه في معصية الله .

أيها الإخوة الأكارم : معنى تواب أي لا يعاملك بالعدل فحسب بل بالرحمة يعني يتابع . فالأب الرحيم كل يوم ينادي ابنه ويسأله عن وظائفه وماذا كتبت ؟ أما أن يتركه حتى

يرســـب ويقول قدمت الذي علي فيجيب الابن : صحيح لكنك لم تكن رحيما بل كنت عادلا أما الرحيم الذي يتابع .

ربـــنا عــز وجــل هـــو الـــتواب أعطاك الأمانة وكلفك بالأمانـــة ، و أعطـــاك عقلا وأعطاك كونا وأعطاك إختيارا وأعطـــاك شهوات وفطرة وشرعا ، ومع ذلك يتابع أحوالك بالنصح مثلا :

أحـــد إخوانـــنا الكرام يلزمه مبلغ من المال ، فوجد بيتا بســـعر مغـــر جدا بقيمة " ٢٥٠٠٠ ليرة " والقصة قديمة ، معـــروض بخمســـة وثلاثـــين ، و معه عشرة آلاف ويلزمه خمسة عشر ألف ، ومعه سندات فذهب إلى المصرف ليحسم هذه السندات ، والحسم ربا معكوس ومدير البنك ليس مسلما بـــل ذميا . فقال له : يا أبا فلان ، أنت مسلم وهذه حرام في ديـــنكم ، ابْقَ نظيفا . فقال : صرت أبكي ، أنا أتلقى نصيحة مـــن انســـان غير مسلم في أمر ديني ؟؟!!! . فقال : يا رب أعاهـــدك ألا أشـــتري هـــذا البيت وألا أعصيك ، فقال لي : تـــوجهت مـــن المصرف إلى محلي التجاري ووجدت صديقا قـــديما ينتظرنـــي فقلـــت : خيرا فقال : أريد الذهاب للكويت ومعـــي ســـتون ألفا لست بحاجة إليهم ، وأريد أن أودعهم عندك سنتان وأناشدك الله أن تستعملهم ، أقسم بالله أنه بعد نصـــف ســـاعة حينما عاهد الله ألا يعصيه ، كيف تاب الله علـــيه ؟ لم يرسل له مصيبة لأنه كان سريع الفهم فتركه يكلم الذمي وينصحه بأن يبقى نظيفا .

فــالله ســبحانه وتعالى حكيم فإن كنت تأتي بإشارة فلا تحــتاج لكلمــة ، وإن كنت تأتي بكلمة فلا تحتاج للضرب ، كلمــا كان للإنسان حساسية يفهم بالإشارة . و أحيانا يحس الإنســان بإنقــباض فــيقول : هناك شيء . و هناك إنسان يحــتاج إلــى تأديــب علني أو عذاب مهين أو عذاب عظيم أو عــذاب ألــيم فكلمــا ارتقت مكانة الإنسان عند الله تكفيه الإشارة ، فالحُر تكفيه الإشارة .

معنــى تــواب : أي أنــه لــن يتركنا بل يريدنا ، نحن مطلوبــون إلــيه ، خلقــنا ليسعدنا ، خلقنا ليرحمنا ، خلقنا ليسعدنا في الدنيا والآخرة . فافهم أن الحر تكفيه الإشارة ، فــإذا قصــرت يأتي بك ، وأحس أحيانا أن إخوانا كثيرين قد تــركوا المجــالس ثــم يمضي أشهر فيرجع فلا بد أن هناك مشــكلة فيركض ركضا . فابق ثابتا لأن الله يحب الثابت ولا تكــن كالقــارب الصــغير فــي اضطراب باضطراب بل كُن كالسفينة الراسخة :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

(سورة الأحزاب)

انتهــى الأمر أنت عاهدت خالق الكون فإذا عاهدت الله على الطاعة وعلى تلقي العلم وخدمة الناس فابق ثابتا .

هــذا معنى اسم التواب ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يـــتوب علينـــا لأن الله عـــز و جل يقول : " إذا رجع العبد العاصـــي إلى الله نادى منـاد فـي السموات والأرض أن هنّئوا فلانا فقد اصطلح مع الله " .

و الحمد لله رب العالمين

*****


الحق

الحق

الـــدرس الـــيوم مـــع اسم الله تعالى الحق وهذه الكلمة مـــتداولة بكثـــرة كثيـــرة ، والله سبحانه وتعالى هو الحق ، وكلامـــه هـــو الحق ، و وعده هو الحق ، و وعيده الحق ، وأفعاله حق .

قـــبل أن نمضـــي في الحديث عن كلمة "حق" لابد من ضرب الأمثلة : فمثلاً

معـــك جهـــاز كهربائي ، وبحاجة إلى طاقة كهربائية ، توجهت إلى مأخذ كهربائي ووضعت فيه الشريط ، فالآلة لم تتحرك ، فهذا المأخذ ليس فيه كهرباء ، فتوجهت إلى مأخذ آخـــر و وضعت فيه الشريط فدارت الآلة ، أول مأخذ باطل ، الثاني حق .. ما معنى الحق إذن ؟ ..

يعنـــي أن الشيء الموجود موجود .فالحقيقة أن الله هو الحـــق ، وإذا توجهت إلى غيره فلن تجد شيئا بل سرابا في ســـراب ، وعـــود كاذبة ، وأقوال فارغة ، و كلمات طنّانة ، وليس فيها شيء وإذا توجهت إلى الله عز و جل وجدت كل شـــيء ، فـــأول معنى من معاني الحق : الشيء الموجود ، وأول معنى من معاني الباطل الشيء المعدوم ، والإنسان إذا وعـــدك وعـــدا ونفّذ وعده فوعده حق ، فإن لم ينفذ فوعده باطل ، وإذا توهمت أن الجن بإمكانهم أن يفعلوا كذا وكذا ،

وفي الحقيقة الله سبحانه وتعالى ما أعطى الجن قوة أبدا ، فاعتقادك أن الجن بإمكانها أن تفعل وأن تؤذي وأن ترقع وأن تخلّص فهذا اعتقاد باطل لأنه لا يطابق الحقيقة ، وإذا قلت فلان بإمكانه أن يفعل وهو في الحقيقة عبد لا يستطيع أن يفعل شيئا فقولك باطل ، فالشيء الموجود واعتقاد وجوده والاعتراف بوجوده ، هذا هو الحق ، أما أن تعتقد أن هذا الشيء موجود وهو غير موجود فهذا اعتقاد باطل ، وإذا قلت هذا الشيء موجود وهو غير موجود فهذا قول باطل ، والصواب أن الحق هو الموجود ، والباطل هو المعدوم .

وإذا تحدثنا عن الاعتقاد ، فالاعتقاد الحق حينما يوافق الواقع فهو حق ، وإذا خالف الواقع فهو باطل ، والقول الحق حينما يوافق الموجود فهو حق ، وحينما يخالف الموجود فالقول باطل .

و أخطر شيء في الحياة أن تتجه إلى جهة لا تملك شيئا ، و أخطر شيء في الحياة أن تعتقد اعتقادا غير صحيح ليس له مرتكز واقعي أبدا ، و أخطر كلام تقوله أن تنطق بشيء لا يرتبط بالواقع ، فما الذي ضيع الناس ؟ الباطل ، وقد تعتقد اعتقادا بعد سنين طويلة ينكشف للعالم كله أنه اعتقاد باطل ، وأن هذا المبدأ غير صحيح ، وأن هذا المبدأ ما حقق شيئا للإنسان ، بل زاده شقاء .

فإذا كنت مع الحق فأنت في سعادة كبيرة ، لماذا ؟ لأنك مـــع الثابت ومع الموجود ، وهذا ملخص الدرس ، أو هذه هي الخطوط العريضة للدرس .

و الشيء الموجود إما أن يكون واجب الوجود أو ممكن الوجـــود فالخالـــق واجـــب الوجـــود ، فلابد من أن يكون موجـــودا ، ولا يمكن إلا أن يكون موجودا ، والعقل لا يقبل هذه الدِّقة البالغة من دون إله خالق ؟ ومن دون إله مبدع ، ومـــن دون إلـــه مصمم ، أو إله حكيم ، أو إله عليم أو إله قديـــر ، فالموجود واجب الوجود ، أما الممكن فمثلنا نحن : فنحن مُمكنوا الوجود ، أي ممكن أن نكون أو لا نكون ، ولا يكـــون وجـــودنا حقا إلا إذا شاء واجب الوجود أن نكون ، ولذلك ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

(سورة إبراهيم)

فــوعد الشــيطان باطــل ، وأحيانا الشيطان يخوفك ، وتخــويفه باطــل وأحــيانا يعــدُك بالفقــر و وعده باطل ، و القضــية ليست قضية فكرة تتعلمها بل القضية مصيرية ، فإن كان لك مبلغ في مدينة حلَب كبير جدا ، ولن تقبضه إلا مــن الســاعة الثانــية عشرة حتى الساعة الواحدة من يوم السبت ، وهذا المبلغ إذا قبضته يحل كل مشكلاتك ، توجهت إلــى المحطة ، وركبت قطارا يوصلك إلى حلَب ، وقد تخطئ وأنت راكب في هذا القطار عشرات الأغلاط ولكن ما دام هذا القطــار فــي طريقه إلى حلب وسوف تصل إلى هذه المدينة قــبل الساعة الثانية عشرة ، فأنت في الحق ، أما إذا ركبت قطارا متجها إلى درعا فهذا القطار باطل لأنه لن يوصلك إلى هدفك ، إنه قطار ولكن يتجه بك إلى عكس هدفك ، و أنا في حيــرة من توضيح هذا لأنه دقيق وعميق جدا ، وقد يحتاج الإنسان لتوضيح الحقائق إلى ضرب الأمثلة .

الله هــو الحــق ، و هذا الكون لأن الله خلقه هو حق ، ولأنــه موجود و لكن هذا الشيء ممكن الوجود ، فيمكن أن يكــون ويمكن أن لا يكون ، لكن الله سبحانه وتعالى واجب الوجــود ، وأن تعــتقد بوجــوده فاعتقادك حق ، وأن تُقِر بوجــوده فإقــرارك حق ، وإذا اعتقدت بأن زيدا من الناس بإمكانــه أن يــنفعك فاعتقادك باطل ، أو بإمكانه أن يضرك فاعتقادك باطل ، وإذا قلت هذا فقولك باطل ، فصار الموجود هــو الحق ، والاعتقاد بالوجود هو الاعتقاد الحق والإقرار

بالوجـــود هو الإقرار الحق ، وهذه الفكرة النيِّرة تقودنا إلى فكـــرة أخـــرى ، بأن الحق في الكون لا يتعدد ، وبأن الحق واحد ، لقوله تعالى :

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ

(سورة يونس آية ٣٢)

فـــإن اعـــتقدت خـــلاف ما في هذا القرآن فأنت بالدليل القطعي ضال ، لا سمح الله .

وإذا اعتقدت أن الأجل (العُمر) بحسب العناية بالصحة، فـــإذا اعتقدت أن الأجل متعلق بذلك فهذا اعتقاد باطل ، لأن الإنســـان لا يمـــوت إلا إذا انتهـــى أجله ، ولكننا لا نُنكر أن العـــناية بالصحة واجب ، و لكن هذه العناية لا ترتبط بالعمر ولا تؤثّر فيه ..

أخ كريم من إخواننا روى لي قصة ، فقال أنا ولدت في بيت ولي عمّان فوالدي له غرفة ، وعمي له غرفة ، وعمي الثاني له غرفة ، وفي الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء وُلدت فـــي غرفتنا و الغرفة الملاصقة لها هي غرفة عمي ، وفيها زوجـــته ، وقـــد أصـــيبت بمرض عضال خطير ، وأستدعي أربعة أطباء لمعالجتها ، ومن غرائب المصادفات أن الأطباء الأربعـــة اتفقـــوا على أنها لن تعيش أكثر من ساعة . فأنا ولـــدت وكبرت وترعرعت ودخلت المدرسة ، وتخرجت فيها

وعملت مع والدي ، وتوفي والدي ، وتزوجت ، وانتقلت من بـيت إلـى بيت إلى بيت ، واشتريت آخر بيت وهو الذي أنا فـيه ، وأصبح عمري خمسة و أربعين عاما وجاءت زوجة عمـي لتزورنـي . ولـو قال أربعة الأطباء أنها انتهت بعد سـاعة ، فلقـد عاشت بعد ذلك خمسة وأربعين عاما ، إذن كلام الأطباء باطل .

إن الطبيبَ له عِلم يُدِلُّ به

إن كان للناس في الآجال تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته

حار الطبيب وخانته العقاقير

أيهـا الإخـوة الأكـارم ، أنا أقول الآن هذه الكلمة هل تعـرفون مـن البطل ؟ البطل هو الذي يأتي اعتقاده مطابقا للواقع ، ويأتي حديثه مطابقا للواقع ، وتأتي حركاته مطابقة لمنهج الله عز وجل ، ولنا مَثل في آلة غالية الثمن ، معقدة التـركيب ، عظيمة النفع ، وأنت حريص حرصا لا حدود له علـى أن تستعملها وفق تعليمات الشركة ، فكيف بك وأنت المخلوق الأول ؟ .

إذن : كلمـة حق و خطيرة جدا و أنا أتمنى على كل أخ أن يعمـل فـي مراجعة أفكاره عن الدين هل هي صحيحة ، وهل معتقداته صحيحة ، و هل تصوراته عن الله صحيحة ، وهـل معـتقده بالنبي عليه الصلاة و السلام صحيح ، وهل

آراؤه في القضايا المعاصرة صحيحة ، و ما قيمة رأيك أنت .

قلت لكم مرة لقد جرت حرب أهلية في بلد مجاور ودامت أربعة عشر عاما ، وانتهت والحمد لله وهذه الحرب الأهلية يمكن أن تفسر تفسيرا عربيا ، نقول هذا البلد أصبح ساحة صراع للقوى العربية ، ويمكن أن تفسر هذه الأحداث الدامية تفسيرا طائفيا ، يمكن أن تفسر تفسيرا دوليا ، إنه مركز مالي قوي جدا نافس مراكز أخرى ، ويمكن أن تفسَّر تفسيرا قرآنيا ، دينيا ، إلهيا ، قال تعالى :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

(سورة النحل)

هذا التفسير الديني ، أي هذه التفاسير هي الحق ؟ إنه تفسير خالق الكون .

إذن : إذا توجهت إلى تفسيرات أخرى فتكون في باطل ! لقد حصل زلزال ، فهدمت مدينة بأكملها ، هناك تفسير ساذج ، إنه تصدُّع بالقشرة الأرضية أو التواءات داخلية ،

فهـذا تفسـير علمـي ، ولكـن هذا التفسير لا يتناقض مع التفسير الديني ، قال تعالى :

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(سورة هود)

فـلا تكون بطلا إلا إذا استطعت أن تتعرف إلى الحق ، و أن يكـون اعـتقادك حقا ، و أن يكون كلامك حقا ، و أن تكون حركتك حقا .

و إذا كـنت تعاني من مشكلات ، و تفسير هذه المعاناة بقلة الحظ فهذا تفسير باطل ، و هناك تفسير آخر أن تقول : لـي حُسَّـاد كثيـرون رموني بحسدهم ، وهذا تفسير باطل أيضـا ، لأنـه لا يسـتطيع أحد أن يضر أحدا ، إلا إذا كان مسـتحقا أو غـافلا ، و لكـن إذا قلت ما من عثرة ، و لا اخـتلاج عـرق ، و لا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم و ما يعفـو الله أكثر ، فهذا التفسير حق ، وأنت في اليوم الواحد أمام آلاف المقولات الباطلة ، فالبطولة أن تتعرف إلى الحق وأن تعـتقد الحق ، وأن تنطق بالحق ، ولن تكون على حق إلا إذا عرفته ، ولن تعتقد به ، ولن تنطق به إلا إذا عرفته ، لـذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : " أصل الدين معرفة الله " .

و مــثلا عــن أصــحاب الصنعات ، فلو فرضنا إنسانا تصــرف في صنعته تصرفا خاطئا ، فنقول إن هذه الطريقة باطــل ، ولو أشاد إنسان بناء على الشاقول ، فسوف نقول هــذا البــناء حق لأنه سيستمر ، ولو أشاد بناء بلا شاقول فــنقول هذا البناء باطل ، لماذا ؟ لأنه سيقع . فما هو الحق إذن ؟ ؛ هــو الشيء الموجود ، ولكن يجب أن نضيف شيئا عندما قال ربنا :

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

(سورة الحجر)

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ

(سورة الروم آية ٨)

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾

(سورة ص)

الباطل : هو الشيء الزائل ، والحق : هو الشيء الموجود الثابت و من معاني الحق الشيء الموجود الثابت ، والآن سنضيف شيئا ، الموجود حق، أما درجة أعلى ، فواجب الوجود ، ودرجة أعلى فدائم الوجود ، فواجب الوجود ودائم الوجود ، أعلى من ذلك ، ولا موجود آخر معه ، إنه واحد في وجوده ، ودرجة أعلى كامل في وجوده . فهو واجب ودائم وواحد وكامل ، هذه حقائق ثابتة عن الله عز وجل .

الله موجود ، بل هو واجب الوجود ، بل هو أبدي الوجود ، لا شيء بعده ، وهو واحد في وجوده ؟ وكامل في وجوده . فإذا عرفته عرفت كل شيء ، وإن فاتتك هذه المعرفة فاتك كل شيء ، و الله ما حصّلت شيئا ، لو ملكت أموال الدنيا ، أو ارتقيت إلى أعلى مكانة في الحياة ، ولو حصّلت كل الشهوات وما عرفت الحق ، لأن وجودك ليس ذاتيا ، فلو كان وجودك ذاتيا فليس هناك مانع ، لكن وجودك مرتبط بواجب الوجود ، فإذا شاء واجب الوجود وهو الله أن يلغي وجودك تنتهي .

لقد كنا مدعوين إلى عيد مولد في أحد مساجد دمشق ، و الذي دعاني و قدم لي بطاقة الدعوة ، هو أحد إخواننا الأكارم ، كان ذلك يوم الجمعة بعد الدرس ، فتوجهت إلى هذا المسجد ، وفي مدخله رجال عديدون يقفون لاستقبال المدعوين ، صافحتهم واحدا واحدا ، وسألت الذي دعاني في

الطــريق ، من الذي أشرف على هذا المولد ، قال لي: عمي فلان والد زوجتي ، قلت له أين عمك ؟ ، قال هو في الداخل فلمـــا دخلـــت صحن المسجد ، رأيت رجلا مكتمل الرجولة ، يرتدي الثياب الأنيقة مورد الوجه نشيطا ، لا أعرفه سابقا ، فرحب بي ترحيبا حارا ، وأثنى كثيرا ، فدخلت إلى مكاني في الحفــل ، وكان أحد الإخوة الأكارم يُلقي كلمة ، وأثناء إلقاء كلمــته ، تحرك اثنان من المدعوين ، فما فهمت لِمَ تحركا ، ثـــم ألقيت كلمتي ، بعشرين دقيقة ، وبعد أن انتهيت ، جاء رجـــل وهمـــس فـــي أذني أن هذا الذي استقبلك في صحن المسجد قد توفي ، وما استمع إلى كلمتك !!.

لا تعجب فأنت ليس واجب الوجود أنت ممكن الوجود ، والدلـــيل واجـــب الوجـــود أنهى وجوده ، بثانية ، يعني هو ينتظر أن ألقي كلمة ، فما استمع إليها ، وبعد أن دخلت وقع ومـــات ، و نحن والله لم نصدق ، أنهي الحفل ، وذهبنا إلى المستشـــفى ، ودخلـــنا إلـــى غرفة العناية المشددة فإذا هو مســـجّى ، قـــد فاضت روحه إلى بارئها ، فأنت ليس واجب الوجـــود بل ممكن الوجود ، وأنت ليس حقا ، فالله هو الحق ولو كنت حقا لسرى عليك قوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

(سورة الواقعة..)

نحن فرحنا بالأمطار كثيرا ، فماذا لو أن السماء توقفت عن إنزال المطر ، فأين وجودنا ؟ عند ذلك نرى كل الآبار والأنهار جفت ، و النباتات في طريقها إلى الموت ، ونحن بعد ذلك ، هل وجودنا ذاتي ؟ لا ، نحن وجودنا متعلق بمشيئة واجب الوجود .

وكم يكون هذا الإنسان غبياً إذا ظن أنه موجود وأنه واجب الوجود وأنه يعمل وأنه يكسب المال ، فهذا هو الباطل ، وهو اعتقاد باطل ، فأنت كلما تعرفت إلى الله صغُرت نفسك في عينك وكبُر الله سبحانه وتعالى في عينك ، فمن هو المؤمن ؟ هو الذي لا يرى إلا الله .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

(سورة الفتح)

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

قد تسأل ؛ لماذا يتكلم فلان بما ليس قانعا به ؟ .. لأنه لم ير أن الله هو كل شيء ، رأى الله عظيما ، وفلانا عظيما ، وظن أن زيدا وعبيدا وفلانا بإمكانهم أن يفعلوا و يرفعوا و يُخفِضوا ، و ينفعوا و يضروا ، و كلما نقص توحيدك إزداد شركك ، فاعتقادك غير صحيح .

فالقضية أخطر بكثير من أننا حضرنا درسا لطيفا ومعاني لطيفة ومنظمة ! الأمر يتعلق بحياة أبدية ، فهل أنت على حق وهل اعتقادك حق ، وهل تصوراتك حق ، أو

أفعالـــك حـــق ، ومـــواقفك حـــق ، و هل أعطيت بالحق أم بالـــباطل ؟ و هل منعت بالحق ؟ وغضبت بالحق ؟ و رضيت بالحق ؟ .

هـــناك غضب بالحق و رضى بالحق ، وإعطاء بالحق ، وصـــلة معـــه أو و قطيعة ، وحينما تعرف الحق أنه واجب الوجود وأنه أبدي الوجود وأنه واحد في وجوده ، وكامل في وجـــوده ، و لا موجود سواه ، وإليه المصير ، ولذلك تقطع كل العلائق ، وتتجه إلى الخالق . فالقضية أخطر بكثير من أن الإنســـان حضر مجلس علم ، وأخطر بكثير من أنه صلى ركعتـــين ودفـــع ليـــرتين ، لأن الأمـــر أمر مصير ، أبدي ، والقضية قضية حق أو باطل ، قال تعالى :

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ



(سورة يونس)

و شـــيء آخر أنت لو اعتقدت اعتقادا ليس قطعيا ، هل أنت مؤمن بالجنة ؟ والله أغلب الظن ، أن هذا اعتقاد باطل ، وهـــل أنت مؤمن أن الله عز وجل سيسألك عن كل شيء ؟ والله لـــن يدقق ؟ ولن يحاسبنا إلا على قدر عقولنا .. فهذا اعتقاد باطل ، وأنت مؤمن بقوله تعالى :

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾

(سورة الزمر)

والله يخاطب النبي ، أي يا محمد ، أفَمَن حَقّتْ عليه كلمةُ العذابِ أفأنتَ تُنقِذ مَن في النار .؟

إن الإنسان أحيانا و من خلال دروس غير منضبطة ، من خلال خطب غير دقيقة ، من خلال أقوال في جلسات غير صحيحة يتسرب الباطل إلى ذهنه وعند ذلك سوف يتصرف بالباطل . فنسأل لم تغش يا فلان ؟ فيقول أنا عندي أولاد ماذا أصنع ؟ .. فهذا كلام باطل ، وإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، و إن لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا ، فأخطر شيء أن تنقّي عقيدتك من كل غلط ، من أمثلة ذلك ما اتُّهم به الأنبياء :

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة يوسف)

فيا أخي هذا نبي لن يقع في الزنا ، و هذا اعتقاد باطل ، و هذا التفسير للآية باطل " و لقد همت به وهم بها " همَّ بدفعها وهمَّت بجذبه ، أو ولقد همت به ، ثم وقف . في

القراءة ، ثم نُكمل : " وهمَّ بها لو لا أن رأى برهان ربه " ، فهذا هو التفسير الحق ، عن الأنبياء .

الله عز وجل يُلقي نورا في قلب المؤمن يُريه الحق حقا و الباطل باطلا ، أما بعض التفاسير أنه رأى أباه في المحراب فقال له إياك ، فنحن نريد التفسير الحق .

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

(سورة السجدة)

فيجب أن تفهم القرآن فهم حق وليس فهم باطل ، وأن تفهم كلام النبي فهم حق :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون اللهَ فيغفر لهم

صحيح مسلم

ما المقصود بهذا الحديث ؟ هل تُلحق بنفسك ذنبا إذن ، ليس هذا هو المعنى ... المعنى إذا بلغتم درجة لم تشعروا بذنوبكم فأنتم موتى ، لذهب الله بكم فمن أمضى سهرة بالغيبة ونام مرتاحا ، فالنبي الكريم قال :

" الغيبة أشد من الزنا " .

رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي مرفوعا

فـــإذا ارتكـــب الإنسان المعاصي ولم يشعر بشيء فهو مـــيت ؟ أمـــا المؤمن فيملأ الليل بالعمل الصالح ، فيجب أن تكون عقيدتك صحيحة ، عن الله عز وجل ، والله قال :

يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ

(سورة آل عمران من الآية ١٥٤)

و هناك مَن أكثر أفكاره عن الله غلط ، و أكثر تصوراته و معتقده و فهمه غلط ، يقول إن رسول الله كان ماشيا في الطريق فطرق باب زيد ، ففتح الباب ، و بدت زوجته زينب مـــن دون ثياب وقد وصل شعرها إلى أسفل ظهرها فأعجب بهـــا النبي وقال سبحان الله ، سبحان مقلب القلوب !.. من قال لك إن هذه القصة صحيحة من قال هذا ، نبي عظيم يفعل هـــذا ؟ أنـــت مـــؤمن لا تفعله ، لذلك هذه القصة باطلة ، مدسوسة دسنا .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة الحجر)

و يـــزعم أحدهم أن امرأة حسناء صلّت بين الصحابة ، وهـــل بينهم صلت ؟ إنها وضيئة وحسناء ، و بعضهم صلى خلفهـــا ليرى محاسنها في أثناء الركوع والسجود و بعضهم

صلى أمامها ، فنزل قوله تعالى : " و لقد علِمنا المُستقدمين منكم ولقد علِمنا المُستأخِرين " ، إنه تفسير باطل ، و هم أعظم من ذلك ، وهؤلاء أصحاب رسول الله ، فأنت يجب أن تعرف الحق ، و أن تعرف ما يليق بالحق ، و أن تعرف أسماء الله الحسنى و صفاته الفُضلى ، و يجب أن تعرف ما يليق بالأنبياء ..

و قيل عن نبي الله داود : عنده تسع و تسعون امرأة ، وأحب زوجة أحد قواده ، فقال قدموه قدموه في الحرب لعله يموت و نأخذ هذه الزوجة ، (يقولون) فعاتبه الله عز و جل و قال يا داوود أعرض عن الهوى ، هذا تفسير غير صحيح ، سيدنا داوود انشغل بعبادته عن حل مشكلات الخلق ، فأرسل الله له ملكين تسورا المحراب ، وافتعلا خصومة وسمع من الأول ولم يسمع من الثاني ، قال له قد ظلمك ، ليعود إلى مصلاه ، فالهوى الذي نهي عنه هوى رفيع ، هواه في الإقبال على الله عز وجل يجب أن تفسِّر التفسير الذي يليق بالأنبياء ، ويليق بهذا الدين العظيم ، ونحن نريد أن نعتقد اعتقادا صحيحا ، ونقول قولا صحيحا ، وأن نطبق تطبيقا صحيحا لنكون على الحق .

و الآن : فالحق ؛ هو القول المطابق للواقع بدليل ، فأنت إذن لا تقبل كلاما غير صحيح ، لا يطابق الواقع ، إذ هناك دجالون كثيرون ،فهذه علاقتها مع زوجها سيئة ، فيقولون لها ، إنك تحتاجين إلى خروف أسود وأبيض ،

تذبحينه لكي يحبك ، فهذا كلام باطل ، كله دجل وكذب ، و نحن عندنا قرآن كريم ، و في هذا البيت معصية ، إذ يدعون إلى الله عز وجل عن طريق ضرب الشيش فقط ، ماذا علمتموهم ؟ ولو أن مريضا معه آلام مبرحة في المعدة ، وزار طبيبا ، فقال له انتظر ، ونصب حبلا في العيادة ، وصعد يمشي عليه فرأى المريض أعمالا خارقة ، وهو مريض ، يحتاج إلى دواء وعلاج ، فماذا يستفيد إذا سار الطبيب على حبل وكان بهلوانا .

أقول لك هذه الأمثلة ، أنت بحاجة إلى علاج ، وإلى راحة نفسية وإلى توازن ، وإلى سعادة و إلى حقيقة ثابتة لا تكشف الأيام أنها زائفة ، ويمكن أن يعتقد المرء اعتقادا إلى أمد طويل وفي النهاية يظهر أن هذا الاعتقاد باطل ، و لا أساس له من الصحّة ، وما سبب كما يقولون إلا دمار الإنسانية ، إذن كلمة الحق ، أن الله هو الحق .

يجب أن تعرف أن اعتقادك إذا كان مطابقا للواقع فهذا الاعتقاد حق وأن قولك إذا كان مطابقا للواقع فهذا حق .

وما قولك إذا ركب أحدهم سيارة ، فقيل له لِمَ هذا الضوء و ما فائدته ، إنه ضوء الزيت ، يتألق ليسلّيك في الطريق قال له فقط ؟ قال : فقط ، فهذا التفسير صحيح أم غلط ؟ وهل التصديق صحيح أم غلط ، وهل الكلام صحيح أم غلط ؟ إنه غلط ، لأن هذا إذا تألق وبقيت ماشيا لاحترق

المحرك ، فيكلفك خمسين ألفا ، أما لو تألق ووقفت مباشرة فيكلفك مائة ليرة فقط .

يجب أن تكون معلوماتك ، وتصوراتك ، واعتقادك ، ومواقفك ، وعطاؤك ومنعك وصِلتُك وقطيعتك وغضبك وسرورك ، كله بالحق ، والنبي كان يمزح ولا يمزح إلا حقا ، فيمكن أن تمزح و لكن مزح حق ، لا خدشا لمشاعر إنسان ، ولا تحقير إنسان ولا تحقير حرفة أو مهنة ، ويمكن أن تَروي طُرفة مُمتعة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ، ولا يمزح إلا حقا .

كلمة حق أتمنى على الله عز وجل أن تكون واضحة ، وبالقرآن وردت مئات المرات ، والله هو الحق ، أما معنى إحقاق الحق ، وأن كل ما سوى الله لا وجود له إلا بالله ، وفي أية لحظة إذا أراد الله لشيء أن يزول فإنه يزول ، يقول له : كُن فيكون زُل فيزول ، إذن ما سِوى الله ممكن الوجود وإذا وُجد فبالله ، وإذا استمر فبالله ، وإذا انتهى فبالله ، و هناك دعاء للنبي عليه الصلاة والسلام : " اللهم أنا بك وإليك " . موجز أنا بك يعني قائم بك ، والله ماذا قال ؟ قال : قُل اللهم مالكَ المُلك "، فهو مالك المُلك ، وكل شيء يُملك فاللهُ مالِكُه فعينك مِلْكه ، وأنت ترى بها ما دام قد سمح لك أن ترى بها ، وفي أية لحظة لو شاء أن تفقدها، تفقدها بلا سبب !!!

السمع و اللسان وكل ما تملك هو مالكه ، حدثني أخ قال لـــي : بمستشفى الأمراض العقلية ، هناك قسم خطير جدا ، رقم ٦ هذا القسم نزلاؤه كما خلقهم الله عز وجل ، يمزّقون كل ثيابهم ، ويأكلون من نجاساتهم ودمائهم وشعورهم ، أي شـــيء يوضع في هذا القسم يتلف ، فهم أقوياء البنية ، لكن عقلهم معطّل !!! فأنت لك مركز ، ولك عمل ، وتُتقن حرفة ، وأنت تفعل كل ذلك بالله ، فلو أخذ ما وهبه لك، انتهيت !!! وبيـــتك أنـــت عمّـــرته ، ورتّبته وزينته فلو صار في عقلك خلـــل ، فأهلك يطرقون أبواب المسؤولين حتى يسمحوا لهم أن يضعوك في مستشفى الأمراض العقلية ، لأنهم لا يطيقون أن يـــتحملوه . فقد كنت أنت الأب وأنت مالك البيت ، وأنت اشتريته ورتبته ، وأنت الآن لا تملك شيئا ، وفي أية لحظة يفقـــد الإنسان عقله ، يفقد بصره ، و سمعه . و أنت عندك كليـــتان تعمـــلان بانتظام ، وإلى الآن لا يوجد سبب معروف لفشـــل وظائـــف الكليتين الفجائي ، فجأة تقف الكليتان عن العمـــل ، فتصـــبح الحياة جحيما ، لا يُطاق ، فيُعرض على الطـــب كـــل أســـبوع مرتين ، وكل مرة سبع ساعات ، مرة بهـــذه اليد ومرة بالأخرى ، ومرة بالقدم ، تسبب لك مواقف عصـــبية صعبة ونرفزة وضيق نفس ، أين آمالك ، هل تملك كليتيك ؟؟!!! لا والله ، وهل تملك دسام القلب ؟ لا والله .

قـــال لـــي أخ كـــنت أصعد إلى رابع طابق فصرت على الـــثالث أتعـــب ثم على الثاني أتعب ، ثم على الأول أتعب ثم

علـــى درجتـــين أتعب ، عمل عملية بتكلفة مليون ليرة وما نجحـــت !!! أنـــت تملك شرايين قلبك ؟ لست بمالكها ، وهل تملك البنكرياس الذي يعطيك الأنسولين بشكل منتظم ؟ إنك لا تملكه ، إذن أنت مقصِّر.

لي قريب في ريعان شبابه ، أصيب بفقر الدم ، وهو من أسرة غنية ، وغذاؤه جيد والكريات ثلاثة ملايين بالميليمتر المكعب ، درس الطب أيضا فحار الأطباء في أمره ، إلى أن اكتشف أحدهم أنه يوجد خلل في الطحال ، فأخذوا عينة إلى مخبـــر ، فـــوجدوا الطحـــال ليس مقصِّرا .. بل يقوم بنشاط زائـــد ، و الطحال مهمته إذا وجد كريّة دم ميتة يحللها إلى هيموجلوبـــين وإلى حديد ، فيُرسل الحديد بطرود بريدية إلى نِقى العظام ليعاد تصنيعه مرة ثانية ، ويرسل الهيموجلوبين إلى الكبد ليكوِّن الصفراء فصفراء الكبد ، وحديد نِقى العظام أساسه تحلُّل كريات الدم الحمراء الميتة ،.. هذا الطحال يقوم بنشاط زائد عن نشاطه الحقيقي ، وانتهى الأمر بالوفاة بعد فترة .

فأنـــت حـــياتك مرهونة بأن لا يزيد نشاط الطحال و ألا يـــنقص الأنسولين ينقص و ألاَّ يُخطىء الدسام وألا يضيق الشريان، و ألا تقف الكلية ...إلى آخر الأعضاء.

واعلـــم أن نقطـــة دم تـــتجلط (أي تتجمد) في الدماغ تسبب الشلل ، وأنت لا تملك شيئا :

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

(سورة آل عمران)

وأمـــا عن وجودك ، وسعادتك فأحيانا يعطيك الله الدنيا مـــع الإنقباض ، فكل المال ليس له قيمة ، ولو أعطاك المال وســلب مـــنك الطمأنينة فحياتك في قلق ، ولو أعطاك المال وسلب منك الصحة ، أو الاستقرار والشعور بالأمن ، فحياتك لا قيمة لها ، قال تعالى :

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

(سورة الأنعام)

أيها الأخ الكريم : أهم ما في حياتك أن تعرف الحقيقة ، و الحق ؛ هو كل قول وافق الواقع بدليل ، أما بلا دليل ، فهو يقلّد غيره !! فإذا قال أحدهم أشهد أن لا إله إلا الله ، فحقيقة الكلام حق ، و ما الدليل ؟ إنه لا يعرف ، فهذا كلام بلا دليل ، فالحق أن يأتي كلامك مطابقا للواقع مع الدليل .

الآن لو أن اعتقادك بالحق اعتقادا غير قطعي ، فلا قيمة له ، قال تعالى :

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

(سورة البقرة)

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾

(سورة الحجرات)

فلو كان في اعتقادك ارتياب ، أو تردد ، أو عدم قطع ، أو كان اعتقادك بالشيء ثلاثين بالمئة فما دون فهذا اسمه وهم ، وإن كان اعتقادك خمسين أو حول خمسين بالمئة فهذا اسمه شك ، وإذا كان اعتقادك سبعين بالمئة فما فوق ، أو كان اعتقادك تسعين بالمائة أطلقوا عليه غلبة ظن، أما

إذا كان مائة بالمائة ، فهذا هو الحق و إيمانك بالجنة والنار والحساب قطعي ، وأن المُرابي سوف يمحق الله ماله وأن الزاني سوف يفتقر ، وأن الذي لا يغُض بصره عن محارم الله لا بد من أن يشقى في بيته ، وأن الذي له مال حرام سوف يُتلفه الله ، وأن هناك وقفة بين يدي الله عز وجل ، فإذا اعتقدت بهذه الأمور اعتقادا قطعيا جازما مائة في المائة ، فأنت على حق ، فالحق لا يتناسب معه الظن ، ولا غلبة الظن ولا الشك ولا الوهم ، قال المعرّي :

زعم المنجِّم والطبيب كلاهما   لا تُحشر الأجساد.. قلت : إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر   أو صح قولي فالخسار عليكما

إن ما يقوله المعرِّي باطل لأن هذه عقيدة باطلة ، فهو يقول : " إذا وُجدت آخرة نكون قد استفدنا ، وإن لم تِوجد نكون ما خسرنا شيئا " ، فهذا ليس دينا ، لأنه شك .

الحق لا يحتمل وهما ولا شكا ولا ظنا ولا غلبة ظن ، ولا يناسبه إلا القطع

كل قول مقطوع به ، موافق للواقع ، وأي قول خالف الواقع فهو باطل فيمكن أن تنفي عن الدين آلاف الأفكار ، وآلاف المعتقدات الزائفة ، وآلاف القصص الباطلة ، وكل شيء خالف الواقع .

عزل سيدنا عمر سيدنا خالد بن الوليد ، الذي خاض مائة معركة أو زهاءها وفي كل هذه المعارك كان منتصرا ،

فلما عزله ، اقرأ كتب التاريخ يقول لك ، كان بينهما حزازات فـــي الجاهلية ، فلما صار خليفة شقى غليله ! هل هكذا كان أصحاب رسول الله ؟! لو كانوا كذلك والله الذي لا إله إلا هو مـــا خـــرجوا مـــن مكة ، ولم يفتحوا العالم .. وأنت تسمع تفاســير كثيـــرة جدا عن ذلك ولقد عثرت على تفسير حق ، جاء سيدنا خالد إلى سيدنا عمر ، فقال له ، يا أمير المؤمنين لِمَ عزلتني ، فقال : والله إني أحبك يا أبا سليمان ، فقال : لم عزلتنـــي ، قال : والله ما عزلتك يا ابن الوليد إلا مخافة أن يَفتَتِن الناس بك ، لكثرة ما أبْلَيت في سبيل الله .!!!

كـــاد الناس يظنون أنك أنت الذي تنصرهم ، خِفت على العقـــيدة ، فـــأردت أن أريهم أنني لو عزلتك يبقى النصر ما دمـــتم مؤمنـــين !!! هذا التفسير يليق بسيدنا عمر ، ويليق بسيدنا خالد ، وهذا تفسير حق "

وأحـــيانا تقرأ تفاسير وتقرأ قصصا غير صحيحة وغير معقولة ، تهتز بها الصورة المتألقة للصحابة الكرام .

إذن : الحق لا يقبل الشك ولا الوهم ولا الظن ولا غَلَبة الظن ، ولا يقبل إلا القطع أي اليقين .

والآن يقولون : " الكلام واقعي إلى حد ما " ! فهذا ليس حقا ، و واقعي ثمانين بالمائة فليس حقا ، و واقعي خمسين بالمائـــة فلـــيس حقا ، و واقعي نوعا ما ، فليس حقا الحق واقعي مائة بالمائة ، دائماً و أبدا .

و مـــا كان مقطوعا به ، وموافقا للواقع ، فعليه دليل ، ولـــو ألغـــي الدليل صار تقليدا ، ولو اعتقدت في الله تقليدا لغيرك ، فهل عقيدتك مقبولـة ؟

و إذا قبلنا التقليد بالعقيدة ، كأن يقول لك إنسان : " إن الله عـــز وجـــل لـــيس رحـــيما لأنـــه يبتلينا بهذه الكوارث والمصـــائب والأمراض !!! فإذا قلت له : " صح أنا سأقلدك الآن " وتأتـــي يوم القيامة ، فيقول لك الله عز وجل : " لِمَ اعتقدت أنني غير رحيم ؟ " تقول : يا رب أنا قلّدت فلانا هو قـــال كـــذلك فصدّقته فيقول لك : أين عقلك ؟! كان يجب أن تستعمله لتهتدي إليّ .

لذلك لا يمكن أن تقبل من الإنسان العقيدة بالتقليد ، لأنـه بالتقلـــيد لا تقـــوم عقـــيدة والذي يجعلك ترفض التقليد هو الدلـــيل ، فـــلا تقبل بلا دليل ولا ترفض بلا دليل ، بل عوِّد نفسك المنهج العلمي ، فإن قيل لك قصة ، فقل من أين أتيت بها ؟ وإذا كنت ناقلا فليكُن لانقل صحيحاً ، وإذا كنت مدعيا فقدِّم دليل ، ولا يُبنى شيء على أغلب الظن . :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾

(سورة الحجرات)

الحق يحتاج إلى دليل ، وإلى مطابقة للواقع وإلى قطع ، فـإذا اسـتطعت أن تعمل مراجعة لكل أفكارك وكل معتقداتك وكـل تصوراتك حتى تجعل منها كلها مطابقة للواقع قطعية الثـبوت وعلـيها دلـيل فأنت من الفائزين ، وإن هذا العلم ديـن فانظـروا عمَّن تأخذون دينكم ، كما قال عليه الصلاة و السـلام : " و عـن ابـن عمر : " دينك دينك إنه لحمك و دمـك " ، " خـذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا " .

فـالله هـو الحـق ، وكلامه هو الحق ، والجنة حق ، ومعنـى حـق موجـودة ، و النار حق ، و الحساب حق ، و العـذاب حـق ، و الصراط حق و الحوض حق ، و غض البصـر ؟ إنه حق ، فما معنى حق ؟ أي لو طبَّقته لقطفت ثمـاره ، والأمانـة حـق ، فلو كنت أمينا لوثق الناس بك فالأمانـة غِنَى ، وأي شيء تطبِّقه ، تقطف ثماره ، فالوقت ثمـين وغـال والحياة لا تحتمل إلا التطبيق ، وإن كنت من رواد المسـاجد ، فإن لم تطبِّق ، فلن تقطف شيئا ، وتكون كل حركاتك عشوائية ، والتطبيق هو الأساس .

و هـذا الكـلام مؤداه خطير ، أي مؤداه أن تتعامل مع الـدين تعامُلا جديا ، أما أن تقول : باركنا يا سيِّدي باركنا ، وهـو لا يطـبِّق شيئا من دعوتك ، وهل تباركنا يا سيدي ، وتقـول باركتمونا بهذا المجيء وأنتم في مكان به انحراف واخـتلاط ؟!! ويقولـون دعـا العلمـاء وصنع لهم غداء ،

وقـــال : " تباركنا بأنواركم " ، أفهذا الكلام حق أم باطل ؟ ، إذا كـــان باطـــل فـــلا تقـــبله بل رُدَّه ، و إذا كان حقا فاقبله وطبِّقه .

و حيـــنما تقول إن الجنة في الآخرة أبدية والحياة زائلة فهـــل عملك يتوافق مع اعتقادك ؟ ، قد يكون الاعتقاد حقا ولكـــن التطبـــيق باطل ، وهل تقبل من طبيب أن يقول لك ، إيـــاك والدخان فإنه سرطان في الرئة وضيق في الشرايين ، وجلطة وهو يدخِّن أمامك ، هذا كلامه باطل لو كان يوقن بما يقول ما فعل هذا .

إذن : كلمة حق كلمة كبيرة جداً فالله هو الحق ، ومعنى هو الحق ؛ أي لابد من أن يُظهر الحق ، وإن كنتَ على حق فلابـــد من أن ينصرك الله ولو بعد حين ، أما إن كنت على باطـــل فلا بد من أن يخذُلك ولا بد من أن يفضحك ، فكن مع الحق أبداً و إلا فهناك خذلان وفضيحة ولكن المشكلة ، التي أتمنـــى من الله عز وجل أن تكون واضحة عندكم ، هي أن الله عز وجل يُرخي الحبل ، أي أنك تستطيع إلى أمد بعيد أن تفعل ما تشاء وأنت سالم ، حتى تكون مخيَّرا ، ولو بعث لك ضربة كلما غلطت فتستقيم ولكن ليس عن حب لله ، ولا عن طاعـــة له ، بل تستقيم خوفا منه ، وعندئذ أنت لست مخيرا بـــل مســـير ، و معنى مخير أي يمكنك أن تأكل مالا حراما و تســـتمتع به عشر سنوات و بعدئذ تأتي الضربة ، ويمكنك أن تقيم علاقة محرمة ولا تقع بك مصيبة .

أعرف رجلا أقام علاقة مع امرأة لا تحل له ، ويملك تجارة ، ومكاتب واستيرادا وله مركز قوي وسيارة وسياحات إلى أوربا وإلى تركيا ، فاعتقادك وأنت مؤمن أنه لا بد من أن يدمَّر بعد حين ، لكنه هو يظن أنه لم يقع في مكروه .

وإذا كان إنسان راكب سيارة وليس فيها مكبح (فرامل) وهي تمشي في طريق منحدر ، وهواء عليل ، يقول لك ماذا ، ليس معك مكبح و هناك منعطف في الآخر هناك حادث حتمي ، لو أيقن أنه ليس معه مكبح لصاح ، انتهينا ، قال تعالى :

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾

(سورة التكاثر)

وأنت إذا رأيت دخانا وراء جدار فستحكم مائة بالمائة أنه لا دخان بلا نار ، و ذهبت إلى خلف الجدار ، فرأيت لسان اللهب ، الأول علم اليقين ، و عندما وقعت عينك على ذات النار فهذا عين اليقين ، فإن قربت يدك منها فلسعتك بحرارتها فهذا حق اليقين ، الحق مائة في المائة ، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

إذن لا بـــد مـــن أن نتعرف إلى الحق ، و لا بد من أن نعــتقد حقا وأن نقول حقا وأن نسلك المنهج الصحيح لنكون على حق ، وحتى نستحق أن يرفعنا الله عز وجل ، في الدنيا والآخـــرة وحينما يُحِقُّ اللهُ الحق يسمح لعباده الطائعين أن يســـودوا ، ولـــيس سوى الله عز وجل ، و تأمَّل معي الآية الكريمة :

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة القصص)

إذن خُلاصة الدرس هي :

يا رب ماذا فقد من وجدك؟!! وماذا وجد من فقدك؟!!

* * * *

وإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .

* * *

و هـــناك في الكون حقيقة واحدة وهي الله ، كل شيء يقـــرِّبك منها فهو حق ، وكل شيء يبعدك عنها فهو باطل ، فعلـــيك أن تعـــرف الله ، وأن تعرف منهجه ، وأن تطبِّقه ، وهـــذا هـــو الحق ، وما سِوَى ذلك كله باطل ، وأنتم ترون بأعيـــنكم ، أنه قد يصمُد الباطل سبعين عاما وبعدئذ يتهاوى

كبيت العنكبوت ، لأنه باطل فالفكرة باطلة والمبدأ باطل والتطبيق باطل . وإذا رأيت بأمِّ عينك جدارا بُني بلا شاقول ، فيقول المهندس لابد من أن يقع ، مهما طال بقاؤه.. لأنه باطل :

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(سورة الإسراء)

فمن صفات الباطل الثابتة أنه زهوق ، فإن كان اعتقادي باطلا فهو زهوق ، وإن كان سلوكي باطلا فهو زهوق .

و الحمد لله رب العالمين

*****


العدل

العدل

أيها الإخوة الأكارم : الاسم اليوم هو : " العدل " فقد اتفقت الأمة على إطلاق هذا الاسم على الله تعالى وهو مصدر عدَل يعدِل عَدلا فهو عادل ، فمن أسمائه جل جلاله الحكَم العَدل ، هذا المصدر أقيم مقام الاسم ، كأن تقول الرَّب بدل الراب ، والبَّر بدل البار ، والرِّضا بدل الراضي ، والعَدل بدل العادل ، فمن أسماء الله الحسنى: العدل .

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى عَدْل في خلقه ، وعدل في تشريعه وعدل في أمره التكويني ، وفي أفعاله

هو عدل في خلقه ، فمكان اليد مناسب جدا ، و في موقع متوسط ، و الشيء المعتدل الذي هو بين الإفراط والتفريط ، فمفتاح الكهرباء إذا وضع في مكان يتناسب مع أهل البيت ، فالأب يضع يده هكذا ، و الأم والابن وجميع من في البيت يستعملونه براحة فهذا المكان معتدل ولو كان مرتفعا لاحتاج الأمر إلى سلَّم ، ولو كان منخفضا مع الأرض لاحتاج الأمر إلى أن ينبطح الإنسان ليتألق المصباح ، أما أن يكون هذا المفتاح في مكان معتدل بين الارتفاع والانخفاض فهذا المكان اسمه مكان معتدل ، والاعتدال من العدل والاعتدال هو التوسط ، ودائما التوسط هو الموقف الأكمل بين الإفراط والتفريط .

و لو أن الإنسان رأى في كأس الماء كل الكائنات الحية التي به ، لما شرب الماء ، فلو أن العين بلغت من الدقة بحيث ترى كل شيء لاستحالت حياتنا شقاءً ، ولو أن العين بلغت من ضعف الرؤية أن لا ترى الشيء الخطر ، إذن في الحالة الأولى إفراط وفي الثانية تفريط ، فحاسة الرؤية في حد معتدل ، فالله سبحانه وتعالى عدل في خلقه .

و أما عن حاسة السمع ، فهناك أصوات لا تسمعها ، ولو سمعتها لما نمت الليل ، فالموجات الصوتية تتخامد ، وليست كالأمواج الكهرومغناطيسية التي لا تتخامد ، وقد ذهبوا إلى كوكب المشتري وبقيت مركبة الفضاء تطير في الفضاء بسرعة أربعين ألف ميل في الساعة ، ست سنوات إلى أن وصلت ، وأرسلت منه رسائل بالراديو ، كما يقولون إن الأمواج الكهرومغناطيسية لا تتخامد بل تبقى سعتها كما هي ، لذلك فهذه الأمواج هي سبب البث الإذاعي ، والفاكس والتلكس ، فالأمواج الصوتية العادية تتخامد ، ولو كانت كالأمواج الكهرومغناطيسية ، لسمعتَ في دمشق وفي هذا المسجد كل صوت في الأرض ، كصوت أمواج البحار ، ومعامل الفولاذ ، و انفجارات البراكين ، و لأصبحت الحياة مستحيلة ، إذن حاسة السمع و تخامد الأصوات هذا خلق معتدل ، بين الضجر الذي لا يُحتمل وبين الضعف الذي لا يقابَل إذن :

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القمر)

بصرك بقدر ، وسمعك بقدر ، ورؤيتك بقدر ، والإنسان أحـــيانا تُجــرح يده ، وأحياناً لو أمسك باب الثلاجة يحس بلسع الكهرباء الساكنة و لو تناول طعاما فيه حمض يتألم ، فـــيقال لك عرق ملح ، ولو أن الأعصاب الحسية نمَت أكثر ممـــا هـــي عليه لأصبحت الحياة مستحيلة ، وكذلك أعصاب الضغط وأعصاب الحس والسمع والرؤية والحركة .

فمفصل المرفق في مكان معتدل بحيث يمكن أن تأكل ، ولـــو لـــم يكن هذا المفصل فلا بد من أن تنبطح كالقطة ، إذ تضـــع الصحن على الأرض وتنبطح وتأكله بلسانك !!! ولا يوجد طريقة ثانية فمكان المفصل معتدل .

كذلك وضع اليد على الكتف ، فلو كانت على الورك إلى الأسفل مع القدم أو لو أن العين في قمة الرأس أو في الظهر أو في الكف ، فما معنى الله خلقك؟

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الإنفطار)

أي بحواسك وأعضائك وأجهزتك والغدد الصماء وجهاز الهضم والقلب والرئتين ... إلخ.

والاعتدال بخيوط النسيج فلو أن الثوب يهترئ من لبسة واحدة ، فليس معقولاً أن تتصور إنساناً اشترى قطعة جوخ وفصّلها وأخذ قياسات ، ثم تعال غداً وبعد غد ، وبعد شهر انتهت ثم لبسة واحدة و إهترأت ! فترى الخيط له متانة معتدلة تلبسها سنة أو سنتين وتهنأ بها ، ثم تهترئ ، إذن فتماسُك الخيوط أيضاً معتدل .

وهذه الدجاجة تعطي كل يوم بيضة ، فلو أعطت كل شهر بيضة لكان البيض غالي الثمن ، و لو كان ثمن العلف للبقر يفوق ثمن حليبها فلن يربِّي أحد بقرا ، إذن كمية الحليب التي تنتجها البقرة معتدل بالقياس إلى ثمن العلف !!.

ويمكن أن تسير بهذا الطريق إلى مائة عام ، فتشعر بالآية الكريمة : " إنَّا كُلَّ شيءٍ خلقناهُ بِقدَر " لا إفراط ولا تفريط ولا تهور ولا تقصير ، ولا مبالغة ولا إيجاز ، بل كل شيء خلقه الله باعتدال ، فهو عدل في خلقه .

كما أن بُعد الأرض عن الشمس ، باعتدال فلو أن الشمس أقرب لأصبحت الأرض فُرنا ، ولو أنها أبعد لأصبحت الأرض قبراً جليديا ، إذن" الشمسُ و القمرُ بِحُسبان " المسافات بمنتهى الدراسة الدقيقة .

والطفل يبقى في بطن أمه تسعة أشهر ، ولو بقي خمس سنوات فهو أمر لا يحتمل ، ولو كان الحمل أسبوعا واحد لأصبح عندك مائتا ولد وهذا شيء لا يحتمل أيضا ،و الحمل تسعة أشهر فلو كان المبيض عند المرأة ينتج البيوض إلى ما لا نهاية كالرجل فإنك تراها في الخامسة والثمانين حاملا ويجيئها المخاض وتريد أولاداً وهي بلا أسنان ، فالبيوض فيها عدد معتدل وحينما تنتهي في سن اليأس أي ، في الخامسة والأربعين إلى الخمسين لا يوجد حمل ، فهذه رحمة الله بالمرأة ، فهو عدل في خلقه .

هذه أمثلة مرتجلة غير معدة مسبقا ، من خلق السماوات والأرض و الشمس و القمر والليل والنهار ، ولو كان النهار خمسين ساعة وطاقتك ثماني ساعات ، تفتح المحل وتغلقه وتذهب إلى البيت وتنام في النهار وغيرك يعمل ، لا ينيمك الليل ، تعود وتعمل مرة ثانية فحياة لا تُحتمل ولو جعل النهار خمسين ساعة والليل خمسين ساعة تنام وتستيقظ وتعمل وتنام وتستيقظ وتعمل ، قال تعالى :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢﴾

(سورة القصص)

إذن : يجب أن تؤمن بأن طول الليل وطول النهار وبُعد الشمس و القمر عن الأرض ، وحجم القمر و الأرض ، محسوب باعتدال ... و لو أن حجم الأرض خمسة أمثال حجمها الحالي ، فوزنك يتضاعف خمسة أمثال و تصبح حركتك أشغالا شاقة لأن وزن الإنسان متعلق بحجم الأرض ، و الدليل أن وزن الإنسان على سطح القمر سدس وزنه الحالي، يقل من ستين كيلو إلى عشرة !!!.

إذن : حجم الأرض وكثافتها وقوة جذبها وبعدها عن الشمس وعن القمر ودورانها السريع في النهار ساعة ، والبَطيء خمسون ساعة فسرعة دورانها باعتدال .

وأما المحاصيل ، فلو أن القمح ينضج تباعا كالبطيخ ، لاحتجنا إلى أن نمسك سنبلة سنبلة هل نضجت فنقطعها أم لا ؟ فنتركها فهذه ، تحتاج ثلاثة أشهر ثم تستحصد فينضج القمح في يوم واحد ، أما الفواكه فتنضج تباعا .

إذن :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الإنفطار)

فالله سبحانه وتعالى عدل في خلقه ، أي خلقه في درجة مناسبة حكيمة معتدلة دقيقة مدروسة كما يقولون ،

تصـــور لو كان قشر الطماطم للبطيخ ، فيمكن أن تأكل بطـــيخة فـــي حـــياتك لا تنتقل معك ، وتصور قشر البطيخ للطماطم ، فتصير كلها قشرا .. القشر معتدل والحجم والقوام و الطعم معتدل والحلاوة معتدلة فتصميم ربنا عجيب .

وقـــد يصـــنع الإنسان حلويات بمقادير غير دقيقة ، أما ربـــنا عـــز وجل فتأكل التفاح و الإجاص والكمثرى والعنب والتين والبلح ، وكله باعتدال

إذن : أول معنـــى مـــن معاني العدل : عدل في خلقه ، يعني خلقه بحكمة بالغة ، وآية أخرى تعبر عن هذا المعنى نفسه :

وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ

(سورة الأنعام من الآية ٧٣)

يعنـــي بالحق :بالدرجة الحكيمة ، المعتدلة التي لا تزيد ولا تنقص ، فتأمل خلقك ، وتأمل طعامك :

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾

(سورة عبس)

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

(سورة الطارق)

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

(سورة الغاشية)

هذا في خلقه .

والآن فـــي أمره : أمرك أن تصوم ثلاثين يوما في العام فلو أمرك أن تصوم ستة أشهر ، فشيء فوق طاقة البشر !! والدلـــيل فـــي رمضان آخر خمسة أيام يشعر الإنسان أن كل يـــوم شـــهر ، فثلاثون يوماً هذا هو الحد المعتدل أمرك أن

تصــلي خمـــس مـــرات-فلو كان خمسين صلاة وكل صلاة خمسون ركعة لما أطقنا ذلك فالأمر معتدل :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

(سورة البقرة من الآية ٢٨٦)

الصـــيام معتدل ، قال لك حج في العمر مرة ، أنفق ربع العشـــر ، بينما نرى بعض الضرائب ثمانون بالمئة إلى ثلاث وتســعين فكم يشعر الإنسان أنه مغبون ؟!!! ، بينما الزكاة رُبـــع العشر ، النسبة المعتدلة بالألف خمس وعشرون ليرة وبالمائة ليرتان ونصف ،وفي مائة ألف ألفان وخمس مائة ، وفـــي ملـــيون خمســـة وعشرون ألفا فالرقم مقبول ، ومعه راحـــة ، فالزكاة ، والصيام ، والحج ، وحتى الأوامر قال لك غُض من بصرك ، فلو كان الإنسان يمشي في الطريق ولقي مـــنعطفا حادا وفجأة مرت أمامه امرأة فما كف بصره ،هذه معفـــو عـــنها لأنك غير منتبه ، فالنظرة الأولى لك و الثانية عليك ... فلم يقل لا تنظر بل قال :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ

(سورة النور من الآية ٣٠)

ولولا حرف "مِن" لهلكنا جميعاً ، فالأمر معتدل .

أمـــر غـــض البصر معتدل ، وأمر الزكاة معتدل ، وأمر الصوم معتدل فأنت مسافر قال لك لا تصم :

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ﴾

(سورة البقرة من الآية ١٨٤)

وأنـــت مســـافر قـــال لك صلِّ ركعتين فقط ، أقصِر في الصلاة والقصر عند السادة الأحناف واجب .

وعلى موعد مع السيارة ومع الطائرة ومع المطار فِكرُك مضـــطرب فقال لك صلِّ الظهر ركعتين ، واجمع جمع تقديم وجمـــع تأخير فالشرع معتدل ، والله عدل في خلقه ، وعدل في أمره .

قبل أن نتابع الموضوع ، فما حظ العبد من هذا الاسم ؟ نحـــن دائما بأسماء الله الحسنى لنا هدفان كبيران ، الهدف الأول أن نتعـــرف إلـــى الله ، وهل في الحياة كلها موضوع أجدر أن نعرفه من الله عز وجل؟ أي هذه الذات الكاملة التي ستبقى في جوارها إلى أبد الآبدين ؟

و إذا أراد إنســـان الـــزواج ، فإنه يخطب عشر سنوات ويقـــول هـــذا زواج أي يبقـــى إلـــى الأبـــد معها ، أربعين أو خمســـين سنة ، اسأل الأزواج كلهم عشت معها خمسين أو خمسا وخمسين ، أو ستين سنة فلا يوجد زواج إلى الأبد ومع ذلك يخطب عشر سنوات ، وقال أحدهم لما بدأت والدته

تخطــب لـــه خـــرجت من البيت وبقيت تخطب خمسة عشر عاما ، ثم استقر الرأي على فتاة كانت قد وُلدت يوم خرجت والدته أول مرة لتخطب له.. يقول لك إنه زواج ، ويريد أن يعــيش معهــا عمرا ، فأنت سوف تعيش مع الله إلى الأبد ، وهل هناك ذات تستحق أن تعرفها غير الله عز وجل ، وهل هــناك موضـــوع أخطـــر من أن تعرف الله تعالت قدرته ، فلــذلك ولله الأســـماء الحســنى فادعـــوه بها ، فإذا قلت يا لطيف ، يا رحيم يا غني يا قدير ألا ينبغي أن تعرف ما معنى قدير ؟!!.

وهناك أشخاص كثيرون يصابون بمرض فيقول الطبيب لأحدهم ليس لك أمل في الشفاء فتراه ينهار ! لأنه لا يعرف أن الله قـــادر على شفائه مهما يكن المرضَ عُضالا ، ومهما يكــن كـــلام الأطـــباء قطعا ، وهناك بنت لا أمل في شفائها فالنتـــيجة مـــوت ، وربنا عز وجل يخلق الشفاء كما خلق المـــرض، ويخلـــق من الضعف قوة ، و من الضيق فرجا ، ومـــن اليأس مخرجا ، وعندما يقول الإنسان يا قدير وييئس فهـــو لا يعـــرف القدير ، والذي نريد أن نقوله ، هو أنك إذا عرفت القدير زال عنك اليأس ، وأنا أؤكد: إذا أيقنت أن الله ســـبحانه وتعالى قادر على أن يشفيك من أخطر مرض وبلا ســـبب فهذا هو الإيمان الذي لا يأس معه ، يا ربّ لا كَرْب وأنت الرب، وهل يتألم الإنسان والله موجود ، ويخاف والله

موجـــود ؟؟ إنـــه يطمئنـــه ، و ينصره و يقويه و يشفيه فاسمعوا كلام سيدنا إبراهيم في قوله تعالى :

قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

(سورة الشعراء)

يخلـــق ، و يهـــدي ، و يـــرزق ، و يشفي ، و يحيي ، و يمـــيت ، و يغفر ذلكم الله رب العالمين ، و أقول لكم : لا يمكن لمؤمن بالله ، أن يحزن أبداً فالله دائماً معه قال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

(سورة المائدة)

و هناك شخص لديه بعض القوة أو المَركز في المج
يقول لآخر : " أنا معك فلا تخف وهذا رقم هاتفي " ، والا
يـريد أن يقاتـل الـناس ظلمـاً ؛ فيطمَـئن بوجـود
الشـخص .... فمـا بالك بالمؤمن إذا طمأنَه الله عز و
وقـال لـه : " ولقد أخذ اللهُ ميثاق بني إسرائيل وبعثنا م
اثنَي عشر نقيبا وقال اللهُ إنِّي معكم لئن أقمتُم الصلاةَ وآ
الـزكاةَ و آمنـتُم بِرُسُلي و عزَّرْتموهم و أقرضتُمُ اللهَ قر
حسـناً لأكَفِّـرَنَّ عـنكُم سـيِّئاتِكم ولأدخِلـنَّكُم جنَّاتٍ تجر
مـن تحـتها الأنـهارُ فمَن كفَر بعدَ ذلك مِنكُم فقد ضلَّ سو
السبيل " .

فـنحن نقول لماذا نتعلم أسماء اللهِ ؟ من أجل أن تس
بها، فتعرف أن الله رحيم فالقضاء ولو بدا فيه قسوة ول
يـنطوي على رحمة لتعلَم ، و لتعلم أن الله قدير وأنه غ
إذن حينما تعلم أن الله سبحانه وتعالى قادر على شفائك ،
مرضك فأنت مؤمِن إذن لا تيئس .

ولماذا كانت نسب الانتحار في أعلى مستوياتها في ب
الغـرب ؟! لأنهـم لا يعـرفون الله بينما في بلاد مظاهر
الحضارية متواضعة ، و الحياة فيها خشنة و الأمور صعبة
و مع ذلك فالانتحار فيها نادر جدا !! و السبب الإيمان با
عز و جل .

كـان لـنا أستاذ في الجامعة في علم النفس ، فحض
مؤتمرا لأمراض النفس في أوروبا ، و قال لنا : لقد قلت ف

المؤتمر إن نسب الأمراض النفسية في بلادنا قليلة جدا ، والسبب أننا نؤمن بالله ونرضى بقضائه وقدره ، والحقيقة المؤمن يقول : هكذا يريد الله ، هذه مشيئة الله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، واستمع معي لهذا الحديث:

ورد في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (أرسلت إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي عليه الصلاة والسلام تدعوه وتخبره أن لها صبياً في الموت ، فقال: ارجع إليها فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب) .

الذي أخذه ، فهو له ، و الذي أعطاك فقد تفضل به عليك ، فإذا أيقنتَ أن لله ما أعطى و لهُ ما أخذ فلا مشكلة إذن .

موت طفل صغير في أسرة يسبب آلاما لا تُحتمل ، بينما صحابي جليل له ابن مريض بمرض عضال ، فجاء من السفر وهو قلق عليه قال يا فلانة كيف الصغير ؟ قالت له في أهدأ حال ، إطمئن ، ففهم منها أنه قد شُفي فأعدت له الطعام ، وفي بعض الروايات: تزينت له،وجامعها... وفي الصباح قالت له لو أن الجيران أعارونا عارية ثم استردوها أتغضب ؟ قال لا قالت وكذلك فعل الله بابننا ، حين قالت له في أهدأ حال كانت تعني أنه ميت ، يقولون إنه ذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقص عليه القصة ، فقال عليه

الصلاة والسلام : " بارك الله لكما في ليلتكما " وتروي الأخبار أنه أنجب غلاما أنجب عشرة حفظة للقرآن !!!

وهذا هو الفرق بين حادث وفاة الابن في أسرة مسلمة ، وبين حادث وفاة الابن بأسرة غير مؤمنة ، فالحالة الأخيرة تنتهي غالباً بجنون الأم .

إذن : نحن نعرف أسماء الله من أجل أن نسعد بها ، وأنت مع الله إلى أبد الآبدين فإذا عرفته في الدنيا فهذا عين العقل ، وذلك أن تعرفه قبل فوات الأوان ، وأن تعرفه وأنت في حياتك الدنيا معافى .

والشيء الثاني : ما حظك من هذا الاسم ؟ أنت كمؤمن ماذا تستفيد من هذهِ الأسماء ؟ والنبي الكريم يقول : " تخلّقوا بأخلاق الله " .

فأما حظ العبد من هذا الاسم فهو أن يحترز عن طرفي الإفراط والتفريط ، يعني لا إفراط ولا تفريط ، ففي أفعال الشهوة يحترز عن الفجور الذي هو الإفراط وعن الجمود الذي هو التفريط .

وقد نجد إنسانا كما يقال زير نساء ، إنه غارق في الشهوة إلى قمة رأسه ، عدواني ، ينتهك أعراض الناس ، هذا فجور ، وقد تجد إنسانا كما قالت المرأة : " يا أمير المؤمنين إن زوجي صوّام قوّام ، لم ينتبه سيدنا عمر رضي الله عنه فقال : " بارك الله في زوجك " ، فقال له

أحـــدهم : " إنهـــا تشـــكوه يا سيدي ولا تمدحه " ، فجاء به ونصحه ، و قال له : " إن لأهلك عليك حقا "

و تروي الكتب عن قصة أخرى أيضاً أن السيدة عائشة دخلـــت عليها امرأة بحالة زرية مُهملة نفسها ، فسألتها عن حالهـــا ، فقالت إن زوجي صوام قوام لا وقت له من أجلي ، فـــي النهار صائم وفي الليل قائم ، فالنبي أرسل إليه وقال يا فـــلان : أليس لك بي أسوة ؟ ونصحه أن يعطي كل ذي حق حقـــه ، وفـــي الـــيوم التالي جاءت هذه المرأة إلى السيدة عائشـــة ، كمـــا تروي الأخبار عطِرة نضِرة ، فسألتها عن حالها فقالت:" أصابنا ما أصاب الناس ".

فـــإذن: نحـــن حيـــنما نعرف اسم العدل ، كيف نتخلق بـــأخلاق الله فـــي هذا الاسم ؟ قال : أن نحترز عن الإفراط و هـــو الفجور ، و التفريط و هو الجمود و نبقى في الوسط و هي العفة ، قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾

سورة المؤمنون

هذا الموقف العدل في علاقتك بالزوجة .

... و مع الأولاد ، إياك أن تعطيهم عطاء يُفسدهم ؛ أو أن تحرمهم حرمانا يحقدون به عليك ، فأعطه المبلغ الكافي ، وأعطه حاجته ، ولو أعطيته فوق حاجته فإنك قد أفرطت ، ولو أعطيته أقل من حاجته فإنك قد فرّطت .

قال صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة و قد قالت له : إن أبا سفيان رجل شحيح وإنه لا يعطيني من النفقة ما يكفيني و يكفي بَنيَّ إلا ما أخذتُ من مال بغير علمه فهل عليَّ في ذلك جُناح ؟ فقال : خُذي ما يكفيك و ولدك بالمعروف .

و الكسوة : اللباس . وقوله : " بالمعروف " أي بالمتعارف في عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط .

وفي أفعال الغضب يجب أن يحترز الإنسان عن التهور الذي هو الإفراط ، والجبن الذي هو التفريط ، ويبقى على الحد الوسط وهو الشجاعة ، وفي العقل يحترز عن الدهاء والخبث والمكر والخداع أو عن البلاهة والغباء ، ويبقى في حد كما قال : " لست بالخب ولا الخب يخدعني " .

وأدق موقف لست من الغباء بحيث أخدع و لا من الخبث بحيث أخدع . حينما قال الله عز و جل : " و كذلكَ جَعلناكُم أمَّةَ وَسَطا " أي في وضع معتدلٍ بين الإفراط و بين التفريط .

و في تربية الأولاد من السهل أن تكون عنيفا ، والعنف لا يحتاج إلى بطولة لقد ضربته كفين فحطّمته ، و لكنه حقد عليك !!!

عن أبي هريرة : " علّموا، ولا تعنّفوا ، فإن المعلّم خير من المعنِّف ".

وأيضا لا تُرخي له الحبل حتى يتجاوز حده !! فالاعتدال أن يبقى ابنك راغبا فيك خائفا منك " رغَبا ورَهَبا " وهذا حد دقيق جدا فدائما الحالات المتطرفة سهلة ، فسهل تكون لينا فتعصـــر ، وأن تكـــون قاسيا فتُكسر والخير وأن تكون بينك وبـــين الناس شعرة إن شدوها أرخيتها وإن أرخوها شددتها فهـذه هي البطولة ، البطولة أن يكون الذي حولك في حيرة مـــن أمـــرك ، هـــم يرجونك ويخافونك في وقت واحد . قال تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

(سورة البقرة من الآية ١٤٣)

والآن العدل في أفعاله ، لقد تحدثنا عن العدل في خلقه وعـــن العدل في أمره و بقي العدل في فعله ، فيجب أن تعلم علـــم اليقـــين أن فـــي الكون عدالة مُطلقة ، لكن قد تُفاجأ بسؤال ، يا أخي فلان مستقيم بعمله التجاري فمحله التجاري

كله منضبط ، وأسعاره مسجلة ، و معتدلة ، ومعه مستندات كاملة فجاءه موظف وافتعل مخالفة وكتبه ضبطا وزجه في السجن أليس هذا ظلما صريحا ؟

الجواب : هذه الحادثة وحدها هي ظلم ظاهري ، أما لو ربطت حياة هذا الإنسان في بيته ، مع أهله و جيرانه ، ومن هم دونه و من هم فوقه وجمعت الحسابات كلها على بعضها ، لرأيت في هذا البلاء منتهى العدل وبالتعبير التجاري يوجد حساب لا ظلم فيه ، أما حساب السندات هذه وحدها ففيها ظلم ، و ضُمَّه على ما فعله البارحة في البيت قبل أن ينام .

قصة حدثت من عشر سنوات ، اثنان تشاجرا في سوق أحدهما معه سلاح فأطلق رصاصة ، فما أصابت خصمه ، وهناك من سمع شجارا فمد رأسه من دكانه فجاءت الرصاصة في عموده الفقري فشُلَّ تماما

فاستوقفني رجل وقال : يا أستاذ أنت تحدِّثنا عن عدالة الله ، فما صنع هذا ؟! إنه رجل صالح فتح دكانه ليسترزق ويسعى على عياله وهو يبيع أقمشة ، ولا ذنب له ، سمع شجارا ، فمد رأسه فجاءت هذه الرصاصة في عنقه فأصبح مشلولا فأين عدالة الله ؟ قلت : والله أنا أعرف أن الله عادل ، ولكن هذه القصة أنت أطلعتني على فصل من فصولها ولعل لهذه القصة فصول لا نعرفها أنا و لا أنت و أنا أسلِّم لعدالة الله .

و الله الذي لا إله إلا هو ،إنها من غرائب المصادفات ، والأصح أنها ليست مصادفات ،فقد حدَّثني صديق لي من الميدان حدَّثني بعد عشرين يوما عن قصة عابرة ، قال : لنا جار كان وصياً على أموال أولاد أخيه الأيتام وبقي لهم معه عشرون ألفا ـ ثمن بيت ـ فالقصة قديمة وكان البيت ثمنه عشرون ألف فرفض أن يعطيهم هذا المبلغ فشكوه إلى أحد علماء الميدان الشيخ حسين خطاب ، فاستدعاه واستدعى أولاد أخوته ، فأصر على عدم دفع المبلغ فقال الشيخ حسين بالحرف الواحد رحمه الله : يا بني هذا عمكم إياكم أن تشتكوا عليه ، هذه الشكوى لا تليق بكم ، ولكن اشكوه إلى الله " هذه القصة تمت الساعة الثامنة مساء ، في اليوم الثاني مد رأسه من الدكان فأصابته الرصاصة فشُلّ !!!! .

قصة أخرى رمزية ، يقولون إن شوحة قالت لسيدنا سليمان اسأل لنا ربك هل هو مَهول أم عَجول؟ فلما سأل اللهَ عز وجل ، قال له : " قل لها إنني مَهول لا عجول فلتأخذ راحتها " ، هذه الشوحة رأت أناسا يشوون اللحم فخطفت هذا اللحم إلى عشها ، ولكن قطعة جمر بقيت متعلقة بقطعة لحم فأحرقت العش كله !!! عادت إليه من توها ، فقالت يا سليمان الحكيم ، ألم تقل لي قبل قليل إن الله مهول ؟ هاهو ذا عجول !!! فلما سألَ الله عز و جل قال : " قل لها هذا حساب قديم !! ".

وقال لي رجل هل من المعقول أن يعاقبني الله على ذنب لـــم أفعلـــه حتـــى الآن ، قلت هذا عن ذنب قديم ، فيجب أن تؤمن بعدالة الله المطلقة :

عـــن قتادة قال : عقوبة بذنبك يا ابن آدم . قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لا يُصيب رجـــلا خـــدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر".

و مـــرة كنت راكبا مع أخ في سيارته ، فتجاوز حده مع سيارة فضربه فتوقعت أن الذي ضُربت سيارته – وصار بها أضـــرار بالصـــاج و بالأجهـــزة – ســـيكون عصبي المزاج و يغضب و يتعالى صوته .. فنزل ، و نظر إليه ثم قال له : " أنـــا مســـامح " فاســـتغربتُ والله ، فلما رجع صديقي إلى سيارته رأيت على خده دمعة ، فقلت له ما القصة يا فلان ؟ قـــال لـــي والله أنـــا من سنة قد ضَرب لي شخص سيارتي و وجـــدتُ في سيارته نساء محجبات فكبُر عليَّ أن أزعجه ، فقلت له : " أنا مسامح ". فربنا بعد عام عاملني كما عاملتُ ذلك الشخص !!!.

يجـــب أن تـــبلغ درجة من اليقين أنه : " إعمل ما شئت فكما تَدين تُدان " .

" البرُّ لا يَبلى والذّنب لا يُنسى و الديَّان لا يموت" ، يجب أن تكـــون بـــاراًّ بوالديك ، فالله عز و جل يُلهم أبناءك أن

يكونوا بررة بك وإن تخدِم تُخدَم ، قال صلى الله عليه وسلم لبلال الفقير: " أنفِق بِلالا ولا تَخشَ مِن ذي العرش إقلالا" .

" أنفِـق أنفق اللهُ عليك " ولا أعتقد إلا وكل واحد منكم معـه مائـة قصـة ، بـل مائتان وألف ، كما يُعامل الناس يُعاملونه بالمثل .

القصة المعروفة عندكم ، رجل عنده زوجة يحبها وتحبه يـأكلان دجاجا ، طرق الباب فتحت فإذا سائل يسأل ، فهمَّت أن تعطـيه مـن هذا الدجاج فسبَّها زوجُها ووبَّخها ونهرها وقـال " اطـرديه " ، نفَّـذت أمره وطردته ، وتمضي سنة أو سـنتان فتسوء العلاقة بينهما ويشتد الخصام ويطلقها ، فتقتـرن بـزوج آخـر وتعيش معه حياة سعيدة وبعد خمس أو ست سنوات ، وهي مع زوجها الثاني ، وتأكل دجاجا كما كانـت تأكـل مع الأول ، طرق شخص الباب ، فذهبت لتفتح فاضـطربَت قـال زوجهـا : " مالـك ؟ " ، قالت : " سائل " قـال ومـاذا فـي ذلك ؟ " ، قالت له "أتدري من هذا السائل إنـه زوجـي الأول ؟ " قـال أتـدرين مـن أنا؟ أنا السائل الأول " !!!.

طـبعا هـذه قصـص ، وأنا متأكد أنه لا يقع شيء في الأرض إلا وفـق عدالة مطلقة ، فدائما إذا سمعت قصة فيها ظلـم ، فسأنصـحك هـذه النصيحة : قل : أنا سمعت فصلا أو عـدة فصول فقط ، و بقي فصل لا أعرفه ، و لو عرفته لـرأيت العدالة المطلقة ، فاعرف الفصل الأخير ، دائما ولا

تتسرع ، وتمهّل ولا تحكم و قل الله أعلم وكفى بربك بعباده خبيرا بصيرا ، الله يعلم ونحن لا نعلم .

و العوام لهم كلمات لا أحبها " إذا شفت الأعمى طبو مالك أرحم من ربو " لا أحبها ، لا تقولوها إطلاقا ، ولا تعتقد أنه كُف بصره بسبب الظُّلم فارحمه وعاونه واخدمه وخفّف عنه وهذا واجب ، ولكن لا تعتقد أن حرمانه من البصر بسبب ظلم قدَّمه ، فالله عز وجل بيده الخير ، ولعل ذلك خيرٌ له .

فاعلم علم اليقين أن الله عز وجل عدل في خلقه ، وعدل في أمره وعدل في فعله ، أفعاله كلها عادلة ، ولذلك أقول مرة ثانية : " ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر " وشيء آخر :

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

(سورة الشورى)

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

(سورة الكهف)

وتقرأ عن زلزال أصاب البلدة الفلانية ، تحب أن تفهمها فهما ماديا أنه اضطراب القشرة الأرضية ؟ هذا الزلزال قوته

ثمانية بمقياس رختر فأغادير في شمال إفريقيا من أجمل مدن المغرب ، تقع على البحر الأطلسي لكن فيها من الفسق والفجور والنوادي العارية ، والملاهي الليلية ، ودور البغاء والفنادق التي هي غارقة في الإثم حتى قمّتها ما لا سبيل إلى وصفه... بثلاث ثوان أصبحت أغادير قاعاً صفصفًا لا ترى فيها عِوَجا ولا أمتا . أعتقد أن الزلزال بحكمة ، قال تعالى :

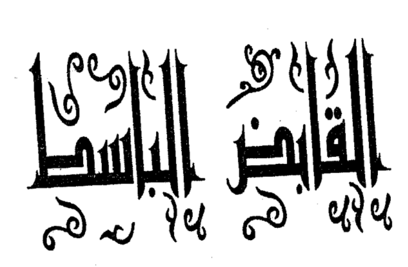
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

(سورة النحل)

إذن : فالله سبحانه و تعالى عدل في خلقه ، وعدل في أمره وعدل في فعله ونحن المؤمنين ينبغي أن نقف بين الإفراط والتفريط وأن نكون معتدلين في كل أفعالنا

و الحمد لله رب العالمين

*****


القابض الباسط

القابض الباسط

أيها الإخوة الأكارم : مع الدرس الخامس عشر من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم القابض الباسط .

الحقيقة أن إخوة كثيرين جدا ممن تابوا إلى الله توبة نصوحا وممن اصطلحوا مع الله ، دائما يسألون هذا السؤال ، فيقولون أحيانا نشعر بالسعادة و الغبطة و السرور والانشراح بحيث نرى أنفسنا في الجنة و تأتي علينا ساعة أخرى فنشعر بالانقباض و الضيق بحيث نتمنى الموت فما تفسير هاتين الحالتين ؟ الحقيقة إن الإجابة على هذا السؤال المتكرر الذي يعانيه كل مؤمن موجودة في هذا الدرس .

فمن أسماء الله تعالى أنه القابض و الباسط و أول ملاحظة ، هي أنه لا يجوز أن تقول إن الله قابض فقط ، لأنك إذا قلت قابض فمعنى ذلك أنك تصفه بالمنع والبخل و لكن إذا قلت إنه قابض باسط ، فمعنى ذلك أنك وصفته بالقدرة والحكمة ، وإذا جمعت بين الاسمين فقد وصفت الله سبحانه وتعالى بالقدرة والحكمة ، لأن الله عز وجل يقول :

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٢٤٥)

(سورة البقرة)

وهكـــذا إذا أردت أن تعـــرف السبب ،فهو:يقبض ليبسط و يضـــر ليـــنفع و يمنع ليعطي ويُذِل ليعز ، فأنت سائر في طريق الصواب .

و الشـــيء الثانـــي ، هـــو أن معنى القبض باللغة هو الأخذ ؛ والبسط هو التوسيع والنشر ، وهذان الشيئان وهذان الأمران يعمان جميع الأشياء ، فكل أمر ضيَّقه الله عز وجل فقد قبضه ، وكل أمر وسَّعه فقد بسطه ، وإلى بعض أبواب القبض والبسط . اليمن : الرزق ، قال الله تعالى :

ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾

(سورة العنكبوت)

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٧﴾

(سورة الروم)

فـــلا تقل فلان ذكي وثان عنده خبرات في التجارة رائعة جدا وثالث اجاد التخطيط ، ورابع مقتدر وآخر متيقظ ، فالله عـــز وجـــل يقبض ويبسط و يرزق ويسلب ويعطي ويمنع ، فإذا أراد أن يرزقك ألهمك الوسائل والأساليب و الموضوعات

والمواقف والتحركات المناسبة للربح ، وإذا أراد أن يقبض وكنت غنيا فقد سرت في طريق الإفلاس وأنت لا تدري ، وإذا أراد أن لا يرزقك لحكمة أرادها سد في وجهك كل الأبواب ، إذ تكون ذكيا جدا ففي هذا العمل تسلم المحل وفي هذا العمل تفك الشراكة ..

فإذا قال الله عز وجل : " والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون " أو قال الله عز وجل : " الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " فاعلم علم اليقين أن الله هو الرزاق ، وهو الذي يسلب الرزق والعوام يقولون إذا أعطى أدهش وإذا حاسب فتّش ، لكن أيها الأخ الكريم إياك أن تظن أن البسط عند الله عز وجل فيه معنى الإسراف ، وأن القبض فيه معنى البخل، وهذان المعنيان يجب أن لا يردا عليك إطلاقا ، فإذا تحدثت عن أن الله يقبض ويبسط ، فليس إذا قبض قبض بخلا ولا إذا بسط بسط إسرافا ، بل يقبض عن حكمة و قدرة و علم و تقدير ويبسط عن إكرام وتوسعة وامتحان ، فبسطه إكرام أو امتحان وقبضه معالجة أو وقاية ، والدليل قول الله تعالى :

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

(سورة الشورى)

هذا المعنى الأول متعلق بالرزق ، والمعنى الثاني متعلق بالسحاب قال الله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾

(سورة الروم)

هذا السحاب ينتشر في السماء كما يشاء الله عز وجل ، وقد يقبضه عن قوم ويبسطه لقوم ، مطرة واحدة في منطقة ثمانـــون مليمترفي ليلة واحدة بينما مقداره يكون في منطقة أخرى مليمتر واحد ، معنى هذا انه قبض عن هؤلاء وبسط لأولئك .

و المعنى الثالث ، يقبض و يبسط في الأنوار والظلال ، قال تعالى فيما يتحدث عن الليل و النهار :

ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

(سورة الفرقان)

أين النهار إذا جاء الليل ، و أين الإشراق و الوضوح ، و أيـــن الليل إذا جاء النهار : تكون في وحشة و في خوف

و فـــي قلـــق ، فتشرق الشمس فتحس بالراحة ، و بالأنس و الطمأنينـة ، إذن يقبض و يبسط ، يقبض النور و يبسطه .

و المعنـــى الرابع أن الله عز وجل يقبض الأرواح ، فإذا قـــبض روحـــه أماتـــه ، وإذا بسطها أي أحياه ، فالأرزاق و السحب و الظلال و الأنوار و الأرواح يقبضها و يبسطها ، و المعنـــى الخامس الأرض أيضا يقبضها الله عز و جل قال الله تعالى :

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(سورة الزمر)

فبَسْــط الأرض : هــو جعْـل الدنــيا صالحة لحياتنا ؟ و قبضَها : أي إنهاء عملها ووظيفتها .

والمعنى السادس أن الله سبحانه وتعالى يأخذ الصدقات أي يقبضها لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

" عــن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم : إن العبد إذا تصدق من كسب طيب تقبلها الله منه وأخــذها بيميـــنه ورباها كما يربي أحدكم مُهره وإن الرجل ليتصــدق باللقمـــة فتربو في يد الله أو قال في كف الله حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا " مسند الإمام أحمد

لكن الموضوع الحساس الذي نحتاجه جميعا هو أن الله سبحانه وتعالى يقبض القلوب ويبسطها ... والخوف والرجاء للمستقبل ، فأنت دائما تخاف من الله عز وجل أو ترجوه ، و القبض و البسط للحاضر فأنت الآن في حالة قبض أم في حالة بسط ؟ .. فإذا قلت لا أعرف فمعنى ذلك أنت خارج المدرسة . و خارج التعليم كله ، فاسأل طالبا كم أخذت بالرياضيات ، و كم أخذت باللغة العربية ، فإذا قال لا أعرف فمعنى ذلك أنه خارج المدرسة كليا ، فالمؤمن الصادق بين حالتي القبض والبسط .

و الحقيقة إذا قبض الله عنك الأحوال الطيبة ، شعرت بالوحشة و بالضيق ، و بالحرمان ، و شعرت أنك مردود ، ثم شعرت أنك مرفوض ، ضن الله عليك بالتجلي ، فقد تلوت القرآن وما شعرت بشيء وقمت إلى الصلاة وما شعرت بشيء ، ثم أردت أن تذكر الله عز وجل فما شعرت بشيء ، فهذه الحالة ما اسمها ،إنها حالة قبض ، إذ تحس أن الله عظيم وأن الله جل جلاله كبير ومتعال ، ومن أنت حتى يتجلى الله عليك فالله عز وجل مُربِّي ، فإذا بسط الله للإنسان الأحوال والسرور والانشراح والأنس وإذا استمر هذا الحال الطيب فتراه بعد حين يقصِّر في عباداته ويتهاون في صلواته ، ويتكاسل في أعماله الصالحة ، أما حينما يأتي القبض ، فيأتي مع القبض الضجر و الضيق ، فتقول " يا رب لماذا أنا على هذا الحال " ، فيأتي مع القبض الخوف ثم

القلق . إذن فربنا عز وجل يعالج المؤمن ، ولكن هذا الكلام أقوله للمستقيم أما غير المستقيم فتأتيه حالة انقباض وليست معالجة بل هي نتيجة طبيعية لمعاصيه ، وكل معصية معها انقباض ، حتى أن علماء النفس الأجانب ، قالوا : إن المنحرفين يشعرون بكآبة .

والآن يسمي علماء النفس الأمراض الشائعة الوبائية في الشباب بأمراض الكآبة وأسبابها الانحراف عن الفطرة العالية الراقية التي فُطروا عليها ، وكل إنسان مفطور فطرة عالية فإذا انحرف عنها وأساء وتعدَّى وبَنى متعه الرخيصة على حقوق الآخرين فيشعر بالانقباض والكآبة ، وهذه خارج درسنا فأنا أتحدث عن المؤمنين المستقيمين الورعين ، إذ أحيانا تصيبهم حالة الانقباض ، وهذه حالة نسميها علاجا من الله عز وجل ، فالله عز وجل يقلب المؤمن بين القبض والبسط ، فتراه أحيانا متفائلا ، طليق اللسان واضح السرائر ، بشوش الوجه ، وتشعر به أنه مبسوط ، و أنه سعيد ، يمشي واثقا من مشيته ، ويتحدث واثقا من حديثه ، و هذه الحالة اسمها حالة البسط ، فالله عز وجل تجلى على قلبه باسم الجميل ، إذ جمّله فأحس بالجمال ، والسعادة .

و لكن هنا يوجد منزلق ، فعندما يشعر المؤمن أنه قريب من الله و متفوق و فالح و ناجح و فائز و الناس مساكين ضعيفون ، ضعيفو الهمة و العزيمة ، و مقصرون ، و غارقون في المعاصي ، و بعيدون منقطعون و مطرودون

ملعونون ، و هو وحده في سعادة ، و هذا الشعور بالانبساط يأتـــي معـه أحـيانا انـزلاق ، و عجب ، أو كبر أو تعال أو استطالة على الآخرين ، فالعلاج حالة أخرى مضادة وهي القبض ، فتراه بعد أيام مستكينا فتقول له خير فيقول الحمد لله ، فتراه ساكتا ، أو يتلعثم لسانه ، فيشعر بضيق ، إذ يقوم ليصلي فما يشعر بطمأنينة و يقرأ القرآن فما ترتاح نفسه ، فهـذه الحالـة علاج رباني لمن أعجب بنفسه ، و تاه على عباد الله ، و استطال باستقامته ، هذه حالة القبض .

أمـا البسط ، فحينا يتألم ويتضايق ، ويشعر بالوحشة ، ويتصحر قلبه ، فقد ينزلق مع القبض إلى حالة مرضية وهي اليأس ، فإذا شارف اليأس جاءت حالة مضادة وهي البسط .

و الـدرس مـوجّه للمؤمنـين ، فـإذا كان الكلام لغير المؤمنين فنقول له لمَّا عصيت الله عز وجل أشعرك بالضيق وخالفـت فطـرتك شعرت بالكآبة وهذا مرض ، ولا يوجد إنسان يرتكب إثما أو معصية إلا ويشعر أن الأرض لا تسعه على اتساعها ، قال الله تعالى :

وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة التوبة)

فهــؤلاء الذين أمر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه أن لا يكلمــوهم ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه فحالة القبض هذه للعاصي والمنحرف والمقصر .

و لــو فرضــنا أن الوالدة الجليلة طلبت منك حاجة في منتصــف اللــيل " دواء " مثلا ، فقلت لها لا أستطيع فإنني أشــعر بحاجة للنوم ، أو ليس هناك صيدلية تفتح أبوابها ، فهذا الشعور بالذنب يورث كآبة ، وهذا موضوع آخر ، فإذا قصــر الإنسان في أداء واجباته ، أو ارتكب معصية أو إثما أو خــرج عن خط الاستقامة أو اغتاب ، أو أطلق لسانه في أعراض الآخرين ، أو أكل ما ليس له ، أو نظر ما لا يحق لــه أن ينظــر إليه ، فإذا وقع في معصية أو مخالفة يشعر بالقــبض ، وهــذا القبض ليس موضوع درسنا اليوم ، هذا قــبض المعصــية. فاعلم أيها الأخ الكريم أنك بين حالتين ، القــبض والبسط ، لأن الله هو القابض وهو الباسط فإذا كان القبض يناسبك قبضك إذ قبض الأحوال عنك ، وضيّق عليك الدنــيا و أشعرك بالسأم والضجر ، وبالوحشة والبعد إذ أبى أن يتجلــى علــى قلبك ، وإذا اقتربت مع القبض إلى اليأس تجلــى علــى قلــبك فأشــعرك بالقــرب والأنس والسرور والانشــراح ، فأنت أيها المؤمن بين حالتي القبض والبسط، فما العلاج ؟ العلاج أنك إذا استحققت من الله حالة البسط ،

فإيـــاك أن تنـــزلق مـــنها إلـــى الغرور أو إلى الاستعلاء أو الإعجاب أو أن تستطيل على عباد الله .

إذن مع البسط هناك منزلق هو الإعجاب " لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر " ، فما الذي هو أكبر ؟ " العُجْب " وإذا أصـــابتك حالـــة القبض ، فما ينبغي أن تنزلق منها إلى اليأس .

إذن : رب العالمـــين هو رب النفوس إذ يربي الأجساد بإمدادها بالمواد ويربي النفوس بتقليبها من حال إلى حال ، قال الله تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

(سورة الشعراء)

فأنـــت أيها المؤمن تتقلب من حال إلى حال ، من حالة بســـط إلـــى حالـــة قبض ، فأنت موضع عناية الله عز وجل وتربيته ، فلذلِك استسلِم .

أمـــا إذا جاءك القبض إثر معصية أو مخالفة أو عدوان أو انحراف ، فهذا قبض المعصية وهذا موضوع آخر ، فأية معصية وراءها إحساس بالكآبة وهذه هي الفطرة .

وربـــنا عز وجل لمَ أودع فيك العقل ؟ .. لتعرفه ! ولمَ أودع فيك هذه الفطرة العالية ؟ .. لتعرف خطأك .

فـــبالعقل تعـــرف ربك وبالفطرة تعرف خطأك ، إذ يأتي الانقباض

وعن النواس بن سمعان الأنصاري قال : سألت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال :" البر حسن الخلـــق والإثـــم مـــا حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس " صحيح مسلم

واعلـــم أن معـــك ميـــزانا ، إذا كذب الإنسان أو اعتدى أو خـــان أو نظر نظرة لا تحق له أو استطال بلسانه أو فإن يشعر بالانقباض ، وهذا إذا كان فيه إحساس .

و أحـــيانا تـــنطمس الفطـــرة ، ويتعطل الميزان ، فهذا الإنســـان لا يعي الخير : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فـــي قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون سنن الترمذي

فالمعاصـــي تلـــو المعاصي والمخالفات والانغماس في الدنـــيا والتطاول على خلق الله وترك العبادات وترك الذكر ، و ينتهي بقلب مغلف :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾

(سورة البقرة)

إن ختم حكمي ، فإذا امتلأ القلب من حب الدنيا ، فليس هـــناك محـــل لشيء آخر فيه ، إذا ختم القلب ختما حكميا ؟ فالقـــبض والضـــيق والوحشـــة الناتجة عن المعاصي هذه علاجهـــا الطاعـــات والتوبة أما القبض الذي ليس له سبب ظاهـــر لمـــن يمشي في طريق الإيمان فهذا القبض معالجة إلهـــية لطـــيفة ، وقد قال العلماء في عدة مصادر " إنه على المـــؤمن أن يصـــبر حتى تنجلي هذه الحالة بتقدير الله عز وجل ".

وهـــناك تعريف لطيف جدا للقابض للقشيري ، يقول : " القـــابض الـــذي ملك زمام كل شيء "، ومن معاني القابض القدير ، فأحياناً أنت لا تستطيع أن تدس الحزن بقلب إنسان إذا كـــان سعيدا ، ولو كلمته لا يبالي بكلامك ، لكن ربنا عز وجل قدير ومعنى قدير أنه ملك زمام كل شيء يقبض ويبسط كيف يشاء يقبض العقل فلا يفهم يقول لك ما فهمت .

ـــ دخـــل طالـــب مغرور على امتحان ، وهو صديق لي ، فجاء سؤال مؤتمر برلين في التاريخ ، قال بقيت ساعة وأنا أفكر أين عقد هذا المؤتمر؟ وهو اسمه مؤتمر برلين عقد في بـــرلين .. ! أحيانا يرى الشيء على خلاف ما هو عليه في الامـــتحانات ، فالإنســـان إذا اعتز بعقله وتاه بذكائه يرتكب حماقـــات يتـــرفع عنها الحمقى ، ليريه الله عز وجل أنه هو القـــابض ، يقـــبض عـــنك الفهـــم ، ويقبض العقل فلا يفهم ويقـــبض القلب فلا يغنم ، تراه يقول : " ضاق قلبي " ، هذه المشـــاعر لـــيس لها سبب واضح ، فالبيت واسع والزوجة ممـــتازة والأولاد أصحاء والدخل يسير فلا مشكلة ، ويقول: "يضـــيق قلبـــي ، وأكاد أموت ضيقا " فتقول له قلبك بيده ، القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن .

وهـــناك قلب كبير ؟ مفعم بالسعادة والرضى وبالإشراق الرباني وقلب متصحر ، كالصخر لا يرحم ولا يلين ولا يتأثر ولا يبكـــي وإن يقـــبض القلب فلا يغنم ويقبض الصدر فلا يفرح ، ويقبض الرزق فلا يمنح، " فيقول أرمي بالطلب يمينا فيـــرتد شمالا " ، وهذا أحد الشعراء المهجريين ترك لبنان إلى بلاد المهجر إلى أمريكا ، فقال :

أغرّبُ خلفَ الرزق وهو مُشرِّق   وأقسم لو شرّقتُ راح يُغرّب

يعنـــي فـــإذا أراد الله عز وجل ألا يرزقك لو ذهبت إلى أقصـــى الدنـــيا لو ذهبت إلى بلاد الغنى و إنك تعيش فيها

فقيــرا ، وقد يرزقك في بلدك في أصعب الظروف ؛ لأنه هو الرزاق ، هذا هو الإيمان .

قــال : ويقـبض الــروح فــلا تفرح ، فيأتي " التشاؤم والسوداوية " ويقبض النفس فلا تمرح ، ولا يفر من حكمه وقضائه خلق من خلقه ، حكيم في فعله وتقديره ، لذلك قال ربنا عز وجل :

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

(سورة الأعراف)

كلمــة متين هذه صفة الأجسام التي تتحمل قوى الشد ؟ وأمــا القساوة فصــفة الأجسام التي تتحمل قوى الضغط ، فالمــاس قاسي أما الفولاذ المضفور فمتين ، ولذلك فبعض الحبال العظيمة تحمل الجسور الكبيرة فالتيليفريك مثلا على أي شــيء يُحمل ؟ على حبال من الفولاذ المضفور فالفولاذ المضفور من أمتن المعادن والماس من أقساها ، وربنا عز وجــل وصف كيده بأنه متين ، وكأن الله عز وجل شبَّه كيده بحبل متين لا يمكن أن يُقطع والكافر مربوط به ، ولكن هذا الحبل مرخى فالكافر يتوهم أنه طليق ، فهو يتحرك ويؤذي ويــتكلم ويتبجح ويتفلسف ويتحدى ويتطاول ، ويوقع الأذى بزيد وعبيد وهو يظن أنه يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير ، في لحظة واحدة يشُد اللهُ الحبل فإذا هو في قبضته ،

وهـذا الحـبل لا يمكـن أن يُقطع ، وهذا معنى قول الله عز وجل " وأملِي لَهُم إنَّ كَيدي مَتين ".

و معنى القابض يمكن أن يغلق عليك عقلك ، وأن يجعل قلبك متصحرا وأن يصير نفسك سوداوية المزاج متشائمة ، وهناك حالات كآبة تدفع أصحابها إلى الانتحار ، لكن المؤمن بالله عز وجل في مَنجى من ذلك

رأي آخر للقشيري ، قال " القبض والبسط حالان يهذّب الله بهمـا الذاكـرين "، ألـم يقل النبي الكريم " أدَّبني ربي فأحسن تأديبي " .

فأحـد إخوانـنا الكرام عنده معمل متواضع ، وأخ من إخـوان المسجد علم أن هذا المعمل لفلان ، في اليوم التالي ذهـب إلـيه ، وهـو معمل يصنع ألبسة ، يبيع في الجملة خمسـمائة إلى ألف اثنَي عشرية ، وهذا الأخ دخل إلى هذا المعمـل وطلب منه ست قطع فكأن هذا الطلب أهان صاحب المعمـل ، فقـال أنـا لا أبيع مفرّقا (قطّاعي) ، فقال له : " شـكر ا " ، و انصـرف خجلا ، فيقول صاحب المعمل لقد مرت ثلاثة وعشرون يوما وما دخل معملي إنسان ليشتري ! أمـا الآن فأبـيع ولو قطعة واحدة ... و هذا تأديب الله عز وجـل ! تتكلم كلمة في غير موضعها فيحجبك عنه أسبوعا فتغلـي ضـجرا فـإذا كـان هناك تقصير أو تجاوز ، فيأتي القـبض ، ومـا القـبض إلا دليل على أن الله رفضك ، أي

رفض عملك ، ورفض التصرف ، فما أقبل على قلبك،و ما تجلى عليك ، وهذا لمن عنده حساسية بالغة .

وهناك ميزان تزن به السيارات ، تصعد فوقه فيسجل عشرين طنا ، وهذا الميزان لا يزن أوقية بُن ، ولا خمسة غرامات ذهب ولا ماسة ثلاثين قيراطا ، وإذ وضعت عليه كيسا وزنه مائة كيلو فلا يتحرك ، وهناك أشخاص عندهم ميزان غير حساس ، وهو لا يفكر بربه أبدا " ، وهذا الإنسان ليس موضوع درسنا .

أما المؤمن فبعد اللطف التام والتوجه إلى الله عز و جل يملك حساسية مفرطة ، فإذا شعر أن قلبه في الصلاة غير مُقبل يشعر أن هناك شيئا ، فلعله قال كلمة ، أو خطر في باله خاطر لا يليق ، أو أساء الظن بالله عز وجل ثم لعله تكلم كلمة في غير محلها مع إنسان فانكسر قلبه .

ولذلك أقسم ربنا عز وجل في القرآن الكريم ، بالنفس اللوامة ، فهناك نفس مطمئنة : هي نفس الأتقياء الصديقين ، أهل الإحسان ، و هناك نفس أمارة بالسوء : هي نفس العصاة ، أما نفس المؤمن فلوَّامة ، وهي دائما في حساب عسير مع نفسه ، فيقول : ، لعلي تكلمت كلمة ، أو منعت هذا العطاء عن فلان ، أو هل تألم فلان مني ؟ فهو دائما في حالة حساب شديد مع نفسه ، و هذا معنى النفس اللوامة .

قال : القبض والبسط حالان يهذّب بهما عباده الذاكرين ، ويفتح بهما عليهم أبواب العلم والحكمة ، فإذا هجم القبض على أحدهم فإنه يهجم على صدره من أبواب الجلال و حكمة الكبير المتعال ، و تكثر الخواطر فيشتد الخوف ، و يتذوق العبد جلال الله عز و جل ، فتمنع الذات الإلهية عن العبد و تحس بالجلال ، و إذا اشتد عليه هذا الحال أي لطف الله به فعند ذلك المقدار الذي يطيقه ينفرج صدره بالبسط ، و إذا هجم عليه حال القبض و شعر بالخوف فالله عز و جل حكيم لا يسحقه بل يعطيه قدراً من القبض على قدر طاقته و عندئذٍ يأتيه حال البسط ، وهذا كلام يتوجه إلى أناس لهم خبراتهم مع الله ولهم صفاؤهم ولهم صدقهم و حرصهم على طاعة الله بل لهم ورعهم وعندئذ يصبح قلبهم ميزانا دقيقا وحساسا ، ونرجو من الله عز وجل أن نملك هذا الإحساس .

أما قلنا : هناك ميزان لا يتأثر ولا يتحرك ولا بمائة كيلو هذا معد ليزين حجما كبيرا ، كسيارة شاحنة ، أما وهناك ميزان ، ترى عنده الصائغ يغلق المروحة أثناء وزن الذهب لأن الهواء الصادر عنها يغير كفة الميزان و هناك ميزان لو وزنت به ورقة في وزن دقيق ، ثم كتب على الورقة كلمة واحدة رجحت الكفة ، بوزن المداد ، فكلما ارتقى المؤمن يدق ميزانه ، فقل لي ما مستوى ميزانك أقل لك من أنت .

الميــزان دائما له حس زائد ناقص درجة ، ولو فرضنا عــندنا ميــزان حــرارة غال جدا وقسنا عليه ميزان حرارة رخيصا يفرق درجة ، نقول حس هذا الميزان زائد أو ناقص درجــة ، وحــس هذا الميزان زائد أو ناقص غراما ، فكلما اشــتد الحــس قل الخطأ ، والمؤمن كلما ارتقى أصبح عنده ميــزان دقيق جدا في محاسبته نفسه ، والكلمة التي أقولها دائمــا ، " مــن حاســب نفسه في الدنيا حسابا عسيرا كان حســابه يــوم القيامة يسيرا ، ومن حاسب نفسه في الدنيا حسابا يسيرا كان حسابه يوم القيامة عسيرا " .

وعــن موضــوع القــابض الباســط ، فأصحاب عليهم رضــوان الله قالوا يا رسول الله غلا السعر فسعِّر لنا ، فقال عليه الصلاة و السلام : " إن الله هو الخالق القابض الباسط المسعر " .

و الــذين ضــمنوا المشــمش في الغوطة قدروه بسعر عشرين واشتروه بهذا السعر وباعوه بخمس ، والإنتاج كان غزيــرا جــدا ، والكمــية الكبيرة خفضت الأسعار فإذا قال النبيصــلى الله علــيه وســلم يقــول : " الله هو المسعر" ، فالكمــيات بــيد الله . ومرة في الجزيرة أنتج ثمانين كيس قمــح ، والعادة عشرة ، أو خمسة عشر ، وكل سنة يخرج موســم بكمــيات مذهلة ، مرة الزيتون ومرة البطاطا ومرة البصــل و تــرى الأســعار تنخفض إلى أرقام خيالية ، فالله هــو المســعر ، والله القــابض يقــبض فــتكون الكمــيات

قلـيلة ـ فالأسعار عالية ، فيبسط ـ فتكون كميات كثيرة ـ فالأسـعار منخفضـة ، وإن الله تعالــى هو الخالق القابض الباسط المسعر .

وقـال بعضهم : القابض الذي يكاشفك فيقيك ، والباسط الـذي بجلالـه يكاشفك بجماله فيبقيك ، فأنت بين أن يقيك وبـين أن يبقـيك ، وهـو القابض الباسط ، والقابض الذي يقـبض الصـدقات مـن أربابهـا فيـربِّيها والباسط الذي يبسط النعمة وينميها و يهنيها ، إذ يقبض الصدقات ويبسط النعم .

والقـابض هـو الذي يخوفك من فراقه ، والباسط الذي يؤمـنك بعفـوه وإطلاقه ، والإمام الغزالي يقول : " القابض الباسط من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم "، فمثلا ، أنت داعية فإذا حدثت الناس عن رحمة الله و كرمه وعطائه وعفوه ، وقلت لا تخافوا يا إخواني فالقضية سهلة والله غفـور رحيم ، ولا يسعنا إلا عفوه وكرمه ، ومن نحن أمام عفو الله إذا جعل كل دعوته الجانب المشرق ، ألا يكون حكيما .

والإمام الغزالي كان يكتب كتابا فوقفت دويدبة فانتظرها حتى شربت من مداد القلم فلما مات رآه أحد تلاميذه وقال يا سـيدي ما فعل الله بك ، قال رحمني الله بهذه الدويدبة التي انتظرتها حتى شربت ، وكل عمله ليس له قيمه ؟ إذ يلتبس

علـــيك الأمـــر ، فمثل هذا الكلام ليس فيه حكمة . فأنت ما علاقتك بالقابض الباسط ؟

تحدثـــنا عـــن الله عز وجل كيف يقبض الأرواح ويبسط الحياة ويقبض الأرزاق ويوسعها ويقبض القلوب .

والآن الســـؤال أنت مؤمن فما علاقتك بهذا الاسم ؟ أي إذا دعـــوت إلـــى الله عز وجل يجب أن تجري موازنة دقيقة بين أن تطمِّع الناس برحمة الله وبين أن تيئِّسهم من عقابه ، فاليأس مرض والطمع مرض ، فإذا ذكرت الجانب الرحماني فقـــط وعفـــوه وكـــرمه وتجاوزه وحلمه ، ولم تذكر عذابه وعقابـــه وإيلامـــه وما عنده من عذاب مقيم فلست محسِنا ولســـت حكـــيما فـــي ذلك ، إذن يجب أن تجمع بين القبض والبســـط حتـــى فـــي دعوتك إلى الله عز وجل، لأن الإنسان بحســـب مَا تلقَّمه وبحسب ما تغذيه ، وماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

عـــن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عُذِّبت امرأة في هِرَّة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار قال فلا هي أطعمتها ولا سقتها ولا هي أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض "صحيح البخاري

ومعنـــى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خوفنا ، وقال مرة : عن أبي هريرة قال رجل يا رسول الله إن فلانة يُذكـــر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار قال يا رسول الله فإن فلانة

يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في الجنة مسند الإمام أحمد

وعن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال أرأيت إن قاتلني قال قاتله قال أرأيت إن قتلني قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلته قال هو في النار "صحيح مسلم .

إنه أسلوب مخيف ، إذ قال عن الذين ماتوا في الحرب وذلك هم في النار، قيل فقد مات في الحرب و الجهاد ، قال هو في النار ، كي يدعو أصحابه إلى أن يحاسبوا أنفسهم ، فماذا أردت من هذا الجهاد ، لعلي أردت سمعة ؟ أو جاها ، أو غنائم ، فأنت تقرأ أحاديث النبي فتعجب ، فأحيانا تخاف خوفا شديدا لسبب تافه وأحيانا تسمع النبي عليه الصلاة والسلام ، يطمئنك ويبشرك ويلقي عليك من رحمة الله عز وجل الشيء الكثير .

فأنت الداعية اقتد بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وهناك دعاة كل حديثهم عن جهنم و دعاة كل حديثهم عن الجنة وعن الحور العين ، فهؤلاء بهذا الحديث قد أخطأوا وهؤلاء بهذا الحديث قد أخطأوا ، وكما أن الله قابض باسط فيجب أن تكون مرة في دعوتك تخوّف عباد الله من معصيته ومرة تحببهم في طاعته .

وإلـــيكم دليلا آخر ؟ ورد في بعض الأحاديث القدسية :
" أن سيدنا موسى قال يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحـــبك ، قـــال يا موسى أحب عبادي إلي تقي القلب ، نقي الـــيدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني وأحب من أحبني وحببنـــي إلى خلقي ، فقال يا رب إنك تعلم أني أحبك وأحب مـــن يحـــبك فكيف أحببك إلى خلقك ، قال يا موسى ذكّرهم بآلائي ونعمائي وبلائي " .

هـــنا الدقة : " ذكرهم بآلائي " ، بهذه الآيات الدالة على عظمتي كي يعظموني وذكرهم بنعمي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائـــي كـــي يخافونـــي ، إذن لا بد من أن يجتمع في قلب المـــؤمن تعظـــيم لله من خلال الكون ، ومحبة له من خلال النعم ، وخوف منه من خلال النقم .

و أحـــيانا يـــريك ربـــنا إنســـانا مصابا بمرض خبيث ، أو توقـــف كليتـــين فحياته جحيم ففي كل أسبوع تغسل فيه الكليـــتان مـــرتين فيشعر منه بانقباض شديد وهناك أمراض وأوبـــئة وأمراض عضالة ، وفقر شديد ، والله عز وجل قد يمـــنع حتـــى يـــندفع الفقير إلى أن ينقّب في القمامة ، والله بعيني هذه رأيت أناسا كثيرين يبحثون في القمامة عن شيء يأكلونه ، ألم يقل : " إذا أعطى أدهش وإذا حاسب فتش "

" يـــا موســـى ذكرهم بآلائي و نعمائي و بلائي " ذكرهم بآلائـــي كي يعظموني ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ،

و ذكـــرهم بنعمائـــي كـــي يحبونـــي ، و ذكرهم ببلائي كي يخافوني " .

و هـــناك حـــالات كثيـــرة ، يتجاوز فيها الإنسان حدَّه ، فـــيؤذي مخلوقا من مخلوقات الله عز وجل ، فربنا عز وجل يجعله يدفع الثمن باهظا ، حتى يرتدع مَن حوله ، ويخافون فإذن هذا البلاء بلاء ردعي ، وهذا الإكرام إكرام تشجيعي ، ولكن العطاء الكامل يوم القيامة ، قال الله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾



(سورة آل عمران)

أما ربنا إذا أكرم إنسانا في الدنيا فهذا إكرام تشجيعي له ولغيره وإذا عاقب إنسانا فهو عقاب ردعي له ولغيره ، فإذن يجـــب أن يكـــون فـــي القلب حب لله عز وجل وخوف منه وتعظيم له .

و الحمد لله رب العالمين

*****

محتويات الكتاب

